# طلال أبو غزالة

## رجل تسكنه المعرفة

غزالة

كريم بقرادوني

# رجل تسكنه المعرفة

كريم بقرادوني

© طلال أبوغزاله للترجمة والتوزيع والنشر
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية 2019
ISBN 978-9953-0-4648-8
هاتف: 01-335935
بريد الكتروني: legal@pakradouni.com
**www.tagorg.com**

# المحتويـــات


**المقدمة: الطموح ..... ١**

**سمر اللباد ـ طلال أبوغزاله الأسطورة ..... ٣**

**القسم الأول: البدايات القاسية ..... ٧**

أولاً: الخروج القسري من يافا ..... ٩

الدخول طوعيا في مدرسة توفيق أبوغزاله! ..... ٩

اخرجوا من منازلكم وتوجهوا إلى الشاطئ... صوت لن أنساه ..... ١٣

ثانياً: اللجوء المبكر الى لبنان ..... ١٧

نقطة الصفر! ..... ١٧

معطف من صوف وعزيمة ورائحة أمي ..... ١٩

منحة برغم المحنة... ومطر بلل الجسد وغسل الروح ..... ٢٢

بوظة ستيك وموتزارت... لوحة سريالية! ..... ٢٦

ثالثاً: الانخراط العابر في السياسة ..... ٣١

"الصدى اللعين" لا يلاحق من يسير إلى الأمام ..... ٣١

أنا انسان فلسطيني في خدمة العالم العربي ..... ٣٥

**القسم الثاني: أزمنة الصعود ..... ٤٢**

أولاً: زمن المحاسبة والتدقيق ..... ٤٣

الكويت... أيقونة الحب والعروبة والسلام ..... ٤٣

شركتي الأولى: سيارة صغيرة وملفات وكثير من الثقة! ..... ٤٨
النزاهة، حجر الأساس لبرج المحاسبة العالي ..... ٥٠
ثانياً: زمن الكمبيوتر وثورة المعرفة ..... ٥٥
عامل المعرفة: أن تستشرف الثورة المعلوماتية مبكراً ..... ٥٥
المعرفة ليست طريقا للتطور... إنها قرار للتغير ..... ٥٧
التورط في عالم المعرفة من أجل التطور في قدرات المجتمع والأمة ..... ٦٠
المعرفة... خريطة الطريق لمستقبل البشرية الأمثل ..... ٦٣
الحياة ليست مدرسة إن لم تكن أنت تلميذا في البداية! ..... ٦٦
صوت العرب على هيئة رجل ..... ٦٨
الحلم العربي قادم لا محالة... بهمة الشباب وثورة التعليم ..... ٧١
ثالثاً: زمن الملكية الفكرية ..... ٧٧
حين تمتلك الفكرة تقطع نصف الطريق ..... ٧٧
صنعتُ "أجيب" فنصبتني ملكاً في الملكية الفكرية ..... ٧٩
"طفرة" الملكية الفكرية من دولة الكويت إلى العالم ..... ٨١
**القسم الثالث الرؤية المستقبلية ..... ٨٥**
أولاً: تسونامي التعليم الرقمي ..... ٨٧
التعليم لا يعرف الأسوار ولا يعترف بالسقوف، التعليم طائر يحلق حراً ..... ٨٧
التقدم طريقه الشباب ومجتمع المعلومات وتكنولوجيا التعليم ..... ٩٢

تطور دون البحث العلمي... نسخ ولصق ..... ٩٦
الثروة الحقيقية في الاكتشاف وفضول المعرفة ..... ١٠٠
لا احتكار في العلم وأبواب الثورة الرقمية مفتوحة للجميع ..... ١٠١
العيش داخل حلم يتحقق ..... ١٠٤
جامعة طلال أبوغزاله لاختصار المكان والزمان ..... ١٠٥
عالم الكتروني من أجل كوكب مسؤول وجميل ..... ١١١

ثانياً: كلنا لفلسطين ..... ١١٥
الفلسطينيون حول العالم... كم نحن؟ ..... ١١٥
"إسرائيل" مشروع منتهي الصلاحية ..... ١١٨
جمانه وعدوى عشق فلسطين حد الخطر ..... ١٢٢

ثالثاً: احداث وعبر ..... ١٢٥
الربح ليس مادياً دائماً ..... ١٢٥
مدرسة طلال في "كيف تكون موظفاً ناجحاً" ..... ١٣٠
تعلمت كيف يتصرف الكبار في موقع السلطة؟ ..... ١٣٣
قضية مبدأ وليس قضية ربح وخسارة ..... ١٣٩

**الخاتمة ..... ١٥٣**

**قالوا في طلال أبوغزاله ..... ١٥٤**
حين تُكرَّم وأنت على قيد الحياة... تابع العمل! ..... ١٥٤
العائلة هي الظهير الأول... والآخر ..... ١٥٨
السيدة نهى: طلال... لا وقت للوقت! ..... ١٦١
هل الابن ذراع أبيه، أم ظله؟ ..... ١٦٣
الأب صاحب القلب الحنون والكلمة الأخيرة! ..... ١٦٦

أبي طاقة متجددة في حضوره وغيابه ..... ١٦٧
رجلُ الأعمال العربيّ النّموذج سموّ الأمير الحسن بن طلال ..... ١٦٨
الطالبُ النجيب د. سليم الحُصّ..... ١٦٩
رائدٌ في مبادراته ومبادرٌ في ريادته طاهر المصري ..... ١٧٠
التطلّعات إذْ تتحقَّق خوزيه ماريا فيغاروس أولسن ..... ١٧٢
سفيرٌ للعرب جيرمي هائلي..... ١٧٢
تعلّمتُ منه العملَ الجادّ سيرجيو مارشي ..... ١٧٣
اهتمامٌ بالتعاون الدولي عبدالحميد ممدوح..... ١٧٤
العصاميّ... البروفيسور جون سمول..... ١٧٤
شخصية قيادية جذّابة د. علي أحمد عتيقة..... ١٧٥
الإيمان بالتعليم د. إدوارد غريس..... ١٧٦
سندباد بلا حدود غادة فؤاد السّمّان ..... ١٧٧
هنيئاً له بما أنجز وهنيئاً لنا به... حسن أبو نعمة ..... ١٧٨
رحلةٌ مُتَوَّجةٌ بالنجاحات ثابت الطاهر ..... ١٧٩
عالِم موسوعيّ د. صالح هاشم..... ١٨٠
المنظّم المبدع د. جواد العناني ..... ١٨١
رجل بهمّة يساوي أمّة مازن الحساسنة..... ١٨٢
عاشق فلسطين..... ١٨٣
سيادة المطران عطا الله حنا ..... ١٨٣
طلال أبوغزاله... رجل المراحل كلها وبجدارة!..... ١٨٦

**صور مختارة..... ١٨٨**

**المرفقات..... ٢١٦**

**كريم بقرادوني - السيرة الذاتية..... ٢٢٥**

# المقدمة

# الطموح

**الفتى طلال أبوغزاله**
**عام ١٩٥١**

عندما سألت لؤي أبوغزاله عن الصفة الطاغية التي يتميز بها والده طلال، اجابني بكلمة واحدة رددها ثلاثاً: "الطموح... الطموح... الطموح". فسألت نفسي: هل الطموح وحده يحقق النجاح؟ وكان جوابي: ان النجاح يتطلب طموحاً، لكن الطموح يحتاج الى العمل الدؤوب ليتحول الى واقع. الطموح بلا عمل لا يحقق انجازاً، والعمل بلا طموح يبقى محدوداً، وعندما يلتقي الطموح والعمل تتحول حياة الانسان الى انجازات. صحيح ان الطموح يتعب صاحبه والآخرين، لكن الصحيح ايضاً ان الطامحين يصنعون التاريخ، وهذا هو حال طلال أبوغزاله.

باكراً جداً ظهر الطموح عند طلال، وباكراً جداً بدأ طلال بالعمل. انطلق من لاشيء وهو طفل مهجّر من وطنه فلسطين ولاجيء في لبنان، لكنه قرر في سره ان يصبح شيئاً وان يحوّل المعاناة الى نعمة، فلاحت له الفرصة في الكويت حيث أمضى فيها ثلاثين سنة يثابر على العمل بانتظام ومن دون انقطاع فلا يتمهل ولا يتوقف ولا يرتاح.

حطّ به الرحيل بعد لبنان والكويت في الاردن حيث يتألق بأفكاره ومبادراته. وعلى الرغم من بلوغه الثمانين من عمره، فإنه ككل طامح، ما زال يعمل ويركض وراء شيء ما، ويتطلع من دون هوادة الى ما هو أكبر وأحسن.

لهذا الكتاب قصة. التقيت طلال أبوغزاله للمرة الأولى في العام ٢٠٠٥ عندما أوكلني للدفاع عنه في دعوى عالقه امام مجلس شورى الدولة اللبناني، وكان يحمل ملفاً مكتمل المعطيات ويصرّ على أن تصدر المحكمة الحكم العادل وبأسرع وقت. فبدا من اللحظة الاولى بأنه رجل قرار، يعرف ماذا يريد؟.

لم أكن أعرف عنه الكثير، لكن أول ما لفتني فيه المنهجية التي عرض فيها ملفه القضائي وتشديده على أمرين: الحق والوقت. أكد لي ان الحق هو القيمة الأسمى التي لا يجوز التهاون بها، وإذا ضاع حق انسان واحد ضاعت حقوق كل الناس، وان الوقت هو رأس المال الذي يملكه ولا يجوز تبديده، وهو كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

أتبع كلامه عن ملفه القضائي بشرح مقتضب عن عمله في ميادين التدقيق والمحاسبة والملكية الفكرية التي يوليها عناية خاصة، وأنهى بالقول انه فلسطيني الهوية، عربي الانتماء، لبناني الهوى، وهو من لاجئي ١٩٤٨. وخيل لي أنه يسلمني ملفه القضائي لعلمه أني من مؤيدي قضايا العرب، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

اعتاد طلال أبوغزاله ان يتصل بي بين الفينة والفينة بواسطة مستشاره في لبنان حبيب انطون لالتقي مع "المعلم"، وهو اللقب الاحب الى قلبه والذي اصطلح العاملون معه ان ينادوه به. زرته في مكتبه ببيروت في الخامس من شباط ٢٠١٦، فاستقبلني كعادته بابتسامته العريضة التي توحي بالثقة والمحبة في آن. وطلب مني أن أوقع له اهداءً على كتابي بعنوان " صدمة وصمود"، وأودعني كتابين يتكلمان عنه: الاول باللغة العربية تحت عنوان "سر المجد رجل من بلدي، والثاني بالانكليزية من تأليفه أصدره سنة ٢٠١٥ تحت عنوان: "Blankets Become Jackets"، ما ترجمته: "البطانية تصبح جاكيت"، كما زودني لاحقاً بكتاب ماهر مقلد تحت عنوان: "طلال أبوغزاله، الصعود الى القمة" من اصدار مركز الاهرام للنشر سنة ٢٠١٦.

لحظة توقيع الاهداء على كتابي تبادر الى ذهني ان أكتب قصة هذا الانسان الناجح الذي انطلق من الصفر وحقق انجازات مستحيلة، ووصل الى حيث لم يصل الآخرون. اعجابي بمسيرة طلال أبوغزاله حملني على الكتابة فأخبرته بالامر، وطلبت منه لقاء مطولاً حددناه لاحقاً ما بين ١٤ و١٦ ايلول ٢٠١٦ في عمان. وكان هذا الكتاب نتاج حوار مفتوح معه ومع افراد عائلته.

ومن يتمعن بتجربة أبوغزاله يتبين له انها مرت بثلاث مراحل: مرحلة البدايات القاسية في الصغر والشباب (القسم الاول)، ومرحلة ازمنة الصعود المبني على حلم احتفظ به لنفسه (القسم الثاني)، وصولاً الى رؤياه المستقبلية، وهي الاهم، والتي لا تجاريه فيها الا قلة قليلة من اهل المعرفة والمبدعين والطامحين (القسم الثالث).

## سمر اللباد
نائب رئيس مجلس الإدارة

# طلال أبوغزاله الأسطورة

الإنسان العظيم هبة من الله إلى العالم! ومن حق العالم أن يتعرّف على إنجازاته ويتقاسم وإياه التجربة، حين يكون هذا الإنسان بمقام "طلال أبوغزاله".

وثمة سُبل عديدة لمعرفة هذا الإنسان، سواء كموظف أو شريك، منافس أو زميل، حليف أو عدو، لا يوجد منظور واحد يحتكر الرؤية الكاملة للآفاق الواسعة التي تدور بعقل الإنسان العظيم، ورؤيته ونطاق عمله؛ ولكن مما لا شك فيه أن إحدى أهم هذه الطرق وأكثرها نجاعة لمعرفة هذا الإنسان هو التعرف عليه كمرشد ومعلم وصديق.

إن الخوض في غمار العالم الواسع للأعمال والمشروعات والآفاق اللانهائية والعلاقات المتشابكة الموجودة في عالمنا الذي نعيش فيه-بالنسبة لأي شاب في العقد الثاني من العمر-يعد مغامرة أسطورية ورحلة وجودية لاستكشاف الطريق، وتحديد الهدف، والسير في مسارات عمل مثمرة. والبعض في هذه الرحلة يجدون طريقهم والبعض الآخر يفقد بوصلته ويضل طريقه. وفي هذه المرحلة من العمر لا ينعم الجميع بوجود شخص يتمتع بالحكمة ووضوح الهدف يرشدهم ويوجههم حق التوجيه. ولكن لحسن حظي كنت من الاستثناءات التي أنعم الله عليها بهذه النعمة. ولا أعتقد أنني كنت الوحيدة بين صغار المهنيين من أقراني ممن هم في سن العشرين الذين يتمتعون بالمؤهلات الملائمة، ولكن ينتابهم الشعور بانعدام الخبرة وعدم الثقة بقدراتهم. وأنا كنت كذلك فعلا إلى أن التقيت وقتها بالدكتور طلال أبوغزاله عندما ذهبت للعمل بشركته في الكويت.

حينها تغير كل شيء وحدثتني نفسي بأن هذا هو مرشدي وموجهي، وهو ما قد كان ووجدت فيه نعم المرشد والموجه.

عندما ينظر المرء إلى كم الإنجازات التي حققها الدكتور أبوغزاله طوال حياته، ستقع عيناه بسهولة على سلسلة طويلة من الإنجازات في مجال ريادة الأعمال، وتولي المناصب القيادية العالمية، والكتب التي صدرت عنه، والجوائز التي حازها والتكريمات التي نالها عن جدارة. ولكنني هنا أريد أن أقول إن علاقاته الشخصية هي الركن الأهم والمنطلق الرئيسي في شخصية الرجل وإن طغت عليها سائر إنجازاته. أعترف أنني مجرد شخص واحد فقط من بين كثيرين يعتبرون الدكتور طلال أبوغزاله بمثابة المعلم الملهم والمرشد والصديق، لذا أعود وأكرر قولي بأن العالم من حقه أن يتقاسم الإرث الأخلاقي والإنساني لهذا الرجل العظيم.

لقد جعل عيني تبصران حدود الممكن والمستطاع في هذا العالم، وبإيمانه وثقته بي وحُلمه في تعليمي وتوجيهي، بعث في روح الشجاعة والحكمة لتجاوز حدود الممكن والمستطاع التي رسمتها لنفسي. ولم أكن لأتخيل أنني يمكن تجاوزها. لم يبخل عليّ الرجل بحكمته وشملني بعطفه كما فعل مع آخرين لا أحصيهم عدداً.

العظماء دائماً وأبداً أصحاب رؤية، وإذا لم تجد هذه الرؤية من لديهم الاستعداد لتناقلها فإنها لا تتجاوز حدود أصحابها، وإن تجاوزتها فلن يكتب لها الانتشار سريعاً. ومن بين من يدورون في فلك الرجال العظام، يتصدر تلاميذهم ومريدوهم الذين هم أشد الناس حرصاً على معايشة هذه الرؤية واقعاً ملموساً، وهم بهذا يتفوقون على ذواتهم ويتجاوزون واقعهم الراهن ويشيدون لأنفسهم ولغيرهم واقعاً جديداً. وهذا ليس بالأمر الذي يراه كل شخص أو يريده، فلن تخلو المسيرة من وجود معارضات وافتراءات وتشكيك وغير ذلك من التحديات. ورغم هذا كله فإن تلامذة هذا الرجل العظيم آمنوا به وبرؤيته، فقد آمنوا به ابتداءً وسيظلون يؤمنون به أبداً.

طوال العديد من السنوات، حدثت انتصارات عظيمة وأزمات خانقة، حروب وتهجير، أفراح ومآتم، أزمات مالية وشركات تصفي أعمالها، وعمليات إعادة تنظيم وإعادة هيكلة، وجني مكاسب ووقوع خسائر وجني المزيد من المكاسب؛ العمل والتحدي كبيران وبلا نهاية. وخلال كل هذه النجاحات والإخفاقات والانتصارات وتقلبات الحياة، فإن ما يبقى في النهاية ليس القصص الفردية، بل الموضوعات العظيمة والمعاني المستلهمة منها.

إن مكانة الدكتور طلال أبوغزاله، كرجل عظيم صاحب رؤية وهدف وإنجازات متشعبة، قد وضعته في مصاف الملوك والأمراء والوزراء والسفراء وقادة نظام التجارة العالمية، وكان هذا هو الوسط الذي عمل فيه بشكل عبقري لعشرات السنوات. مشوار أبوغزاله نحو القمة وتربعه على عرش النجاح عالمياً مر عبر محطات عديدة أبرزها عمله عضواً بالبرلمان، ومديراً أو عضواً بهيئات الأمم المتحدة التي لا حصر لها وغيرها من المنظمات الدولية متعددة الأطراف، ورئاسته لشركة قابضة عالمية تتفرع منها مجموعة من شركات الخدمات المهنية، وشركات استشارية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومؤسسات تعمل في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية. ورغم النجاحات التي حققها والتكريمات التي نالها طوال هذه السنوات، لم ينس الدكتور طلال أبوغزاله أو يتنكر أبداً لجذوره كصبي لاجئ بدأ العمل منذ نعومة أظفاره لدعم أسرته ومجتمعه. ولأنه ظل يشعر بالوفاء لجذوره ويتفاخر بها بين الناس، فقد ملكه هذا الشعور حتى وصل إلى علاقاته مع كافة موظفي شركاته، لا سيما أولئك من هم في أدنى درجات السلم الوظيفي، كالحراس أو عمال البوفيه أو السائقين أو المستخدمين. استشعر هؤلاء الأصدقاء والزملاء أنه رغم بعد مراكز عملهم عن الاحتكاك المباشر به إلا أن رئيس الشركة المحبوب ينتمي إليهم ويعاملهم معاملة الند للند وليس معاملة رئيس لمرؤوسيه، فهو رجل الناس عن جدارة.

الدكتور طلال أبوغزاله والتواضع قرينان لا يفترقان، فالرجل ينسب الفضل في النجاح الذي حققه-والذي تعدّى حدود خيال ذلك الصبي الصغير-إلى الشركاء

والموظفين والحلفاء في شركاته. فدائماً ما يردد أن نجاح أي مؤسسة يتوقف على أفرادها وثقافتهم، لذا فقد جعل من التطوير المهني والإنساني للموظفين والعاملين اللبنة الأساسية لإنجازاته. يأتي هذا انطلاقاً أيضا من إيمانه الفعلي بالإمكانات والقدرات الهائلة الفطرية التي يمتلكها كل فرد، سواء أكانت هذه القدرات نشطة أم كامنة. فما كان منه إلا أن ساعد هذه المواهب الكامنة على الازدهار، وعمد إلى التوجيه والتعليم وتشجيع التنمية البشرية للمجتمع عن طريق دعم أولئك الذين تدور حياتهم مباشرة في فلكه ودائرة تأثيره، وكان هذا هو الأسلوب الذي ترجم به حبه الأبوي إلى واقع ملموس وأدخله في دائرة الفعل. وهذا هو الميراث الإنساني في أسمى معانيه، وهذا ما يفسر مشاعر الحب الهائل والعرفان والتقدير التي يكنها كل فرد من أفراد عائلة شركات طلال أبوغزاله لهذا الرجل.

هذا الرجل العظيم جاد عليَّ برؤيته وتوجيهه ومنحني ثقته وصبره، وإنني-مثلي في ذلك مثل سائر من ينضوون تحت لواء معلم حكيم طيب القلب-لا أملك إلا أن أقدم الشيء الوحيد، وهو أفضل ما يمكن أن يقدمه أي شخص ألا وهو الإخلاص، والذي لا يمكن منحه واختزاله في بادرة واحدة مهما عظمت، بل يُمنح في كل لحظة وعلى مدار الأعوام جميعها، لأنه يتراكم عبر المواقف وهو كالجوهرة التي يلمع بريقها بعد صقلها بحرارة لآلاف اللحظات.

**بكل إخلاص وامتنان،**

**أقدم جزيل شكري للدكتور طلال أبوغزاله**

# القسم الأول

ولد طلال أبوغزاله في ٢٢ نيسان ١٩٣٨، في مدينة يافا، من أب فلسطيني وهو الحاج توفيق أبوغزاله، ومن أم سورية هي أديبة عطا جبري. وتعتبر يافا من أهم مدن فلسطين التاريخية، ومن أقدم الموانىء في العالم، وقد اضطر طلال الى مغادرتها قسراً برفقة عائلته عن عمر لم يتجاوز العشر سنوات نتيجة احتلال العصابات الصهيونية لها ولقسم من فلسطين (أولاً)، فلجأ الى لبنان حيث نشأ وتعلم (ثانياً)، وانخرط في السياسة لفترة قصيرة اثناء تحصيله العلم في الجامعة الاميركية (ثالثاً).

# البدايات القاسية

# أولاً
# الخروج القسري من يافا

## الدخول طوعيا في مدرسة توفيق أبوغزاله!

كان توفيق أبوغزاله، والد طلال، في عداد الشخصيات المرموقة في يافا. سجل ابنه في المدرسة الارثوذكسية في مدينته، وعندما أجبر على الرحيل عن فلسطين الى الغازية في لبنان أدخله الى المدرسة الاميركية البروتستانتية في صيدا. حفظ طلال من هاتين المدرستين ان جوهر الديانة المسيحية هي المحبة. ويذكر قول الانجيلي يوحنا: "إذا كنت لا تحب اخاك الذي تراه، فكيف لك ان تحب الله الذي لا تراه".

ترك هذا التعليم أثره في وجدان طلال، وبات يؤمن ان اقوى سلاح في الدنيا هو المحبة، وذهب بعيدا في ايمانه فقال: "أكثر شيء أثّر في مسيرتي هي محبة الناس، وميزة المحبة انها متبادلة: إذا انت أحببت شخصاً لا يمكن لهذا الشخص ان يكرهك. الحب مرض معدٍ". وقد اخترق هذا "المرض" اعماق طلال الداخلية، فعندما يقابل انساناً للمرة الاولى فإنه لا يفتش عما فيه من مساوئ، بل عما فيه من حسنات، سواء في شكله ولباسه وجلوسه وأجوبته وحتى ضحكته، ويضيف: "أفتش فيما هو جميل في هذا الانسان لكي أحبه، وعندما يشعر الآخر أني احبه يحبني".

لا يتردد طلال من الافصاح بأن فلسفة المحبة اساسية جداً في حياته، "وقد جعلت مني منذ البداية انساناً سعيداً لان الحب يولد السعادة بعكس الكره الذي يضّر بصاحبه أكثر مما يفيده. والصحيح ان المحبة لم تحقق لي النجاح في عملي فحسب، بل حققت لي راحة نفسية، فأنا انام بهناء وبالي مطمئن لاني أحب".

فاجأني طلال باستشرافه جوهر المسيحية بأنها تقوم على المحبة، وهذا ما لا يدركه الكثير من المسيحيين، وشرح لي أنه اعتمد المحبة قاعدة عمل في حياته، وجاءت شروحاته لهذه القاعدة أفضل من شروحات الكثير من اللاهوتيين.

وما ان يفكر طلال بيافا حتى يحّن الى والده توفيق أبوغزاله الذي كان من جملة ما يملك "بيارة" برتقال، والمدينة مشهورة ببرتقالها اليافاوي. اصطحب الوالد طلال من دون اخوانه واخواته ليعرفه على هذه الارض "لاني كنت أحظى لدى والدي بمكانة مميزة رغم أني لست الابن البكر".

يفخر طلال بوالده الذي كان من اصحاب المبادرات الجريئة. فهو أول من صنّع الواح الثلج في يافا في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، وكان الناس يقصدونه ليشاهدوا بأم العين كيف تتحول المياه الى لوح من الثلج، ويعلق طلال ضاحكاً: "في تلك الايام كانت هذه العملية تندرج في نطاق التكنولوجيا المتقدمة.

وفي ظل الاحتلال الاسرائيلي لم يتوافر اي نقل عام بين يافا والقدس، فأقدم والد طلال على تأسيس شركة نقل اسماها "شركة باصات يافا-القدس"، وكانت مخصصة لنقل الاشخاص بين المدينتين. كما كان الوالد يملك فندقاً في يافا يقع في شارع الملك غازي سابقاً، شارع ماجن ابراهام حالياً، استولى عليه الصهاينة عام ١٩٤٨ ووزعوه بداية شققاً صغيرة سكنتها عائلات يهودية، وحولوه مؤخراً في ايار ٢٠١٦ الى أحد المعالم التاريخية، ما حمل طلال على الطلب من محاميه استشارة لتحديد الطرق القانونية لاستعادة ملكية والده.

وكان الوالد أيضاً وكيلاً لمعظم شركات البترول والزيوت الكبيرة منها Exon و Esso. ويذكر طلال في هذا الصدد انه اندلع يوماً حريق هائل قضى على مخازن البترول والزيوت العائدة لوالده فوصل أحدهم مهرولاً حيث كان والده يرتشف القهوة مع اصدقائه وقال له: "حلت كارثة كبيرة". فسأله الوالد: "خير، ما الخبر؟"، أجابه حامل الخبر وهو يلتقط أنفاسه: "احترقت كل المخازن بالكامل". ظهر بعض الارباك على وجه الوالد الذي سأل: "هل هناك ضحايا؟"، فجاء الرد سلبياً، فعلق والد طلال بكل هدوء: "بسيطة من عملها بيعمل غيرها"، واستدار الى حامل الخبر ليسأله: "هل هذا هو الخبر السيء؟". هزَّ المخبر برأسه، فاستطرد توفيق يقول: "هذا ليس خبراً سيئاً، والجيد فيه ان الحريق لم يصب احداً من العاملين او المارين، هذا اهم بكثير من حريق المخازن!".

وطالما الشيء بالشيء يذكر، يروي طلال أبوغزاله انه شاءت الصدف بعد سنوات طويلة انه كان على الغداء مع اصحابه بمنزله في بيروت، فجاءه اتصال هاتفي من الخُبر يعلمه أن المكتب احترق بالكامل بكل ما فيه من ملفات، ولم يبق منه شيء. بادره طلال بالسؤال على غرار ما فعل والده: "هل أحد اصيب؟" فجاءه الجواب بالنفي فعلق: "ما في مشكلة". قالت له زوجته نهى سلامه التي كانت تسمع المكالمة: "لم تسأل ماذا حدث بالمكتب؟"، فقال لها طلال: "هذا السؤال اطرحه في مرحلة لاحقة، في الوقت الراهن الاهم انه لم يصب أحد بأي أذى، والحمد لله، هذا يكفيني الآن".

تعلم طلال في مدرستين: مدرسة والده ومدرسة الحياة.كان والده توفيق أبوغزاله نموذجه الأخلاقي والأنساني. عمل الوالد في شبابه في الجيش العثماني، ثم انتقل الى العمل في التجارة وكان يردد على مسمع ولده: "التجارة ثلثي الامارة".

لا تغيب صورة الوالد عن ذهن طلال الذي كان يرى فيه: "الاب الحكيم والصلب"، وقد أخذ عنه العقلانية في مواجهة المشاكل وايجاد الحلول الملائمة لها، والعناد في مقاومة التحديات والصعاب وعدم الانصياع لها.

تظهر الابتسامة على محيا طلال عندما يتكلم عن طباع والده فيروي انه مَثُلَ مرة امام المحكمة مطالباً خصمه بأن يرد له مالاً استقرضه منه، وكان القاضي مقتنعاً بوجهة نظر توفيق أبوغزاله، وحسماً للموضوع طلب القاضي من أبوغزاله ان يقسم اليمين القانونية: "ارفعْ يدك، وقلْ انا اقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق". لم يستجب توفيق الى مطلب القاضي وقال له: "انا توفيق أبوغزاله كلمتي هي الصدق ولا تحتاج الى قسم، من دون القسم أقول الصدق، ولا اقسم بالله لاقول الحق". شرح له القاضي اصول المحاكمات المدنية، لكن الوالد اصّر على موقفه بأن لا يقسم اليمين القانونية، وخسر قضية كانت رابحة.

استخلص طلال من والده درساً بليغاً في الكبرياء والنزاهة لن ينساه. تعلم أن لا ينحني امام أحد، وان يتمسك بالمبادىء ولو على حساب المصالح. ولمن يقول له: "عندي مصلحة"، اعتاد طلال ان يجيبه: "قل عندي مبدأ، لان المبدأ يحقق المصلحة وليس العكس".

لا ينسى طلال أن والده كان أمّياً، غير انه حرص على تعليم أولاده، وأدرك بحدسه ان العلم هو السلاح الوحيد الذي بقي بيد الفلسطينيين بعد ان هجّرهم الصهاينة من ارضهم، وسلبوا ممتلكاتهم واموالهم. يقول طلال في هذا الصدد: "بعد تهجيرنا من فلسطين،

أدرك والدي ان ابناءَه يحتاجون الى سلاح لم يحصل عليه، وهو سلاح العلم الذي يمكننا ان نحمله معنا حيثما حللنا، ومهما كنا فقراء، وبصرف النظر عما يخبىء لنا المستقبل".

تمتع توفيق أبوغزاله بالمهابة والشخصية القوية، وكانت العائلة تطيعه طاعة عمياء. ويخبر طلال انه عندما كان يحضر يقف له الجميع ولا يجلسون الا بعد ان يأذن لهم، ولا يبدي أحد رأياً الا إذا سأله الوالد. كان يوقظ اولاده على طريقة الجيش التركي ويصرخ بهم: "Uyan,askerler"، ما يعني بالعربية "استيقاظ ايها الجنود"، وكان يردد على مسامعهم: "الله يوزع الارزاق قبل بزوغ الشمس، فمن نام بعد بزوغها يذهب رزقه لغيره".

ويضيف طلال: "في لبنان كنا أحد عشر شقيقاً وشقيقة نفترش الارض في غرفة واحدة تستخدم ايضاً كغرفة استقبال ودراسة. يدخل علينا الوالد ويعدنا واحداً واحداً على الطريقة العسكرية ليتأكد ان لا أحد غائب، ثم يغلق الباب وراءَه بالمفتاح. كان يتعامل معنا بصرامة وبمنطق السلطة الابوية الكاملة، وهذا امر جيد، وقد طغت عليه تربيته العسكرية".

يكرر طلال اقوال والده وكأنها حكم ووصايا وقد قال له مرة: "ان الانسان هو الذي يصنع الوقت"، وعندما سأله طلال ما يعني بـ "صنع الوقت" اجابه الوالد: "دعنا نفترض أنك تنام ثماني ساعات، فالمتبقى من اليوم هو ست عشرة ساعة ... ان كيفية تمضية تلك الساعات بيدك، هذا ما اسميه "صنع الوقت"... بوسعك ان تجعل هذه الساعات المتوافرة لك مثمرة، وبوسعك ان تجعلها عقيمة، القرار قرارك...".

وفيما كان يزور طلال مع والده البيارة في احدى المرات ويأكلان البرتقال معاً قال له الوالد مرة: "وصيتي لك ان لا تشتغل بالسياسة، ولا بالسلاح، ولا بالمخدرات، واعمل ما تريد في باقي المضامير. وإذا اردت رأيي اشتغل في مضمار التجارة، ولا تغرّنك السياسة والسلطة والشهرة. تفرغْ للتجارة، فالتجارة كما يقول المثل، هي ثلثا الامارة".

كان طلال مقتنعاً بوصية والده بان يشتغل بالتجارة، لكن مهنة المحاسب القانوني كانت تحول دون ان يكون صاحب شركة تجارية: كيف يدقق بحسابات شركة تجارية وهو تاجر؟ قرر التركيز على عمله في مهنة المحاسبة والتدقيق اي الخدمات الفنية التي تخدم الاقتصاد، وجعل منها رسالته، والتي اصبحت شعاره فيما بعد: "أَخدمُ الاقتصاد العربي من خلال تقديم الخدمات التي تبني القدرات العربية".

يروي طلال ان والده علّمه السباحة وهو في الثمانين من العمر، وسجل له قطعة أرض صغيرة لا تتعدى مساحتها ٢٥٣ متراً مربعاً، وهو في الرابعة من العمر، وقيمتها أربعماية جنيه فلسطيني، ويردد طلال مفاخراً: "ما زلت احتفظ بسندها العقاري بموجب شهادة تسجيل صادرة عن حكومة فلسطين في ١٨ نيسان ١٩٤٢، وهذه الشهادة عزيزة على قلبي"، ويضيف: "فهمت باكراً رسالة والدي بأن هوية الانسان هي أرضه، وارتباط الانسان بأرضه هو الارتباط الأقوى بعد ارتباطه بربه. الله ثم الارض هما أسمى ما في هذا الكون". باختصار يرى طلال في والده نموذج الأب الصالح والانسان النزيه والمحترم الذي عرف البحبوحة في وطنه والشقاء خارجه، وقد توفي في المهجر عن عمر ناهز المئة وسبع سنوات وفي قلبه حسرة العودة.

وتشاء الصدف ان يُحي الفلسطينيون في ١٥ ايار ٢٠١٦ الذكرى الثامنة والستين للنكبة، فدعوا الى مسيرات حاشدة عمت مختلف مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد رفع البعض منهم ما يشبه السفينة واسموها "حلم يافا"، وبرز الاطفال الذين ارتدوا الزي الفلسطيني التقليدي، وحملوا مفاتيح رمزية مرددين "عائدون الى يافا"، وذكرّوا السامعين بوجوب "احضار المفاتيح وعدم نسيان اوراق الطابو". اما طلال أبوغزاله فلا يحتاج لمن يذكره، فمفتاح البيت معلق في مكتبه داخل برواز بعد ان سلمته والدته الى شقيقته التي سلمته بدورها اليه، وهو يعلق مبتسماً: "جعلتُ المفتاح بمتناول الجميع كي لا يصعب على أحد منا فتح باب بيتنا في حال العودة". كما يحفظ طلال في ارشيفه السند العقاري لقطعة الارض التي سجلها له والده. المفتاح رمز العودة، والطابو رمز الحق.

## اخرجوا من منازلكم وتوجهوا إلى الشاطئ... صوت لن أنساه

يذكر طلال انه كان واقفاً على سطح البيت عندما سمع مكبرات صوت تجول في شوارع يافا وتنادي أهاليها باللغة العربية: "اخرجوا من منازلكم وتوجهوا الى الشاطىء لسلامة العمليات العسكرية".

ظنَّ الاهالي ان هذا النداء صادر عن الجيوش العربية التي وصلت لتحارب العصابات الصهيونية، وهي تطلب من مواطنيها إخلاء المكان لتحريره. وتبين لاحقاً "اننا وقعنا في خديعة عسكرية اذ كانت السيارات التي تجوب الشوارع وتنادي بالعربية هي سيارات اسرائيلية، وكان القصد منها تفريغ المدينة من اهلها ليسهل إحتلالها".

وفي الواقع أُفرغت يافا من سكانها بنسبة كبيرة، ولكن السكان الذين علموا ان النداء صادر عن العصابات الاسرائيلية بقوا في أرضهم، ورفضوا المغادرة، ودارت معهم معارك ضارية، وارتكب الصهاينة فظائع بحق المدنيين الفلسطينيين لانزال الرعب الى قلوبهم، واجبارهم على المغادرة.

أما طلال وافراد عائلته فقد غادروا يافا على غرار معظم الاهالي الذين اعتقدوا ان خروجهم موقت، وانهم راجعون فور انتهاء المعارك. ولكن عندما اجبرت العصابات الاسرائيلية كل من وطأت قدماه المرفأ ان يصعد الى السفينة، أدرك طلال، رغم صغر سنه، انها رحلة المنفى الى المجهول، فوصف حالته النفسية بقوله: "تركنا كل شيء: اغراضنا، أموالنا، منازلنا، حافلاتنا، مزارعنا، والتين والبرتقال والقمح والزيتون. كنت حزيناً وأدركت بحدس الطفل الذي لا يتعدى العاشرة من عمره، أني فقدت كل شيء".

من جهتي عايشت حالات كثيرة من تهجير اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين خلال حرب لبنان، وخلال حروب اسرائيل ضد لبنان، وخلال القتال الذي انفجر في ظل ما سمي بـ "الربيع العربي"، ورأيت الرجال المسنين والنسوة والشباب والاولاد والاطفال ينتقلون من حال الى حال، لكني لم اعرف سوى حالة واحدة تمثلت بطلال أبوغزاله الذي وعى، وهو في العاشرة من العمر، انه فَقَدَ كل شيء، وطُرد من ارضه، وخسر وطنه، وبات مجهول المصير. ليس لهذه الحالة سوى تفسير واحد وهو ان طلال يتمتع بذكاء مفرط منذ الصغر.

لا تغيب رحلة النفي المشؤومة عام ١٩٤٨عن ذهن طلال رغم مرور سبعة عقود على وقوعها، فهو يذكر تفاصيلها وكأنها حدثت البارحة. وقد لمستُ ان وجدان طلال مطبوع بطابع رحلة المنفى، يتذكر مجرياتها وتتوالى امامه فصولها واشباحها. وحدها قوة الارادة تغلبت على تلك الاشباح وقهرتها لمجرد ان طلال أدرك في اعماقه انه لا يدخل مع الصهاينة في صدام عسكري او نزاع سياسي فحسب، بل هي معركة وجود بامتياز، وان أفضل طريقة للانتقام من العدو ليس محاربته عسكرياً بل التفوق عليه فكرياً.

يروي طلال: "ان الباخرة التي أقلتنا كانت مخصصة لنقل البضائع وليس لنقل الركاب. وكنا مكدسين فوق بعضنا البعض في مهب الامواج العاتية التي تسببت بحالات الغثيان والتقيؤ، اضافة الى تصاعد وتيرة الذعر الى اعلى درجاتها".

يشدد طلال على أن أهالي يافا لم يختاروا بمشيئتهم مغادرة ارضهم والوطن، بل اجبرتهم عصابات الصهاينة على الصعود الى السفينة وجعلتهم لاجئين بالقوة، ودفعوا جزية حرب غير متكافئة بين عصابات مسلحة تقتل وتشرد وتدمر، وأهالٍ مسالمين هم اصحاب الارض لا حول لهم ولا قوة يساقون خارج بلادهم على الرغم منهم. وفي الواقع ارتكبت عصابات الصهاينة جرائم كثيرة ضد الفلسطينيين لا بل ضد الانسانية، وذاق الفلسطينيون خلال النكبة طعم المذلتين: مذلة الاحتلال الاسرائيلي، ومذلة اللجوء الى الخارج، وباتت النكبة جرحاً مفتوحاً لا تشفيه الا العودة.

وليكتمل مشهد المأساة توفي أحد الركاب الفلسطينيين وهو على متن الباخرة. فدار الجدل حول ما يجب فعله بالجثة: الاحتفاظ بها لدفنها في اليابسة على ما يقتضي الواجب الديني والانساني ام رميها بالبحر كي لا يتعرض ذلك الجسد الطاهر للتلف ويصبح جيفة تنهشها الطيور. فوجئ الطفل طلال بالركاب يقررون التخلص من الجثة فألقوها في البحر. صدمة طلال لا توصف: للمرة الاولى في حياته يرى انساناً ميتاً، وللمرة الاولى يرى ميتاً يرمى في البحر!!

تحت وطأة هذا المشهد السريالي لم يعد يشعر طلال بامواج البحر العاتية، وقد تلاطمت في داخله امواج الغضب بامواج الانتقام: "الغضب على الصهاينة الذين تسببوا بتهجيرنا، والرغبة بالانتقام منهم". لكن الغضب كان الأقوى، ولو قدر لطلال في تلك اللحظات رمي الغاصبين احياءً في البحر ليلحقوا بجثة الفلسطيني فإنه لم يكن ليتوانى.

شاهد طلال باكراً وبأُم العين هول الاغتصاب الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، لكنه لم يخنع للقوة الغاصبة فقال: "صحيح ان الرعب انتصر على الارادة، وتصورتُ غراب الموت يطفو فوق الرؤوس، وشعرتُ بمرارة الظلم والقهر وبربرية القوة الغاشمة التي تتسلط على الحقوق المشروعة، وصرتُ لاجئاً ومهجراً ومنفياً بعيداً عن وطني، لكني كنت مصمماً على البقاء ومنازلة العدو".

فجأة كَبِرَ الطفل ابن العاشرة فصار مقاتلاً يصبو الى "الانتقام من عدو سرق الارض والتاريخ"، وعلى رغم أنه لا يملك سلاحاً، ولا مالاً، ولا هو جزء من تنظيم أو من سلطة، فقد تملكته ثقة بالذات بلا حدود، ووعد نفسه بانه "سيقدم الى العالم عندما يكبر نموذجاً للفلسطيني المقاوم والمصمم على استعادة الأرض، ونشر عظمة التراث الفلسطيني في كل ارجاء العالم، وتقديم الدليل بأن الفلسطينيين يستحقون الحياة، وهم اهل لحق العودة مهما طال الزمن".

يستطرد طلال قائلاً: ”لم اشعر في اي لحظة بحالة اسمها اليأس، وتوسمتُ خيراً عندما سمعتُ من حولي الفلسطينيين يرددون ”مهما كان لح نرجع“. ولا يستغربن أحد انه على الرغم من كل النكبات والنكسات والشكوك، فأنا مقتنع بأنه يمكن القضاء على كل شيء في الدنيا باستثناء القضية الفلسطينية، هذه قضية لن تموت، واليهود يدركون في قرارة أنفسهم أنهم يخوضون معركة خاسرة في نهاية المطاف“.

كيف أدرك طفل وهو في سن العاشرة ان خروجه من يافا يعني خسارة وطن، وان عودته اليه سيكون أمراً عصيا؟ التفسير الوحيد ان طلال طفل يمتلك طاقات عقلية استثنائية وستكبر معه هاتان الصفتان، العقل والحدس، مع تقدمه بالعمر. وتجدر الاشارة الى ان حفنة قليلة من البشر تجمع بين العقل الخلاق والحدس الوقاد: الاول يبني والثاني يستشرف، ومن يجمع بينهما يرتقي الى مرتبة الكبار في عالمه.

يضيف طلال: ”صحيح اننا أُصبنا بالحيرة في بداية الامر، ولكن سرعان ما تحولت الحيرة الى غضب، والشعور بالظلم الى ارادة مقاومة. وصمدت المقاومة وانكشفت كذبة رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق دافيد بن غوريون الذي زعم بان مليون فلسطيني فروا من ارضهم ليس جراء استخدام القوة المسلحة والترهيب ضدهم، بل بقرار طوعي منهم وبتشجيع من الدول العربية! غير ان هذه الكذبة التي انطلت في البداية على العالم باتت مفضوحة وموضوع ارتياب داخل دولة الاحتلال وخارجها بعد أن ارتفعت اصوات عديدة تطالب برفع الحظر عن ملف النكبة السري الموجود في ”ارشيف“ الكيان الاسرائيلي منذ حوالي السبعين سنة، في حين ان المدة الزمنية القصوى لمثل هذا الحظر هي خمسون سنة عملاً بالقوانين الاسرائيلية نفسها. ويكفي اصرار الحكومات المتعاقبة على تمديد هذا الحظر بذريعة انه يمس ”امن اسرائيل وحضورها الدولي“ للاستنتاج ان الفلسطينيين هُجروا بقوة السلاح والترهيب، فيصبح حقهم في العودة الى كل فلسطين قائماً من منظار القانون الدولي، وهذا ما يصرّ عليه طلال أبوغزاله.

ويختم طلال في السياق عينه: ”بالنسبة لي كانت يافا ولا تزال رمزاً لحق العودة، وحق العودة لا يعني ان اغادر هنا لاعيش هناك، بل يعني ان أعود بجنسيتي الفلسطينية. وعندما أتكلم عن العودة لا أتكلم عن غزة والضفة الغربية فحسب ولا حتى عن حدود ١٩٤٨. أنا أتكلم عن يافا قبل القدس وحيفا قبل غزة. وبالنسبة لي فلسطين قضية حق سواء مارسنا هذا الحق أو لم نمارسه، فالحق لا يموت ولا يمر عليه الزمن. وكما ان فلسطين هي قضية وطن محتل فإن هذا الاحتلال سيزول على غرار كل احتلال. ولا يساورني أدنى شك ان الموضوع منتهٍ، وإننا وصلنا الى آخر الطريق. ولم يتغير تفكيري لحظة أُجبرنا على الصعود الى الباخرة التي أوصلتنا الى لبنان، وبالتحديد الى صيدا، ومنها توجهنا الى الغازية“.

# ثانياً
# اللجوء المبكر الى لبنان

## نقطة الصفر!

ألقت الباخرة على ضفاف مدينة صيدا حمولتها من الركاب الفلسطينيين المهجرين قسراً، وهم في حالة عياء وضياع، منهم من استسلم لمصيره وكأنه قدر لا يرد، ومنهم من رافقه حلم العودة وما زال.

يذكر طلال ان والده كان على علاقة تجارية وصداقة حميمة مع إحدى شخصيات بلدة الغازية المجاورة لصيدا، وهو الحاج رضا خليفة الذي ما أن اتصل به الوالد حتى سارع الى الطلب من أحد ابنائه إخلاء المنزل الذي يقطنه لاستضافة عائلة أبوغزاله بكامل أفرادها. "بفضل الحاج رضا، يقول طلال، لم نضطر الى السكن في الخيام، ولم نخضع لنظام اللاجئين في المخيمات، واكتفينا بالحصول على الحصص التموينية التي كانت توزعها وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA)".

تجربة الغازية جعلت من طلال انساناً متفائلاً: "صحيح اننا خسرنا وطناً، لكننا وجدنا أهلاً، وهذه نعمة هبطت علينا، فالحياة تعطيك بقدر ما تستحق، والذي يريد ان يكون سعيداً يجب ان يفرح بما تملكه يداه ويسعى الى الاكثر. وأعني بكلامي انه إذا كان لا بدّ من ان اتغدى، على سبيل المثال، جبنة وعنب لا غير، اتصرف وكأنه غداء ملوكي وأشعر في داخلي بالفعل أني ملك. في المقابل لا اقبل بالمذلة ولا أرضى باليسير وبما قسم لي، بل أسعد بما لدي في الحاضر وأعمل للاكثر والافضل في المستقبل. ورب قائل ان الجبنة والعنب لا يصنعان ملكاً، اجيب: "أليس الجبنة والعنب أكلاً؟ في الاكل كما في الحياة يقرر كل

انسان الى اي حد يريد ان يكون راضياً وسعيداً. السعادة ليست منحة، بل مكسباً تحظى عليه بارادتك.وقيمة كل امرئ ما يُحسنه. انا اليوم سعيد لاني لقيت الخير مع الآخرين".

ولدّت تجربة الغازية لدى طلال "شعوراً بعظمة الانسان العربي، وحسن الضيافة وبالاخص معنى الخير"، وهو لا ينفك يكرر: "لا أقدر ان أصف المعاملة التي أحاطنا بها رضا خليفة وآل خليفة وأهل الغازية".

لم تقتصر مساعدة الحاج رضا عند حدود تأمين المنزل، بل أوصى أصحاب الدكاكين بأن لا يتقاضوا من كل افراد عائلة أبوغزاله ثمن ما كانوا يشترونه من السوق على قاعدة "اننا نحن ضيوفه وهو الذي يقوم بمحاسبتهم". رسخت شخصية الحاج رضا في وجدان طلال الذي يصفه "بالرجل الشهم والنبيل والكريم، وهو نموذج العربي الأصيل الذي يعطي بلا منّة ولا حساب".

لم تعانِ عائلة أبوغزاله ما عانى منه غالبية اللاجئين الفلسطينيين الذين ما كان عندهم مكان كالغازية ولا صديق كرضا خليفة. وكان لهذه الاستضافة تأثير كبير على شخصية طلال فاكتشف ان الدنيا لا تخلو من أهل الخير، وان العالم ليس كله ذئاباً تأكل بعضها البعض، وأن الشعب اللبناني في الجنوب ينظر الى اللاجئين الفلسطينيين بعين التضامن والاخوة. وفي يوم من الايام بينما كان يقطف في ساعة الافطار بعض أكواز التين المزروعة في الاملاك العامة، وقع بصر أحد الجيران عليه فقال له: "تعالَ يا بني وأقطفْ من هذه الشجرات التي أملكها وخذ ما شئت من تين وهو اطيب مما تأكل". أجابه طلال: "لا اريد ان اعتدي على الاملاك الخاصة"، أجابه صاحب الأرض: "كلامك يحرجني، فاذا لم تأتِ صباح كل يوم لتقطف ما تحتاجه من تين، فإني أرى نفسي مضطراً لاشتكي عليك عند الحاج خليفة".

بالطبع كان معظم الفلسطينيين اقل حظاً من عائلة أبوغزاله، فاضطروا الى السكن في المخيمات التي اقيمت على عجل، وتساكنت أكثر من عائلة في الخيمة الواحدة، وأضحت المخيمات مع الوقت بؤر قهر للمقيمين فيها.

اضافة الى كل ذلك، حظي طلال من الحاج رضا بمعاملة استثنائية دون باقي افراد العائلة، فكان يصطحبه الى جلسات مسائية لشرب "المتي"، وهو مشروب ساخن شبيه بالشاي، ما أفسح في المجال امام طلال ليستمع الى أحاديث الكبار حول الاوضاع اللبنانية والفلسطينية والصراع مع العدو الاسرائيلي. كان طلال فرحاً وفخوراً بهذه

الجلسات التي كان يغرف منها الافكار والمواقف التي فتحت امامه آفاقاً جديدة ما كانت تخطر على باله. كبر طلال باسرع من اترابه، وانتقل من الطفولة الى الرشد من دون المرور بسن المراهقة.

صحيح أن الحاج رضا خليفة حاول التقليل من آثار مأساة التهجير واللجوء عن عائلة أبوغزاله، لكن الصحيح أيضاً ان المأساة كانت أكبر من أن تُحتمل، وظهرت واضحة على ملامح والد طلال الذي رفض الذهاب الى مخيم اللاجئين، غير أنه كان يعزّ عليه ان يتقبل المساعدة ولو من صديقه الحميم الحاج رضا. كما كان يعزّ عليه ان يرى زوجته مضطرة لصنع ملابس الاولاد من البطانيات.

## معطف من صوف وعزيمة ورائحة أمي

عَلِقَتْ في ذاكرة الطفل طلال وحفرت في وجدانه صورة امه تحيك له ''جاكيت'' اي سترة من البطانيات لتقيه البرد. وتعمد طلال ان تتصدر كتابه صورته وهو طفل يرتدي البطانية التي خاطتها له امه تدليلاً على مأساة اللاجئين الفلسطينيين. كما قدم له موظفوه لاحقاً صورة ''جاكيت'' تشبه ما كانت تخيط له والدته وعلقها على باب مكتبه في الأردن: ''ان هذه الصورة تعني لي الكثير وأعلقها في مكتبي لأراها صباح كل يوم، فهي تذكرني بطفولتي عندما كنت لاجئاً في عمر العاشرة، ونظراً لوضع والديْ المادي فما كان بامكانهما ان يشتريا لي سترة تقيني برد الشتاء، فقامت والدتي بصناعة سترة من البطانية التي كان يتم تقديمها للاجئين، وكنت افاخر بها اقراني في المدرسة لاني كنت اشعر بالدفء أكثر منهم، ولاني كنت ارتدي سترة من صنع والدتي''.

كانت والدته مثال الام التي قضت حياتها في خدمة زوجها وأولادها والعناية بهم. لم تتذمر من شيء، ولم تطلب لنفسها شيئاً، واكتفت من الحياة بما تيسر لها. رصينة وراضية في زمن اليسر، وقنوعة في زمن العسر، وهي في كل الحالات خزان الذاكرة العائلية، ومثال التفاني في سبيل الآخر.

لا يتوانى طلال عن الكلام في شأن امه أديبة التي عاشت لفترة في فلسطين لان السلطنة العثمانية عينت والدها قنصلاً هناك فتعرفت على توفيق أبوغزاله وتزوجا. ولا يفوت طلال الاشارة الى ان أُمه كانت تعتز بأنها سورية وتفخر انها من بلاد الشام، ويضيف طلال: ''لم تكن والدتي تشعر انها غير فلسطينية، وما كنتُ اشعر بأني غير سوري، من

هذه الحالة انبثق شعوري القومي ليتسع ويشمل كل الامة العربية. وفي ظني ان شعوري القومي العربي هو نتاج زواج امي السورية بأبي الفلسطيني، وإحساسي بأنه ليس هناك جنسيات عربية متعددة، بل هناك جنسية واحدة اسمها الجنسية العربية. وما انتسابي الى حركة القوميين العرب في الجامعة الاميركية سوى تلبية لتكويني كطفل وان شاء الله لا أموت الا وأنا قومي عربي. وقد سألتني مرة مذيعة الـ BBC في احدى مقابلاتي: "ما هي جنسيتك؟" أجبتها: "عربي، انا انسان عربي، انظر الى الامة العربية على انها امة واحدة وقدرها واحد وتراثها واحد".

ولا يحصر طلال دور امه بتربية الاولاد وخدمة الوالد فحسب، بل يرى ان دورها الاهم كان باشاعة المحبة داخل العائلة الكبيرة. وقد تسلمت يوماً رسالة من أخيه الاكبر، ولم تكن تحسن القراءة، فطلبت من طلال ان يقرأ لها مضمونها. فوجئ طلال بشقيقه يشتكي عليه في تلك الرسالة، ويحتج لانه يعيش عيشة متواضعة في حين ان طلال يعيش في حالة رخاء في مرحلة عمله في الكويت. وتوقع طلال ان تقول له والدته: ان شقيقك لا يحق له ان يكتب هذا الكلام، وانت لست مقصراً مع أحد، وكل مدخولك تصرفه على العائلة. غير انه سمع من امه كلاماً يعاكس ما كان يتوقعه: "اخوك معه حق". فأجابها: "هل انا مقصر؟"، ردت عليه: "ولو لم تكن مقصراً، خذ علماً بأني سأكون دائماً ضدك ومع اخوانك، لانك انت القوي وهم الضعفاء. فلا تعتب علي، ولا تلومني، ولا تفهم أني لا احبك، بل العكس هو الصحيح، فلاني احبك كثيراً، عليّ واجب الدفاع عن اخوانك، وأكون معهم ضدك.انتَ لست محتاجاً لاحد ليدافع عنك، انت القوي، اما اخوانك فهم الذين يحتاجون الى دعمي. وما افعله ينطلق من محبتي لك ولهم، وبهذه الطريقة اخفف من شكواهم تجاهك".

لم يستوعب طلال للوهلة الاولى كلام امه، لكنه اكتشف مع الوقت ان الانثى تملك حكمة وحدساً غير متوافرين عند الرجل الذي يحسب الامور بشكل براغماتي وعقلاني، ولا يأخذ في الاعتبار المشاعر والعواطف. اما والدته فكانت تقارب المسائل على اساس مشاعر الاخوة تجاه بعضهم البعض، وتجاه طلال بصورة خاصة، فحافظت على الالفة داخل العائلة. وعندما قالت كلمتها لصالح اخوانه سارع طلال الى الاتصال بشقيقه وقال له: "ان كل ما اكسبه ارسله الى العائلة على اساس ان الوالدين يوزعان المال حسب الحاجة. فاذا حصل تقصير او تأخير من قبلي اطلب منك ان تسامحني".

على اثر هذا الاتصال عادت المياه الى مجاريها داخل العائلة، وتعلم طلال انه لا يكفي اخذ موقف الدفاع او الهجوم، بل يقتضي الاخذ بالاعتبار مشاعر الآخر وعواطفه. العقل

وحده لا يكفي، بل يقتضي ارضاء شعور الآخر ايضاً. هذه امثولة تعلمها طلال من امه، وهو يعمل بها في حياته ومع كل الاطراف. فلا يكفي اتخاذ القرار على قاعدة الصح والغلط، بل يقتضي احتساب قاعدة المشاعر. فالقرارات العقلانية ليست دائماً القرارات الاكثر تاثيراً في الآخر، بل ان القرارات التي تأخذ المشاعر بعين الاعتبار يتقبلها الناس بصورة أفضل. فكل انسان يتكون من عقل وعاطفة، ويقتضي ان تخاطب فيه لغة العقل والعاطفة على السواء.

يصرّ طلال على ان يروي قصة الايام الاخيرة التي قضاها في المستشفى مع والدته قبل وفاتها. وقد اعتاد عندما كان يعمل في الكويت ان يتردد على لبنان إما في إطار العمل واما لزيارة الاهل. وعندما يصل الى مطار بيروت، وقبل ان يتوجه الى الفندق، كان يذهب الى المنزل العائلي حيث كانت تنتظره والدته، وفي طريقه الى المطار كان يمرّ عليها مودعا. وما كان بمقدوره ان ينام في منزله العائلي المؤلف من غرفة واحدة وصالون: الغرفة مخصصة لمنامة الوالدين والصالون هو للاستقبال والأكل والنوم لباقي العائلة.

توجه طلال ذات مرة في العام ١٩٧٠ الى المنزل العائلي على عادته قبل مغادرته بيروت، فرأى والدته منهكة تئن من الوجع وهي تهذي في كلامها. سأل عن السبب، فقيل له انها مصابة بحمى نتيجة البرد، لكنه أحسّ بأنها تعاني بأكثر من "بردية" عابرة. أتصل بمستشفى الجامعة الاميركية وطلب لها سيارة اسعاف وأخضعها لفحوصات عامة تبين من خلالها انها تعاني من مرض نادر يسمى "السحايا"، وهو ليس حمى عابرة بل مرض عضوي، وسرعان ما دخلت الوالدة في غيبوبة كاملة. ألغي طلال على الفور سفره وكل مواعيده، وبقي الى جانبها نهاراً وليلاً طوال خمسة عشر يوماً. كان ممنوع عليه ان ينام معها في الغرفة، فكان يجلس على كرسي امام الباب طوال الليل لا يغادرها فيؤتى له بسندويش يتناوله، ويستحم في الحمام العام المجاور لغرفتها.

أخبره الطبيب انه يعالج حالة تحصل معه للمرة الأولى: "أمك في غيبوبة كاملة ولا تحس بأحد ولا بأي شيء، ونحن نضطر الى نكزها بالابرة لنتأكد من انها ما زالت على قيد الحياة، لكننا في كل مرة ننكزها فبدل ان تصرخ "آخ" تقول "طلال". ويضيف الطبيب: "بداية استغربت أنك قاعد على الباب ليلاً نهاراً، ولكن بعد أن سمعت والدتك تناديك وهي في غيبوبة كاملة أدركت ان بينكما علاقة روحية نادرة، وهي ظاهرة فريدة من نوعها". وكان تعليق طلال: "اشعر بمحبة غير عادية تربطني بوالدتي، وهذه حالة أنعمها الله عليّ، وانا رجل سعيد لاني أحظى بمحبة الوالدين".

توفيت الوالدة قبل الوالد مع انه يكبرها بثلاثين سنة وفي أثر وفاتها تبدلت طبائع الوالد الذي فَقَدَ الرغبة بالعيش، وصار انساناً آخر. كان تأثير وفاة الوالدة على الوالد كبيراً. وقد تعلم طلال من علاقتهما الحميمة قيم المحبة والمسؤولية، وطبق هذه القيم على نفسه وتجاه كل افراد عائلته، فهو يقف الى جانبهم على الدوام، ويحلّ الخلافات فيما بينهم، ويلبي حاجاتهم، ويساعدهم على حل المشاكل التي يتعرضون لها.

## منحة برغم المحنة... ومطر بلل الجسد وغسل الروح

في هذا السياق، كلفه والده مرة وهو في الخامسة عشرة من العمر، ان يحل مشكلة اخيه الاكبر زكريا الذي كان يناهز الثلاثين، وكان يعمل مدرساً في وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى (الاونروا) في بيروت، وقد طردته الوكالة وأبلغته الامر شفهياً ومن ثمّ خطياً. وبالسؤال قال زكريا: "انا غلطان، لا أستطيع ان استيقظ على الوقت، وأصل على الدوام متأخراً".

طلب طلال من شقيقه الاكبر ان يرافقه الى المدرسة والتقيا بالناظر فبادره طلال بالكلام: "أنتم انهيتم عمل شقيقي ومعكم حق، ولكن والدي رجل عمره ٩٨ سنة ونحن عائلة من ١٣ فرداً نعتاش من راتب زكريا، ونحن فلسطينيين لاجئين ولا عون لنا". سأله الناظر: "ماذا تريدنا ان نفعل ان يكون عندنا صف فيه تلامذة وما فيه استاذ؟" أجابه طلال: "بالطبع لا. أنا لا اطلب منك أن تلغي قرار الطرد الذي اتخذته، بل ارجوك ان تعطي شقيقي فرصة ثانية فتعيده الى التعليم في المدرسة لمدة شهر، وإذا لم يحضر كل يوم قبل الوقت نفذ قرار الطرد به بصورة نهائية، وانا أكفله".

ما ان سمع مسؤول المدرسة كلام طلال، وهو الولد الصغير الذي يتبرع بكفالة شقيقه الكبير حتى راح يضحك، وقال مستغرباً: "انت تكفله؟" اجابه طلال: "هذا هو الوضع". ضحك الناظر وقال: "ماشي الحال، فلنجرب".

في طريق العودة الى المنزل قال طلال لزكريا: "هذه فرصتك الاخيرة، أوقفْ السهر كل ليلة، واسهر فقط في نهاية الاسبوع. وخلينا نسترزق، وخليك منتجاً ومحترماً ومفيداً بدل ان تقبع في البيت نائماً"، أجابه زكريا: "موافق ولكن كيف استفيق؟" قال له طلال: "لا تهتم انا استيقظ وأوقظك معي". وهكذا استمر زكريا في العمل.

يروي طلال قصة اخرى حصلت معه عندما انتقلت العائلة من صيدا الى بيروت، فجمع كل المستندات المطلوبة ليتسجل في مدرسة المقاصد الاسلامية الخيرية، لكن المسؤول الاداري سأله: ''أين القسط؟'' اجابه: ''لا املك منه ليرة واحدة''. استغرب المسؤول الجواب: ''لماذا أتيت بكل هذه الاوراق وضيعت وقتي، فهل تعرف مدرسة بلا اقساط؟'' وأعاد لطلال ملفه وطلب منه المغادرة.

استفسر طلال عن محل اقامة رئيس مجلس المدرسة محمد سلام، وكان رجلاً خلوقاً ومحترماً، فقصده في منزله. سألته مدبرة المنزل إذا كان لديه موعد شخصي فأجابها بالنفي، غير ان سلام استقبله واستمع اليه وكان جوابه يشبه جواب المسؤول الإداري: ''ان مدرسة بلا أقساط تغلق أبوابها''. قال له طلال: ''عندكم منح''. ردّ سلام: ''المنح للمتفوقين وقد انتهت المهل''. ألحّ طلال: ''انا عندي اقتراح. أدخلني فصلاً واحداً من دون ان ادفع القسط مسبقاً، وإذا لم احتل المرتبة الاولى، ليس في مجموع المواد بل في كل مادة على حدة، أطردني، انت لا تخسر شيئاً، في الصف ثمان وعشرون طالباً أكون أنا التاسع والعشرين، هذا الامر لا يضيف عليكم مصروفاً ولا يكبدكم اي خسارة''. سأله سلام: ''الى هذا الحد انت واثق من نفسك؟'' أجابه طلال: ''انا عندي أكثر من الثقة، انا محتاج ولازم اتعلم حتى أستطيع ان اعيل أهلي''. استفهم سلام عن الاهل فشرح طلال وضعه العائلي، وختم كلامه بالقول: ''إذا لم تعطني هذه الفرصة وتجربني فأنا سأدور في الشوارع ابيع علكة شيكلس!''.

نظر محمد سلام الى طلال، وكأن الله هداه، فجلس وراء مكتبه وأخذ ورقة وخطّ عليها بيده: ''يُقبل التلميذ طلال أبوغزاله في المدرسة لفصل واحد ومن دون ان يدفع القسط سلفاً وبمنحة شخصية مني شرط ان يحتل المرتبة الاولى في كل مادة من مواد التعليم. ويستمر في الدراسة طالما انه يحقق هذا الشرط''.

أخذ طلال المكتوب وقدمه للناظر الذي علق قائلاً: ''لم اسمع في حياتي بمنحة مقدمة ومشروطة، هذا موضوع كبير لا أقدر ان اتحمله لوحدي، فعليك ان تراجع المدير السيد زكي النقاش''. ذهب طلال الى زكي النقاش الذي قال له: ''هل انت فاهم معنى كلامك؟ كيف يمكنك ان تكون الاول في كل المواد؟ فالواحد يكون عقله أدبياً او رياضياً، انت تدعي أنك الاثنين وأنك ستكون الاول في كل المواد؟'' أجابه طلال: ''أنا مضطر والذي لا بديل عنده عليه ان يعمل المستحيل. هذا التحدي أطرحه على نفسي أمامكم وآمل ان لا أفشل ولا اخيب حسن ظنكم بي''. هزّ زكي النقاش برأسه وقال: ''اتكل على الله!''.

حافظ طلال لاحقاً على علاقته بزكي النقاش وأخذ عنه جملة تحولت الى منهجية حياة وهي: "ما كتب قرّ وما حفظ فرّ"، وتعني ان ما يُكتب خطياً يبقى وما يُحفظ في الذاكرة يُنسى. وعملاً بهذه المقولة، اعتاد طلال ان يضع دائماً الى جانبه ورقة وقلماً سواء في المكتب او في السيارة او في الطائرة وحتى قرب سرير النوم. فاذا ما وردت فكرة يسارع الى تدوينها ويبلغها لمن يلزم فتصير قراراً. وقد حملته مقولة النقاش الى اعطاء اهمية قصوى لدائرة التوثيق في شركاته. ويقول في هذا الشأن: "كل واحد يعمل معي يعرف انه إذا لم يرسل لي تمهيداً للقائي محضر الجلسة التي سبقت فاني لا اجتمع به. لا أقبل التعامل مع أفراد الشركة على قاعدة القيل والقال، بل يقتضي صياغة محضر خطي يتضمن خلاصة الاجتماعات".

وفي عودة الى البدايات القاسية، فإن طلال ابتكر وسائل غير معهودة لتأمين الاقساط المدرسية. وكرر أمامي بأن القدر ساعده، فلم يدفع ليرة لبنانية واحدة بدل اقساط مدرسية منذ لجوئه إلى لبنان الى حين تخرجه منها. وقد نال المنح سنة بعد سنة لاحتلاله المركز الاول في كل المواد. وما ان أنهى دراسته الثانوية حتى راح يفتش عن منحة جامعية ليكمل تعليمه. ومن حسن الطالع ان الاونروا (UNRWA) أعلنت في العام ١٩٥٦ عن تقديمها للمرة الاولى منحة جامعية واحدة تُعطى للطالب الفلسطيني الاول في كل لبنان.

تقدم طلال الى امتحان الاونروا واحتل المرتبة الاولى، ونال منحة لسنواته الجامعية، وكان ينهي كل سنة جامعية برتبة "متفوق بامتياز". المعاناة أجبرته على التفوق وصار التفوق عنده متعة. فبدل ان تكون المعاناة نقمة لا يعرف الانسان كيف يتخلص منها، فإن طلال حوّلها الى نعمة، ويعلق على هذا الامر: "ماذا يريد الانسان أفضل من هذه الحالة ان تكون نقمته نعمة؟!".

لا تغيب مرحلة الدراسة عن ذهن طلال، وهو يستعيدها في كل الاوقات بدليل ما قاله في مؤتمر الخليج للتعليم في لندن في العام ٢٠١٣ حين القى كلمة من خارج سياق موضوع المؤتمر المنعقد تحت عنوان "تسهيل الابتكار والتغيير"، ومن خارج سياق مداخلته بعنوان "دَمَقرطة التعليم عالمياً: الحل الصحيح في الوقت الصحيح"، فروى قصته كما يراها، بدءاً بطفولته الماثلة في وجدانه، واقتطعتُ بعض ما جاء في سرده الوجداني فقال: "ولدتُ في يافا في فلسطين، ودرستُ في المدرسة الارثوذكسية الى ان هُجرت في عمر العاشرة. وبعد التهجير من فلسطين، وعى والدي، وهو أُميّ، ان اولاده يحتاجون الى شيء يتجاوز مجرد السلامة البدنية في هذه الاوقات العصيبة. فبذل ما في وسعه بأن يورثنا شيئاً لم يرثه هو نفسه، شيئاً يمكننا ان نحمله معنا، وبغض النظر عما يحدث لنا. كان ذلك الارث هو التعليم".

تابع طلال: "كانت أقرب مدرسة من محل اقامتنا في صيدا تبعد عشرة كيلومترات وهي مدرسة بروتستانتية. ولم يكن هناك حافلات ولا قطارات، ولا قدرة له على أي مواصلات خاصة، ولم يكن هناك بديل عن المشي ساعتين كل يوم. وبما انّ اول حصة دراسية كانت تبدأ عند الساعة السادسة وخمس واربعين دقيقة صباحاً، فكان عليّ ان أخرج من البيت مع الفجر. ساعتان للوصول الى المدرسة وساعتان للعودة، وانا طفل بعمر العاشرة. وأنظر الى بعض الأطفال اليوم الذين لا استعداد لهم للمشي لاكثر من عشر دقائق ليصل الى مقصده".

وأكمل: "كنت استيقظ عند الساعة الرابعة والنصف فجراً. لم يكن لدي المال لشراء مظلة او معطف يقيني من المطر والبرد. وعندما تمطر السماء او عندما يشتد الصقيع لم يكن السير الى المدرسة نزهة. مارست الرياضة قسراً. وانا سعيد ومحظوظ لان الله وهبني نعمة المعاناة فمكنني من ان اتحمل الصعوبات وان اتحلى بصحة جيدة نتيجة المشي اليومي الى المدرسة. لم أتذمر ابداً لاني كنت على قناعة تامة ان المدرسة هي طريقي الوحيد الى النجاح، والتعلم كان الطريق الذي نشدته لتحقيق حلمي. فمن دون المدرسة كنت اعرف ان احلامي ستمسي أوهاماً. أدركت باكراً ان الطريق الى المستقبل له ثمن، ودفعت الثمن بكل طيبة خاطر".

وغاص في الذكريات: "ما زلت اتذكر اليوم الاول في مدرستي. في ذلك الصباح، كان الطقس ممطراً والمياه تنهمر بغزارة طوال طريقي الى المدرسة. وعندما دخلت الى الصف بدوتُ وكأني استحممتُ وأنا مرتدٍ ملابسي. ما ان أبصرني التلامذة بهذا الشكل حتى انفجروا ضاحكين بمن فيهم المعلمة التي ابتسمت وهي تنظر اليّ حائرة، وسألتني إذا ما كنت غمست نفسي في الماء، فأجبتها أني جئت من البيت مشياً على الاقدام. استوضحت المعلمة اين يقع البيت؟ فأعلمتها أني آتٍ من قرية الغازية. ذُهل الجميع، المعلمة والاولاد، ولاذوا بالصمت عندما سمعوا بأني أقطع يومياً تلك المسافة الطويلة للوصول الى المدرسة!".

أوضح لهم طلال وضعه فقال: "ليس في قريتي مدرسة، ولا خيار أمامي إذا أردتُ ان اتعلم الا ان أقطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً مشياً على الاقدام لانه ليس باستطاعة الاهل تسديد بدل وسيلة النقل".

في اليوم التالي ما ان ولج طلال باب الصف حتى وقف التلامذة والمعلمة يصفقون له لشعورهم بالذنب لأنهم ضحكوا عليه في الامس، وتقديراً منهم لما يكابده للوصول الى

المدرسة. وكان طلال في غاية الفرح لاكتسابه حظوة عند زملائه التلامذة، ويشير في هذا السياق: "كنت بالطبع أفضل ان أَصل الى المدرسة بسيارة او بحافلة، لكني لم اشعر يوماً أنى أقل قدراً من زملائي، أو أنى مسكين او محروم. كما لم أكن اهتم بالحصول على حذاء جديد، ولكن عندما كنت احصل عليه كنت اتباهى به امام الجميع".

كان طلال يسلك كل يوم هذه الطريق الطويلة الى المدرسة، وكان يغتنم فرصة المشي لمراجعة دروسه وحفظها جيداً، ويستطرد: "الاهم ان المشي الى المدرسة شكل فترة ثمينة أُفكر فيها واتأمل وأحلم واستعد للحياة التي تنتظرني. وكان السؤال المحوري الذي لا يغيب عن ذهني: كيف سأواجه اللجوء؟ هل سأَصبح مثل ابي عاجزاً وغير قادر فتسحقني المأساة التي حلت بنا ام سأتغلب على ما انا به وأتمكن من بناء حياة جديدة وناجحة؟!".

ختم طلال كلامه في مؤتمر الخليج للتعليم في العام ٢٠١٣ حول نشأته فأفصح: "ان هذه المعاناة كانت نعمة بالنسبة لي، فقد صقلت شخصيتي وقادتني الى ما انا عليه الآن، ولعبتْ دوراً مهماً فيما وصلتْ اليه من الناحية المهنية تحديداً. ولعلّ اهم ما في الامر ان هذه التجارب ألهمتني طريقة التعامل مع التحديات والتغلب عليها والتي يواجهها ملايين الشباب وأسرهم في العالم. واليوم، أصبحتْ جامعة طلال أبوغزاله رسالتي الاولى، وهي بكل بساطة رسالة، نعم رسالة!".

## بوظة ستيك وموتزارت... لوحة سريالية!

لكن معاناة طلال لاحقته دون هوادة، فلم يهنأ طويلاً بالمنحة التي استحصل عليها من جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية، اذ فاجأه والده ذات يوم وأبلغه بانه قرر أن يحمّله مسؤولية تدبر شؤون العائلة واحتياجاتها: "أنت بدءاً من اليوم أب هذه العائلة والمسؤول عن كبيرها وصغيرها".

وقع قرار الوالد على طلال وقع الصاعقة، فهو لم يكن يتوقعه، ولم يكن مهيئاً لهذا الاحتمال. فما زال تلميذاً يجهد بشق النفس ليحتل المرتبة الاولى لضمان استمرار المنحة، وهو مقيم في بلد غير بلده لا يعرف فيه احداً، وليس لديه اقارب يستعين بهم. غير ان الكلام الذي سمعه من والده أثّر فيه كثيراً وأظهر مدى ثقة الاب به. وعلى الرغم من ان المطلوب كان امراً في غاية الصعوبة فان طلال اخذ على عاتقه تلبية حاجات عائلة كبيرة مؤلفة من أب وأم وأحد عشر شقيق وشقيقة، وهو ما زال تلميذاً في المرحلة الثانوية!

باشر طلال بالتفتيش فوراً عن عمل يدرّ عليه بعض المال تأميناً لحاجات العائلة، فلم يجد سوى عروض بعضها لا يناسبه، والبعض الآخر يستهلكه، غير انه تلقف كل ما توافر له، واشتغل كل شيء في حياته واكتشف لاحقاً ان لكل عمل فائدة.

وافق في بداية الامر ان يكون بائع بوظة جوالاً في الشوارع، يحمل صندوقاً خشبياً على ظهره ويدور به من حي الى حي منادياً بأعلى الصوت: ''بوظة ستيك... بوظة ستيك''، ثمّ تطور عمله فصار يعمل في تغليف حبات ''الايس كريم''، وكان فرحاً لان هذا العمل وفرّ له معاشاً أفضل اضافة الى امكانية تناول ''الايس كريم'' مجاناً. برزت عزيمة طلال التي لا تقهر وهو على صغر، وهذا ما ميزه طوال مسيرته الطويلة.

بعد فترة وجد عملاً آخر أفضل من العمل في مصنع البوظة وهي ''الحسبة'' في سوق الخضار في بيروت، غير انه كان مضطراً أن يستيقظ عند الخامسة صباحاً ليصل الى السوق مع وصول بائعي الجملة وتسليمهم البضاعة الى بائعي المفرق، ومعظم هؤلاء كانوا أميين، وكان يقع على عاتق طلال ان يعمل الحساب لما على الشاري ان يدفع ولما للبائع ان يقبض، فهذه كانت ''الحسبة''. بعدها كان يعود الى البيت في السابعة صباحاً فيستحم ويلتحق بالمدرسة. وكان البائعون والشارون يقدرون مواظبته وأمانته فيهدونه ما يتوافر لديهم، كل من بضاعته.

شعر طلال بشيء من التحسن في وضعه عندما انتقل من مصنع البوظة الى ''الحسبة'' في سوق الخضار، لكن التحسن الاهم جاءَه عندما توظف في محل لبيع الاسطوانات. ففي أحد الايام مرَّ من امام محل اسطوانات فخطر له ان يسأل صاحبه إذا كان يريد بائعاً، فردّ صاحب المحل بالايجاب، لكنه سأله بدوره: ''هل تفهم بالموسيقى الكلاسيكية؟'' أجابه طلال: ''كلا ولكن يمكنني أن اتعلم. إفسحْ لي في المجال ان أعمل لديك شهراً، إذا مشي الحال أبقى، وإذا لم انجح لا تسدد لي معاش الشهر''. منطق طلال منذ صغره لا يتبدل: يعرض على الآخر عرضاً لا يمكن رفضه، كما فعل ايام المدرسة عندما كان يطلب المنحة على قاعدة ان يكون الاول طوال مدة الدراسة.

وافق صاحب المحل على اقتراح طلال الذي راح يدرس تاريخ الموسيقى وأعمال كبار الموسيقيين الكلاسيكيين، وصار خبيراً بطبيعة الاصوات وبأنواع السمفونيات. ولكن بعد فترة من الزمن، أخبره صاحب محل الموسيقى انه قرر ان يستغني عن خدماته. سأله طلال إذا كان ارتكب هفوة ما، أجابه صاحب المؤسسة: ''ابداً، ولكن ابني يريد ان يستلم وليس باستطاعتي ان اتحمل راتبك وراتب ابني، فالمحل صغير''. فاجأ طلال محدثه

باقتراح غير متوقع: "خليني عندك بالشغل من دون راتب. انا كنت أحصل على راتب وأسمع موسيقى فاصير اليوم اسمع موسيقى مجاناً ". استغرب صاحب المؤسسة كلام طلال وقال له: "طالما أنك مجنون ابقَ في الشغل ومع راتب!".

أَحبَ طلال الموسيقى، وصار هاوياً للموسيقى الكلاسيكية والموسيقيين العالميين كموزار وبيتهوفن وفاغنر. وباتت الموسيقى الكلاسيكية جزءاً من حياته العادية يستمع اليها في معظم الاوقات، وبخاصة عندما يواجه مشكلة معقدة او استحقاقاً مهماً. ففي رأيه ان الموسيقى تساعده على صفاء الذهن والتفكير الصائب، وهي بمنزلة الدواء، وكان يردد: "ان الموسيقى دواء روحاني لا تقل اهميته عن الدواء الطبي، وهي غذاء للروح كما الطعام غذاء للجسد".

في العام ١٩٧٦ تحسنت ظروف أبوغزاله المالية، فحضر مهرجان سالزبورغ الموسيقي. وفي العام ١٩٩٤ اقام حفلاً موسيقياً بقيادة الموسيقي المصري رمزي يسّى في الولايات المتحدة الاميركية ليوجه رسالة الى العالم مفادها: إذا كان الغرب هو صانع الموسيقى الكلاسيكية، فان العرب قادرون بدورهم على ادائها بنجاح كالغرب. وتأكيداً لنظريته رعى سنة ٢٠٠٤ في المملكة المتحدة حفلة موسيقية قدمها المصري رمزي يسّى أيضاً ومغنية الاوبرا اللبنانية غادة غانم في محاولة رائدة للجمع بين الاداء الغربي والاداء العربي.

ترأس أبوغزاله مجلس امناء المعهد الموسيقي الوطني الاردني التابع لمؤسسة الملك حسين طوال العامين ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، ورعى مع جلالة الملكة نور الحسين منذ العام ٢٠١٤ الحفلات الموسيقية التي تقيمها الاوركسترا الاردنية الوطنية.

وفي آذار ٢٠١٦، أطلقت اوبرا باريس اسم طلال أبوغزاله على أحد الاعمدة الرئيسة على مدخلها ويسمى مدخل "الامبراطور"، ووضعت لوحة عليه باسمه. وجاء هذا التقدير عبر رسالة وجهها مدير الاوبرا الوطنية في باريس الى طلال نظراً لما قدمه من دعم ورعاية للاوبرا الوطنية الباريسية لعقود عدة. ومن المعروف انه منذ العام ١٨٧٥ كانت اعمدة النور الخارجية لمسرح الاوبرا علامة مميزة في باريس بصفتها النور على مستوى العالم.

لم ينسَ طلال أبوغزاله لبنان، فقد رعى الاوركسترا السمفونية الوطنية اللبنانية منذ العام ٢٠٠٣، كما رعى في العام ٢٠٠٦ السمفونيات العربية لوليد غلمية، وعروض المبدعة فيروز مع ابنها المميز زياد الرحباني في الجامعة الاميركية ببيروت.

يعلق طلال على هذه المرحلة فيقول: "اكتشفت ان الدنيا، وخلافاً لنظرة المتشائمين، فيها اشياء حلوة، وقد يكون أصعب ما فيها حلواً ايضاً". ويذكر في هذا السياق مقولة وليم شكسبير: "ليس هناك ما هو جميل او بشع الا كما تراه عيوننا وعقولنا". وقادته تجاربه الى الاخذ بقول الرسام العالمي باولو بيكاسو: "ليس من شيء يستطيع ان يفكر فيه الانسان الا ويكون حقيقة". وفي رأيي ان كل الاكتشافات الكبيرة بدأت بفكرة او جاءت نتيجة حاجة واصبحت في نهاية الامر حقيقة وواقعاً.

يخلص طلال الى القول في هذا السياق: "لستُ رجل احلام، بل انا رجل برامج تحقق الاحلام. ما عندي تخيلات بل عندي انجازات". طبق طلال تجربته على شركاته، ورفع شعار التفوق: "طالما اننا قادرون ان نفكر بالتفوق فإننا سنتفوق". ورفعت شركاته شعاراً بالمعنى نفسه: "نعمل بجهد لنبقى في المقدمة".

وفي عودة الى طلال أبوغزاله التلميذ والطالب، أشهد أني عرفتُ العديد من الطلاب الجامعيين، وأنا واحد منهم، اضطروا الى العمل لتغطية مصاريفهم الشخصية في المرحلة الجامعية، لكني لم أعرف تلميذاً واحداً كطلال يسير مشياً على قدميه الى المدرسة يومياً ذهاباً وإياباً، أو يجول في الشوارع حاملاً صندوقة البوظة ليؤمن حاجات عائلته، او يتوجه في الصباح الباكر وقبل ذهابه الى المدرسة ليجري "الحسبة" لبائعي الخضار والفاكهة في الأسواق.

يبدو ان ساعات المشي اليومية شكلت متعة طلال النفسية اذ كانت تتيح له الغوص في احلامه. كان حلمه الاكبر ان ينتقم من عدوه الذي اغتصب ارضه في لحظة ضياع وضعف، وذلك بأن يكون متفوقاً عليه في كل شيء: في الحرب، في الدهاء، في المنافسة وفي العلم، ويقول: "اريد ان اثبت للعالم أني أحسن من عدوي الذي طردني من ارضي، وأنا الذي يستحق فلسطين وليس هو".

ورأى في اعطاء الدروس باللغة الانكليزية فائدة، وفي بيع الاسطوانات تقدماً، وقد سمعته يردد: "افادني إعطاء الدروس الخصوصية في تحسين لغتي الانكليزية، ونفعتني الترجمة فوسعت معارفي، وولّد بيع الاسطوانات في نفسي الشغف بالموسيقى. كل معاناة كانت نعمة اضافية ساعدتني لاتغلب على ذاتي فأصمد وأَنجح". الصمود امام المعاناة هو الدليل الحي بان الانسان موجود بالفعل.

هذه الاعمال وغيرها تظهر ان طلال تميز بعقل استثنائي وارادة استثنائية، بالعقل والارادة عرف ماذا يفعل عند كل منعطف وعند كل مرحلة، ومن اين يبدأ ليصل الى ما يريد. يقارب المشاكل المعقدة بعقل بارد وقلب حار. يفاجئ الاقربين والابعدين بتفكير يخرج عن المألوف. وقد تكون سمعته بانه يهوى حصول المشاكل ليحلها حقيقة جعلته قادراً على النجاح في كل شؤون الحياة بما فيها الشؤون السياسية التي انخرط فيها ولكن لفترة قصيرة.

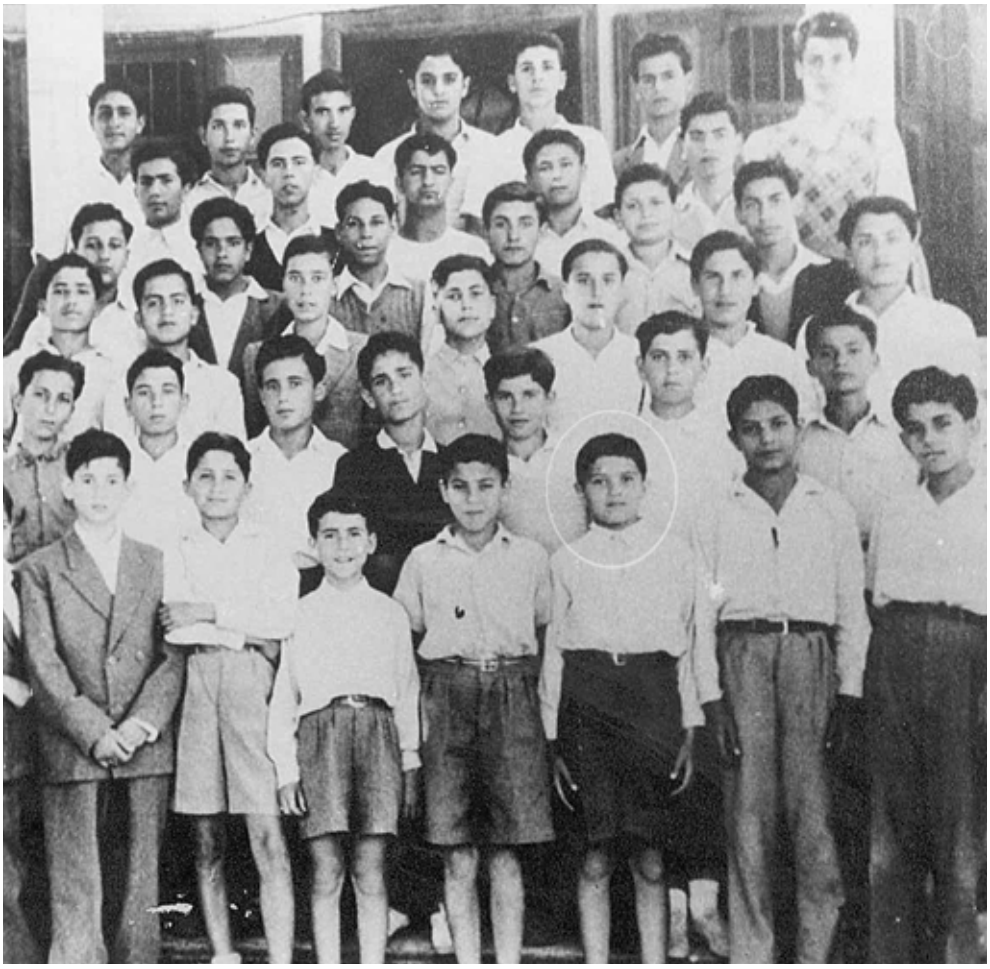

**في مدرسة المقاصد، بيروت**

# ثالثاً
# الانخراط العابر في السياسة

## "الصدى اللعين" لا يلاحق من يسير إلى الأمام

لا أدري إذا كان الانسان صنيعة القدر او صانع نفسه، وهي اشكالية فلسفية قديمة تتنازعها نظريتان: ثمة قائل ان حياة الانسان مكتوبة على جبينه عند ولادته، وثمة من يدعي ان مصير الانسان مرهون بارادته. وفي اعتقادي ان طلال أبوغزاله ينتمي الى فئة الذين يصنعون قدرهم بايديهم عبر الجهد والمثابرة.

ففي العام ١٩٥٦ قررت الاونروا (UNRWA) للمرة الاولى تقديم منحة جامعية واحدة للطالب الفلسطيني الاكثر تفوقاً في المرحلة الثانوية، فكانت من حظ طلال، وقد مكنته تلك المنحة من الدخول الى الجامعة الاميركية ببيروت حيث اجتاز امتحانَيْ القبول في اللغتين العربية والانكليزية بتفوق فأعفته الجامعة منهما، ويعزو هذا الاعفاء الى حصوله على جائزة حفظه القرآن الكريم وعلى أول ساعة يد لبسها وتعليمه اللغة الانكليزية للطلبة وترجمة الكتب.

وتشاء الصدف ان طلال توجه لتسجيل نفسه في قسم اللغة الانكليزية في الجامعة الاميركية بعد اقفال التسجيل في هذا القسم، فنصحه زميله وصديقه غاندي الحلبي بأن يتسجل في إدارة الاعمال "وبعد ذلك يمكنك ان تبدل وتسجل نفسك حيثما تريد". راقت الفكرة لطلال، وتذكر قول والده "أن التجارة ثلثا الامارة"، فتسجل في قسم إدارة الاعمال بدلاً من قسم اللغة الانكليزية. وهكذا لعب صديقه والقدر دورهما فتحول طلال من التخصص باللغة الانكليزية ليكون استاذاً فيها ولو ماهراً الى مضمار المال والتجارة ليصبح من كبار رجال الاعمال في العالم.

اكتسبت المنحة في الجامعة الاميركية حينذاك أهمية قصوى للطلاب الآتين من الطبقات الوسطى والمتواضعة لشمولها كلفة الاقساط المدرسية والكتب والسكن والطعام. وبفضل هذه المنحة شعر طلال للمرة الأولى في حياته أنه يعيش حالة طبيعية في المأكل والمشرب والمسكن، لكن همّه بقي منصباً على أفراد عائلته الذين لا ينعمون بما ينعم به. وقد عبّر عن هذا الشعور بقوله: " كنت أفكر على الدوام بأفراد عائلتي، وكنت سعيداً عندما أحتفظ لهم بحبات الفاكهة التي كانت توزع لنا مع كل وجبة طعام يومياً، كالتفاح والموز والبرتقال، فأجمعها وأحملها لهم في نهاية كل أسبوع، ونستمتع بتذوقها سوية".

وأسجل في هذا السياق ان طلال يحب كل انواع الطعام، ويكثر من أكل الرمان واللوز الأخضر، ويحمد الله أنه لا يشعر بأي مرض، فهو لا يدخن، ولا يتناول الكحول، ويستذكر ايام الجامعة بكثير من الحنين ويقول: "انها تحمل نكهة خاصة فهي لحظات طيبة لا تنسى".

تزامن دخول طلال الى الجامعة الاميركية سنة ١٩٥٦ مع العدوان الثلاثي الذي شنته جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر بغرض السيطرة على سيناء وعلى قناة السويس بعد ان أعلن الرئيس المصري جمال عبد الناصر تأميمها. لكن الولايات المتحدة الاميركية بالتوافق مع الاتحاد السوفياتي أمرت اسرائيل بالانسحاب من سيناء فأخلاها الجيش الاسرائيلي، وقد أحدث هذا الانسحاب هزة داخل القيادة السياسية والعسكرية في تل ابيب. في المقابل خرج عبد الناصر منتصراً سياسياً من مواجهة خاسرة عسكرياً، وامتهن فن مخاطبة الجماهير وقول الحقائق علناً وببساطة، واكتسب شعبية غير مسبوقة في كل البلدان العربية، وصار رمز الكرامة الوطنية، ونادى بتحرير فلسطين، وأحيى آمال الشباب بزمن عربي جديد تسود فيه مفاهيم الوحدة والعدالة والحرية.

في هذه المناخات، كان من الطبيعي ان ينتسب طلال أبوغزاله الى حركة القوميين العرب، وقد جرفه نبض العروبة وهوى فلسطين، ويقول بهذا المعنى: "كنا كطلاب وشباب نشعر ان القومية العربية مفتاح لحل المشكلة الفلسطينية.ولم يراودني الشك، كما الغالبية العظمى من الطلاب، أنه إذا اتيح للعرب ان يتحدوا فبمقدورهم تحرير فلسطين".

في أواخر العام ١٩٥٨، أعلن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في اتحاد الجامعات العربية عن مسابقة في القصة القصيرة بين طلاب الجامعات والمعاهد العليا في كل الدول العربية. شارك طلال في هذه المسابقة بقصة عنوانها: "الصدى اللعين"، وفازت قصته بالجائزة الأولى، وحصل على مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري. ولو لم يدخل أبوغزاله ميدان الاعمال لكان، في ظني، من كبار الكتاب العرب، فمن يكتب وهو في العشرين من العمر قصة "الصدى اللعين" ويتفوق فيها على كل اترابه يعني انه كاتب بالسليقة.

تروي قصة "الصدى اللعين" مرحلة المدّ القومي العربي التي قادها جمال عبد الناصر، فانقسم العرب بين جيل قديم وجيل شاب. يتهم في الرواية الابن والده بالتشاؤم، وينادي، كما نادى طلال، "بالتحرر والثورة والتحرير والتقدمية". وكان الوالد يسأل ابنه: "بربك قل لي ما التحرر والثورة والتقدمية؟ إنه الاصرار على تجاهل الواقع والتشبث بحلم عاطفي واهٍ...".

يحاول الوالد اقناع ابنه فيشدّ على يده ويقول له: "اعتبرْ كلامي تشاؤماً إن شئتَ، أما أنا فأدعوه واقعية. حلمك الكبير أمنية لنا جميعاً انا وانت وكل الشعب... والفارق الوحيد هو أني أدرك ان حلمك الكبير هو مجرد امنية بينما تظنه انت واقعاً سيتحقق... إن التعلق بالخيال دون الواقع، والتحمس للاشيء، او لعمل لا طائل تحته، كمن يقضي النهار جرياً وراء ظله".

أحس الشاب الفلسطيني في الرواية برغبة ملحة في الكلام، وفكّر، كما كان يفكر طلال في الواقع، ان يواجه والده برد قوي وصريح فلم يجرؤ، وجَبُن لان "تقاليد الأسرة تمنعه، فعندما يتحدث الكبير عليك ان تنصت وتستمع ...". لكنه كان يغلي ثورة في داخله: "التقاليد تخنقني وتخرسني امام هذا السيل العارم من التحامل والمغالطات... ووجدتني بحاجة لأن اثور... لان أحطم التقاليد مرة واحدة من اجل ان ادافع عن حلمي الكبير".

يروي طلال في قصته القصيرة انه على الرغم من الصدمات والخيبات التي لقيها الشاب الفلسطيني من قبل عائلته ومحيطه وحتى من حبيبته فانه حافظ على "حلمه الكبير"، وراح ينتظر اليوم الذي يتحقق فيه هذا الحلم. وجاء هذا اليوم عندما أفاق ليرى كل عائلته مجتمعة حول المذياع، عيوناً تبرق ببريق الأمل وقلوباً تنبض بالعزم والثقة. جال ببصره على الجميع فَعلَتْ أصوات أفراد الأسرة يتسابقون لابلاغه أعز امنية: "ثورة في مصر". ابتسم الشاب ونظر الى والده فوجده يبتسم مردداً: "نعم يا ولدي... سيتحقق حلمنا الكبير... ولسوف ترجع فلسطين".

عبّر طلال أبوغزاله في قصة "الصدى اللعين" عما ينبض في داخله من شعور قومي يشده الى الثورة والتحرير، وقد أدمت قلوب الشعوب العربية مأساة احتلال فلسطين والنزاعات التي تتخبط فيها الدول العربية بعضها ضد بعض. وازاء هذا الواقع فجّر عبد الناصر حالة ثورية مكبوتة، وأحيا روح التصميم والتحدي والمقاومة، وفعلت هذه الروح فعلها في مسيرة طلال أبوغزاله فاعتمدها نهج حياة كما جاء في القصة قوله: "تعلمت ان المرءَ لا ينتهي عندما يخسر انما عندما ينسحب".

ما رسمه طلال أبوغزاله في قصّته مطابق لما عاينته، فهو "يتنفس عروبة وينبض باسم فلسطين"، ولا يحيد عنهما، وقد اضاف اليهما، في نظري، بعداً جديداً في خدمة العروبة وفلسطين هو المعرفة، وبات مثلث أبوغزاله الفكري: عروبة، فلسطين، المعرفة.

في العام ١٩٥٩ قرر الرئيس المصري جمال عبد الناصر زيارة سوريا بعد اعلان الوحدة معها، وكانت الشعوب العربية، بمن فيها شريحة واسعة من الشعب اللبناني، تطوق الى التعبير عن تأييدها له، فقررت حركة القوميين العرب في الجامعة الاميركية التحضير لتجمع طالبي حاشد يتوجه الى دمشق لاستقبال الرئيس المصري.

أخذ طلال على عاتقه من دون أن يظهر في العلن عملية التحضير والتنظيم، فتصدت لحراكه "الرابطة اللبنانية" التي تمثل الاحزاب اليمينية، وفي مقدمها حزب الكتائب اللبنانية، المعارض للوحدة العربية والحركة الناصرية.

توترت الأجواء داخل الجامعة، وكاد أن يصل الأمر الى حد الاشتباك والعراك بالايدي، فاستدعى العميد دين ليفون ملكيان الطالب أبوغزاله وابلغه بضرورة وقف تحضيراته، وهدده بالطرد في حال استمر بنشاطه داخل حرم الجامعة. ارتأى طلال ومنظمو الحراك ان يتم تجميع الطلاب خارج حرم الجامعة والانطلاق بهم الى دمشق مع مئات السيارات والحافلات التي توافدت من عدة مناطق لبنانية.

خُيل لطلال أن الأمور انتهت عند هذا الحد، غير أن إدارة الجامعة إستدعته مجدداً ووجهت اليه إنذاراً قضى بمنعه من ممارسة أي نشاط سياسي بأي شكل من الأشكال تحت طائلة الطرد. حاول طلال ان يشرح للادارة انه يعمل في هذه الحركة العربية ليس ضد الجامعة الاميركية، ولا ضد الحكومة اللبنانية، بل من منطق انتمائه للقضية الفلسطينية التي هي قضيته، فلم تقتنع الادارة وأصرت على موقفها.

كانت رسالة عميد الجامعة الى طلال بمنزلة التهديد الواضح: إذا واظبتَ على أي نشاط في السياسة فإن مسيرتك الجامعية ستتوقف حتماً. شعر طلال أنه وصل الى الاستحقاق المؤلم: اما ان يستمر بالسياسة فلا يكمل الجامعة ويخسر المنحة وتنهار كل احلامه، واما ان ينأى بنفسه عن السياسة مؤقتاً فيكمل دراسته الجامعية بعيداً عن حركة القوميين العرب. لم يتردد طويلاً فقرر تجميد نشاطه السياسي، واستأذن رفاقه في الحركة الذين تفهموا موقفه واولوية الحفاظ على المنحة والحصول على شهادته الجامعية ليصبح بعدها حراً طليقاً يلتزم بالمشروع الذي يشاء.

رغم توقفه مضطراً عن العمل السياسي، رأى طلال ان تجربته الحزبية لم تذهب سدى اذ اكتسب منها فن ادارة المجموعات البشرية الذي ينسحب على ادارة الشركات، وترجم هذه القناعة بقوله: "تعلمتُ من الحركة السياسية كيفية إدارة مؤسساتي والجمعيات وطُرق ضبط العمل فيها، وتنسيق التواصل بين أقسامها، وإستقطاب الأعضاء اليها". هذه طبيعة أبوغزاله، يرى في كل شيء بما فيه الصدمات جانباً ايجابياً يطلق عليه تسمية "النعمه".

صحيح ان طلال انسحب سريعاً من حركة القوميين العرب لكنه حافظ على ايمانه بالقومية العربية التي يصفها بأنها "شعور ينبعث من إرث تاريخنا وجغرافيتنا". ليست القومية العربية، بنظر طلال،"هيكلاً سياسياً"، "ولا منظومة دول"، و"لا مشروع سلطة"، فالعروبة هي انتماء انساني يفضل فيه الانسان قوميته على ما سواها من الامم والقوميات. يحلم أبوغزاله بقيام الولايات المتحدة العربية او على الاقل اتحاد عربي على غرار الاتحاد الأوروبي.

## أنا انسان فلسطيني في خدمة العالم العربي

يروي أبوغزاله انه في أثر عدوان ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الولايات المتحدة، قررت الامم المتحدة تشكيل فريق اممي أطلقت عليه تسمية "فريق عمل الأمم المتحدة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات"، مهمته تحديد سياسة عالمية حول تقنية المعلومات والاتصالات. في هذا الإطار دعا أمين عام الامم المتحدة كوفي أنان خمسين شخصية تمثل معظم المنظمات الدولية وكبريات دول العالم اضافة الى ثمانية اشخاص معروفين برؤياهم المستقبلية، وكان طلال واحداً منهم، والعربي الوحيد في ذلك الفريق.

اقترح كوفي أنان أن يختار هذا التحالف العالمي ستة أشخاص من أصل الخمسين يشكلون مجلس ادارته فانتخب طلال عضواً فيه، ومن ثمّ انتخبه مجلس الادارة رئيساً مشاركاً له. فور انتخابه لهذا الموقع الاممي، طلب أبوغزاله الكلام ليقول جملة واحدة: "أشكركم على انتخابي رئيساً وعلى الثقة التي منحتموني أياها على الرغم من أني فلسطيني، أردني، عربي، ومسلم".

ساد القاعة صمت عميق لثوان بدت طويلة قطعه السفير الاميركي دافيد كروس بالتصفيق فتبعه الحضور، وسرعان ما أخذ كوفي أنان الكلام فقال: "هذه الجملة التي سمعنا هي من أكثر الخطب بلاغة، لخصتْ ما يمكن ان يكون جدلية النزاعات القائمة والتي تتطلب شهوراً من المناقشات ومحاولات الاقناع المتبادلة".

لا يخفي طلال اعتزازه بما حقق فيقول: ”يوم انتخابي رئيساً لهذا الائتلاف الاممي الذي يضم ممثلين عن الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد الاوروبي والامم المتحدة والبنك الدولي شعرت بأني حققت تفوق الذات العربية واثبتُ جدارتها على المستوى العالمي في موضوع التقنية والاتصالات الذي نظرت اليه كرسالة“.

وفي العام ٢٠٠٦ واجه أبوغزاله موقفاً حرجاً حين كلفه الامين العام للامم المتحدة كوفي أنان بأن يقود فريق الامم المتحدة للاتصالات وتقنية المعلومات في الشرق الاوسط. سأله أبوغزاله: ”ما هو الشرق الاوسط؟“، أجابه أحد الدبلوماسيين: ”الشرق الاوسط لا تعريف له“. عندئذ نظر كوفي أنان الى طلال وسأله: ”ما الذي يدور في ذهنك؟“، أجابه أبوغزاله: ”اريد المنطقة العربية تحديداً“، وكان له ذلك.

وكثيراً ما كان يكرر طلال امام المسؤولين من شركائه والعاملين معه قولاً واحداً: ”ان سر نجاحي منذ العام ١٩٧٢ أني حملتُ رسالة بناء القدرات العربية خدمة للاقتصاد العربي“، ويضيف: ”لم نقل يوماً اننا نعمل لتأسيس شركة، ولا نسعى لان نكون أكبر شركة، ولا ندعي الربح الوفير، ولو فكرنا بهذا المشروع بهدف الربح حصرياً لما كنا نجحنا، ان مرد نجاحنا اننا عملنا لمصلحة الانسان العربي“.

يفخر أبوغزاله بعروبته وبهويته الفلسطينية وبإمبراطورية النجاح والابداع التي بناها على المستويين العربي والعالمي. فهو عربي الى آخر الحدود، ويشعر في الصميم ان خدمة المجتمعات العربية واجب، فلا يفرق بين بلد عربي وآخر، ويحرص على تفعيل التنمية الاجتماعية واقامة مجتمع أفضل في خدمة الانسان العربي وكل العرب. وقد كتب بحماس في سيرته ”البطانية تصبح جاكيت“ ما حرفيته: ”في حياتي كلما ذهبت الى ندوات او نقاشات سياسية، أصر على الدوام انه ينبغي ادراجي بوصفي قادماً من العالم العربي. أنا فخور جداً بجنسيتي الاردنية، وأعتز كثيراً بأصلي الفلسطيني، ولكنني اشعر دوماً ان مهامي اشمل، واريد ان أنطق بإسم العالم العربي بصورة عامة وليس بإسم دولة واحدة او شعب واحد. فاذا حضرت بوصفي عربياً، عندها سوف اشعر بأني انطق بإسم المصريين والسوريين واللبنانيين والسعوديين والكويتيين والاماراتيين والاردنيين والعراقيين واليمنيين والتونسيين والمغاربة والبحرينيين والقطريين والعمانيين والسودانيين والجزائريين والفلسطينيين. فانا على يقين ان هذا الحضور ضروري رغم الصراعات المأساوية والمريرة التي إبتلينا بها. أؤمن بأن اعادة استنهاض رؤية عربية تستند على التضامن العربي-كجزء من الاشتباك المفتوح والشامل في العالم-هي الاساس للتغلب على اولئك الذين يقومون بإذكاء الانقسامات الوطنية والطائفية لاستمرار امساكهم بالسلطة او للانقلاب على من هم في السلطة“.

قدّم أبوغزاله مثالاً حول رؤيته العربية فأشار الى أن اوروبا، رغم خوضها حربين عالميتين اسفرتا عن خمسة عشر مليون قتيل، وعلى الرغم من تعدد لغاتها وثقافاتها، دخلت في مفاوضات مضنية لكنها توحدت في نهاية المطاف. وفي رأي طلال ان ما استطاعته أوروبا ولو بصعوبة يستطيعه العرب إذا ما توافرت ارادة عربية سياسية مشتركة ويعلن بالفم الملآن: ”أنا قومي عربي، وسأموت وانا قومي عربي، وكل دولة عربية هي وطني وأمانة في عنقي، ولا أُميز بين اي بلد عربي وآخر“. ويتمنى في هذا السياق إصدار جواز سفر عربي موحد، وإذا سأله سائل ما هي هويتك؟ يبرز له جواز سفره ويجيبه: ”انا عربي، وافخر بأني عربي“.

على صعيد أوسع، توقع طلال أن تكون الاحادية الاميركية التي تفردت بالهيمنة على الشرق الاوسط منذ سقوط الاتحاد السوفياتي قد قاربت على نهايتها بصعود وتمدد الهند والصين في المنطقة وعودة روسيا اليها مع فلاديمير بوتين من بوابة الحرب التي اندلعت في سوريا في العام ٢٠١١.

أنشأ طلال في هذا السياق معهد طلال أبوغزاله -كونفوشيوس للتقريب بين الصين والعالم العربي، وزار الصين، وذهب الى أحد المعابد الذي يزيد عمره عن خمسة الآف سنة، وكان منقوشاً على مدخله باللغة الصينية ما ترجمته: ”كل ما هو جيد يأتي من الشرق“. سأل طلال: ”ماذا يعني من الشرق؟ واين الشرق بالنسبة لكم؟“، اجابه المضيف: ”أنتم الشرق، والصين تنظر اليكم بوصفكم الشرق“.

يستشهد طلال ببعض التقارير الاميركية التي تقول ”انه في السنوات العشرين المقبلة ستنتقل الثروة من الشمال الى الجنوب ومن الغرب الى الشرق، وان الصين ربحت الحرب الاقتصادية ومدت نفوذها الاقتصادي وربما السياسي الى أفريقيا... وهي بصدد السيطرة على الفضاء في مجال الصواريخ والمركبات الفضائية والاقمار الاصطناعية، وستفرض نفسها دولة فضائية عظمى في السنوات المقبلة“.

ينصح أبوغزاله صنّاع القرار العربي ان يلتفتوا في المستقبل شرقاً وجنوباً بقدر ما التفتوا في الماضي شمالاً وغرباً، لان الاستثمار المجدي المقبل هو في الشرق والجنوب، والدولة الوحيدة التي نما اقتصادها في السنوات الاخيرة بنسبة سنوية تقارب ١٠٪ هي الصين رغم الازمة المالية العالمية. ويلفت طلال الى الرئيس الاميركي الاسبق جورج بوش أعلن عند اندلاع الازمة المالية في العالم: ”لن نسمح لاي دولة ان تخرج رابحة من المعركة“. وتبين لاحقاً أنه كان على خطأ، بدليل ان خلفه باراك أوباما ردّ على سلفه من دون ان يسميه: ”ان الولايات المتحدة تعتمد في اقتصادها على ازدهار الصين“.

بهذا الكلام الاميركي تبدلت المقاييس والمعايير. في الامس عندما كانت تعطس أميركا كان يصاب العالم بالانفلونزا، في حين ان الرئيس الاميركي بات يقر ان مصلحة الولايات المتحدة ان تزدهر الصين، ولو حدث عكس ذلك، فسوف يمرض الاقتصاد الاميركي. من منظاري انقلبت الادوار فإن مرضت الصين تمرض الولايات المتحدة الاميركية. وأفهم في هذا السياق اهتمام طلال أبوغزاله بانشاء مركز طلال أبوغزاله لتعليم اللغة العربية في الصين والاتفاق مع جامعة "شانينغ" الصينية المتخصصة في اللغات لتوثيق العلاقات بين العالم العربي والصين.

يستخلص أبوغزاله درساً مؤداه: "نحن ننصاع عادة الى ما تقوله الولايات المتحدة الاميركية، والآن علينا ان نلتفت الى الصين"، ويستطرد: "لا أدعو الى مقاطعة الغرب، ولكن ليس الغرب هو وعاؤنا الاستثماري الوحيد، ولا سوقنا الوحيد، ولا حتى شريكنا التجاري الوحيد، وهو يعيش حالة من الانكماش العضوي، وكل ما نسمعه من انتعاش في الغرب هو غير صحيح وغير دقيق. فكيف يكون الانتعاش وهناك بطالة على تزايد، وافلاسات مستمرة، ومشكلة عضوية في الاتحاد الاوروبي، ناهيك عن عجز متصاعد في الموازنات والمدفوعات، والدين العام في ازدياد مضطرد!؟".

وفي هذا الإطار خصّ طلال الصين بعلاقات مميزة، وقد كرمه رئيس جمهورية الصين الشعبية شي جين في مطلع العام ٢٠١٦ ومنحه جائزة المساهمات البارزة في الصداقة الصينية العربية تقديراً للجهود التي بذلتها مجموعة أبوغزاله في تنمية وتعزيز الروابط بين الصين والدول العربية في مجالات الاقتصاد والثقافة والتعليم من خلال مكاتبها في بكين وشنغاي وهونغ كونغ وشراكتها مع تاج كونفوشيوس لتعليم اللغة الصينية في المنطقة العربية، وتقديم خدمات تأشيرات السفر للصين بتكليف من السفارة الصينية في عمان. وتقوم مجموعة طلال أبوغزاله بتطوير تقنية المعلومات والاتصالات مع شركة هاواوي تكنولوجيز لاقامة مشاريع تقنية صينية-عربية. وكان تأسيس معهد طلال أبوغزاله-كونفوشيوس في العام ٢٠٠٨ يهدف الى التعريف باللغة الصينية، وتحقيق تفاهم أكبر بين الثقافتين العربية والصينية. ويهتم المعهد بشكل خاص بتدريس اللغة الصينية. وتقضي الاشارة الى ان الاقتصاد الصيني يشهد نمواً سريعاً، ومن المحتمل ان يكون من أكبر الاسواق الدولية في القرن الواحد والعشرين نتيجة التطور التكنولوجي الصيني السريع. وإكمالاً لهذه الاعمال، وقعّت مجموعة طلال أبوغزاله مع جامعة شانينغ الصينية مذكرة تفاهم لانشاء مركز طلال أبوغزاله لتعليم اللغة العربية في الصين، وهو المركز الاكبر من نوعه. كما شارك طلاب معهد طلال أبوغزاله-كونفوشيوس في المخيم الصيفي الطلابي لمعاهد كونفوشيوس في

الصين، ونظم يوم تذوق الطعام العربي-الصيني. كما نظمت مجموعة طلال أبوغزاله احتفالاً بمهرجان الربيع الصيني، فاعدت ديكورات الزينة التي تضمنت الفوانيس الحمراء، والربطات، ودمى القرود وكلمة "السعادة" بالاحرف الصينية. وأطلق معهد أبوغزاله كونفوشيوس مسابقة على مستوى الاردن لمهارات الكتابة والاملاء باللغة الصينية شارك فيها واحد واربعون متسابقاً من المعهد نفسه ومن الجامعة الاردنية، وجامعة فيلادلفيا، ومدارس الكلية الاسلامية ومدارس المشرق. وعلى سبيل التذكير فان كونفوشيوس هو فيلسوف صيني كبير انتشرت افكاره في ارجاء الصين ونادى باقامة الدول على قاعدة الاخلاق.

وقد أصدر المؤلف بريان فانديمارك (Brian Vandemark) في العام ٢٠١٢ كتاباً تناول فيه تاريخ الجامعة الاميركية في بيروت تحت عنوان: "شيوخ اميركا" (American Sheiks)، اشار فيه إلى طلال أبوغزاله على أنه من مشاهير خريجي الجامعة الاميركية الذين ما زالوا على قيد الحياة، وهو لاجئ فلسطيني انتهج في حياته "مبدأ نعمة المعاناة، وحوّل المعاناة الى نعمة كبرى". وسمى الكاتب الى جانب طلال أبوغزاله مجموعة من المشاهير امثال وليد جنبلاط، طاهر المصري، حنان عشراوي، محمد الصفدي، علي فخرو، علي النعيمي، خالد القصيبي، فؤاد السنيورة، عبد الله ابو حبيب، عدنان الباججي، خالد طوقان، مها الخطيب وآخرين.

**المتحدث الرئيس**
**في الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٥٩**

# القسم الثاني

# أزمنة الصعود

تتصف مسيرة طلال أبوغزاله بسمة الصعود الدائم. وفي كل مرة اصيب فيها بانتكاسة، كان لا يسعى للعودة الى النقطة التي كان وصل اليها، بل يتجاوزها الى الاعلى والاصعب. وهذا الصعود غير المألوف جعل الكتابة عنه عبرة للاجيال الصاعدة وشمعة أمل للطبقات الفقيرة والمتوسطة الحال والاحوال. ميزة طلال انه تفرد بصناعة نفسه، وهو فتى لاجيء في العاشرة من العمر وقد ولد من رحم نكبة ١٩٤٨، وتحول الى أحد مشاهير العالم في ميدان المحاسبة والتدقيق (اولاً)، وكان السبّاق الى إستخدام عالم الكمبيوتر وثورة المعرفة (ثانياً)، والى نشر مفاهيم الملكية الفكرية في العالم العربي (ثالثاً). وبعد تخرج طلال من الجامعة الاميركية في لبنان عام ١٩٦٠ حيث درس، توجه الى الكويت حيث كدَّ وجدَّ طوال ثلاثين سنة لينتقل اثر الغزو العراقي للكويت في العام ١٩٩٠ الى الاردن حيث استقر.

# أولاً
# زمن المحاسبة والتدقيق

## الكويت... أيقونة الحب والعروبة والسلام

كمعظم المتخرجين الجامعيين، كانت أولوية طلال أبوغزاله بعد تخرجه من الجامعة الاميركية حاملاً شهادة البكالوريوس في ادارة الاعمال ان يجد له عملاً مناسباً.

وساد الاعتقاد في الستينات من القرن العشريني ان دول النفط هي المكان الافضل لحصول الشباب على الكسب الاعلى، فكانوا يتنافسون على نيل وظيفة في السعودية او في الكويت او في أحد بلدان الخليج العربي.

لم يتقدم طلال أبوغزاله بطلبات التوظيف في لبنان لعلمه المسبق أن القوانين اللبنانية، وخلافاً لباقي الدول العربية، لا تسمح للاجئين الفلسطينيين بالعمل فيه بسهولة، فأرسل طلباته الى دول الخليج فجاءته حزمة من الردود السلبية احتفظ بها في حقيبة كبيرة، غير انه تسلم رداً ايجابياً واحداً من "سابا وشركاؤه"، وكانت من كبريات شركات المحاسبة والتدقيق في العالم العربي، وتعمل في الكويت وصاحبها فؤاد سابا، وهو فلسطيني الأصل.

في تموز ١٩٦٠ باشر طلال العمل في الكويت لكنه اصطدم أول ما اصطدم بمشكلة الطقس: حرارة مرتفعة، رطوبة عالية، غبار خانق. شغفه بالعمل وصعوبة تنقله في الحر حملاه الى البقاء في مكتبه لاكثر من ثماني عشرة ساعة يومياً، وكثيراً ما كان ينام في المكتب على كرسي. استغل طلال إقامته الطويلة في المكتب لينجز الاعمال الموكلة اليه على أحسن وجه وفي أسرع وقت، فشقَّ طريقه بنجاح داخل الشركة.

كانت احدى اولى المهام التي أوكلت الى طلال من قبل شركة سابا ان يدقق في حسابات شركة بيبسي كولا التابعة لعبد العزيز الصقر الذي يتحدر من اسرة كويتية كبيرة ساهمت في بناء اقتصاد بلدها، وانتخب أول رئيس لمجلس الامة، وتبوأ موقع رئيس غرفة التجارة والصناعة.

وفيما كان طلال يعمل ذات يوم في مقر شركة بيبسي كولا وقع نظر عبد العزيز الصقر عليه، فسأل عما يفعل، فقيل له أنه موظف في شركة سابا يأتي لتدقيق الحسابات، فاستدعاه وسأله: ماذا يعني تدقيق الحسابات؟ وكيف يتم التدقيق؟ واين درستَ التدقيق؟

فوجيء أبوغزاله بالاسئلة لا سيما وان السائل هو صاحب الشركة، وهو رجل ذو صيت ومهابة، فأجابه طلال ببساطة وبصراحة على اسئلته دون أي تحفظ أو تردد، فارتاح له عبد العزيز الصقر، ونمت بينهما مع الوقت علاقة صداقة وثقة، وصار طلال يناديه بـ ''عمّي أبو حمد''.

بعد فترة ظهرت في مصنع بيبسي كولا حالة اختلاس كبيرة من قبل الموظفين الى جانب اهمال من قبل المدققين فسارع اصحاب شركة سابا الى تعيين طلال مديراً عاماً لمعالجة تلك المسألة

يستنتج أبوغزاله ان تجربته مع عبد العزيز الصقر علمته درسين: أولهما ان الصدق في التعامل هو اساس كل علاقة، وثانيهما ان الهرب من المشكلة لا يفيد ومواجهتها بحنكة هي الطريق السليم، وهو يطبق هذين الدرسين في كل الشؤون الكبيرة منها والصغيرة.

ومن الامثلة الصغيرة التي يحلو لطلال ان يرويها في مجال الصدق والحنكة، انه في مقتبل العمر كان يدخن السيجار، وكانت القطيعة كاملة بين الولايات المتحدة وكوبا، وكان ممنوعاً ادخال السيجار الكوبي الى الاراضي الأميركية. وصل يوماً الى الجمرك الاميركي فسأله الشرطي إذا كان معه اي من الممنوعات فأجابه: ''معي سيكار كوبي من هافانا، يعني من عند فيديل كاسترو''. قال له الشرطي: ''كيف تأتي به وانت تعرف انه ممنوع؟''، ردّ طلال عليه: ''أنا آتي به لانه لو لم يكن ممنوعاً لكنت اشتريته محلياً في الولايات المتحدة، لذلك لازم تعوض عليّ لاني حملته من بعيد وتسمح لي بادخاله''. علّق الشرطي ضاحكاً: ''يعني أنا المذنب لانك حملتَ معك سيكاراً تعرف انه ممنوع؟ واللهِ موقفك الجريء يشفع بك، خذ سيكارك وامشِ''.

وفي حادثة اخرى مماثلة مع الجمرك الاميركي، وكانت ترافق طلال زوجته السيدة نهى سلامه، قال له شرطي الجمرك: "انا مضطر ان احجز علبة السيكار الكوبي". أجابه طلال: "انا عندي اقتراح آخر، احجز زوجتي واترك السيكار معي لاني لا أقدر ان استغني عنه ولكن أستطيع ان استغني عن زوجتي لفترة وجيزة". ضحك الشرطي وقال له: "لا يمكن ان احتجز زوجتك، فخذ سيكارك واذهب مع زوجتك!".

العبرة ان الصدق والحنكة سلاحان قويان، وكثيراً ما يحملان الآخر على التجاوب والتعاون. فالكذب لا يسيء فقط للشخص الذي يكذب، بل هو ايضاً يسيء للآخر الذي يشعر بالاهانة، ويخلص طلال الى القول: "ان الانسان الصادق يحترم نفسه والآخر، وقد ساعدني الصدق في النجاح، وقد وجدتُ تفهماً عند الآخر لمجرد أنى صادق معه".

لم ينقطع طلال عن زيارة عبد العزيز الصقر، وأثناء احدى الزيارات سأله الصقر: "ما مشكلتك لا تبدو مرتاحاً؟"، أجابه طلال: "كيف أكون مرتاحاً ولا أحظى بثقتك؟ اريد ان اعاود العمل في تدقيق حسابات شركة بيبسي كولا، وأنا على استعداد للقيام بهذا العمل مجاناً ولا اريد اتعاباً". حدّق الصقر بطلال وقال له: "سأعطيك العمل مجدداً، ولكن أخبرني كم يجب ان ادفع كي لا يتكرر الخطأ السابق؟ كم ينبغي ان أدفع حتى تتمكن من القيام بعمل صحيح؟". لم يتوقف طلال عند موضوع الاتعاب وخرج من هذا الاجتماع سعيداً لانه استعاد ثقة رجل يحترمه ويحبه.

في كل مرة يتطرق بالحديث عن تجربته في الكويت يذكر أبوغزاله فضل عبد العزيز الصقر عليه، ويروي قصة تعود لبدايات العلاقة بينهما. فقد قصد طلال يوماً ديوانية العم ابو حمد التي يتوافد عليها الاصدقاء والمقربون مساء كل يوم اثنين من الاسبوع، وكان بنيته ان يطلب منه مساعدة ليتملك بيتاً في الكويت. لكن بعد وصوله بوقت قصير شعر أبوغزاله بشيء من الحرج والخجل فهمَّ بالمغادرة، غير ان الصقر لاحظ حركته فاستبقاه وانفرد به وطلب منه ان يصارحه بما يريد. أخبره طلال انه يرغب بالحصول على قرض لامتلاك بيت في الكويت، ولديه مشكلتان: الاولى انه لايملك ثمن البيت، والثانية انه يريد ان يسجل هذا البيت بإسم العم أبو حمد لانه لا يحق لغير الكويتي ان يتملك بيتاً في الكويت. أجابه العم ابو حمد: "موضوع ثمن البيت أمر هين، لكن موضوع تسجيل العقار بإسمي أمر صعب لان كل ممتلكاتي مسجلة بإسم العائلة، فأنت قادر على ايجاد اي صديق كويتي تثق به وتسجل البيت بإسمه". ألحّ طلال قائلاً: "اصدقائي الكويتيون الذين اثق بهم كثر، لكني أرغب في الحصول على شرف تسجيل بيتي بإسمك". سكت الصقر للحظة وهزّ رأسه ايجاباً، وطلب من طلال ان يوافيه في الغد الى مكتبه للسير

بالاجراءات اللازمة. وبالفعل حضر طلال في الموعد المحدد فوجد ان الصقر كان قد قام بالاتصال مع رئيس مجلس ادارة البنك الوطني الكويتي محمد عبد المحسن الخرافي الذي كلف بدوره مدير البنك ابراهيم دبدوب الاتصال بطلال ليسهل عليه اجراءات القرض، وتسليفه القيمة التي يريدها. أخبر أبوغزاله مدير البنك انه بحاجة الى مئتي ألف دينار كويتي، فقاطعه المدير قائلاً: "يمكنك الحصول على مليون دينار فأنت بكفالة عبد العزيز الصقر".

لم تتوقف شهامة عبد العزيز الصقر عند هذا الحد، بل أرسل لطلال من يساعده على إنهاء الاجراءات وتسليمه الشيك في مكتبه دونما الحاجة لان يذهب الى البنك. وعندما حضر الكاتب العدل استدعى الصقر مدير مكتبه ليقوم بتسجيل وثيقة رسمية مفادها: "ان البيت هو لطلال أبوغزاله الذي سدد ثمنه بالكامل، ويحق له التصرف به وبيعه في اي وقت يشاء". ويعلق أبوغزاله: "انا فخور بالحب والثقة اللذين يكنهما لي صديقي وأخي وعمي أبو حمد، وهو شخصية نادرة الوجود".

وفي مقابلة تلفزيونية اثر وفاة عبد العزيز الصقر قال طلال: "ان افضاله عليّ اكثر من أفضال أبوي... وقد تعلمت منه ألا اتوقف عند ظواهر الامور، بل ان اغوص في اعماقها وخلفياتها. قصدتُه في أحد الايـام وقلتُ له: "عمي انا متألم... واتعرض لهجمة كبيرة وغير مبررة وغير صحيحة، واشعر بمرارة الظلم في حقي. فالشركات العالمية الكبرى تشن عليّ حملة تشويه ...ولم يكن يناسبها ان تبرز في هذه المنطقة مؤسسة عربية تنافسها"، فسألني: "هل انت زعلان؟" أجبت: "نعم"، فأكمل قبل ان اسـترسل في شرح مبررات استيائي قائلاً: "ما موقعك من النبي؟ رددت على الفور: "حاشا لله... ومن أكون للمقارنة معه؟" فأكمل سؤاله: "هل تريد ان تتفق عليك الناس ولم تتفق على سيدنا محمد؟".

وأضاف أبوغزاله في السياق عينه: "كان العم ابو حمد الناصح المخلص لي. فقد شكوت له مرة اخرى من هجوم المنافسين عليّ الى حد باتوا يمسون بسمعتي الشخصية، سألني بكل بساطة: "انت لا تريد ان يهاجمك أحد؟"، أجبته: "أفضل ذلك"، فعلق بشيء من التهكم: "إذا أردتَ ان يحبك منافسوك فأنت أحمق. وإذا بقيت في منزلك من دون ان تعمل، فأنا اضمن لك بألا يتعقبك أحد. أما إذا اردتَ ان تبني مؤسسة تريدها عالمية على قدر طموحاتك، فإن منافسيك سيهاجمونك بكل قواهم وعلى كل المستويات، وكلما نجحت أكثر سيزداد الهجوم عليك أكثر". خرج طلال من لقائه مع عبد العزيز الصقر، وهو مطمئن نفسياً، فقد تأكد له ان منافسيه الذين يتهجمون عليه يخشونه، وان النجاح له ثمن كالخسارة واحياناً أكثر.

وفي العودة الى علاقة طلال مع شركة سابا فانه عمل فيها طوال اثني عشرة سنة تدرج خلالها من موقع موظف الى موقع شريك عمومي، وتولى مسؤولية ثمانية من مكاتب الشركة، وعُين مديراً للتخطيط والتدريب على كل فروعها، وانتخب أول نائب لمديرها العام، ومن ثمّ رشحه رئيس الشركة فؤاد سابا رئيساً ومديراً عاماً في العام ١٩٧١ على ان يبدأ بممارسة مهامه في العام ١٩٧٢.

يصف طلال فؤاد سابا "بالرجل الكبير الذي علمني أصول المهنة، واحترام اخلاقياتها". وعندما حان الوقت ليتقاعد لم يقرر اختيار واحد من أولاده ليخلفه في ادارة الشركة، بل اقترح طلال كنائب له في الحاضر ورئيس للشركة في المستقبل، ما يدل على واقعية هذا الرجل وحرصه على استمرار الشركة.

قدّم أبوغزاله دراسة تقضي بتحويلها الى مؤسسة كبيرة تتمتع بأعلى مستوى من الكفاءَة الفنية وفق المقاييس الدولية في مجالات مراجعة الحسابات وتدقيقها، واشترط لانقاذها ثلاثة شروط: اولاً تخصيص خمسة في المئة من اجمالي الايرادات لتدريب الموظفين وتحسين القدرات البشرية الداخلية، ثانياً إلزام كل شريك بالاقامة في الموقع المسؤول عنه في حين كان معظمهم يفضلون العيش في لبنان، ثالثاً تعيينه رئيس مجلس ادارة مديراً عاماً مطلق الصلاحيات لمدة سنة مع التعهد بعدم تسريحه خلالها، وتفويضه بتوسيع نطاق أعمال الشركة لتشمل البلدان العربية وبلدان افريقيا وآسيا فتتحول الى مؤسسة "عربية – افرو آسيوية".

صُدم أبوغزاله بطرح مضاد يعني رفضاً صريحاً لمشروعه فقدم استقالته، وفوجيء بأنها قُبلت على الفور فكانت بمثابة الاقالة بعد اثني عشرة سنة من التفاني في العمل. أما المفاجأة السارة فجاءت من حيث لم يكن طلال يتوقع اذ تضامن معه موظفو شركة سابا وقدّم معظمهم استقالاتهم أثر استقالته. وأكثر ما فاجأه هي عاملة المقسم في شركة سابا وتدعى ماري حايك التي حملت مجوهراتها معها وقالت لطلال: "يبدو انك تحتاج الى التمويل، فقررت ان اقدم مجوهراتي على سبيل المساعدة"، شكرها أبوغزاله وطلب منها ان تحتفظ بمجوهراتها لنفسها، وأن تبقى في وظيفتها في شركة سابا. غير ان عاملة المقسم احتفظت بمجوهراتها لكنها اصرّت على الانضمام الى المستقيلين.

ترك تضامن زملائه الموظفين اثره الطيب في وجدان طلال الذي صار اكثر ثقة بنفسه وبالآخرين، لكنه شكرهم واصرّ عليهم ان يعودوا الى اعمالهم في الشركة لانه غير قادر على تأسيس شركة جديدة في المدى المنظور، ولا يمكنه تأمين مقر للعمل، ولا يملك مالاً

يضمن معاشاتهم. غير ان الموظفين المستقيلين أبدوا استعدادهم ليعملوا معه من دون مقابل على ان يقوم بتسديد مستحقاتهم عندما تتوافر الأموال.

يفخر أبوغزاله ويعتز بزملائه موظفي شركة سابا ويعلق قائلاً: "حدث شيء ما يوم اقالتي من شركة سابا، شيء لم أكن أتوقعه، وهو فريد من نوعه في تاريخ الاعمال. فبعد ساعات من تسريحي من مكتب الكويت استقال اغلب موظفي المكتب، وأبلغوا قرارهم الى المكاتب الاقليمية التابعة للشركة، وبدأت تتلاحق الاستقالات بالتلكس من الخليج والكويت والجزائر والمملكة العربية السعودية. لم أكن أملك شيئاً سوى سمعتي الجيدة والعلاقات التي بنيتها طوال عقد ونيف مع زملائي. وفهمتُ أمراً حفر في ضميري ان اصدقائي هم ثروتي".

## شركتي الأولى: سيارة صغيرة وملفات وكثير من الثقة!

باشر طلال العمل، وانطلقت مجموعة طلال أبوغزاله على أيدي موظفيها، وحمل كل واحد منهم ملفاته في صندوق سيارته وراح يطوف على الزبائن، فاختزل أبوغزاله المشهد بقوله: "كانت ملفاتنا في صناديق سياراتنا، وصارت سياراتنا مكاتبنا". وكانت البداية: شركة بلا عنوان، ومجموعة بلا محل اقامة، وموظفون بلا معاشات، ولكن ما يجمعهم ثقتهم بشخصي، وايمانهم ان العمل مفتاح النجاح.

لم تدم مرحلة المكاتب السيّاره طويلاً، فقد وقع بصر صديق لطلال هو عبد العزيز الشخشير على المجموعة تعمل على الطريق، فسأل طلال: "لماذا أنتم واقفون على قارعة الطريق؟"، اجابه طلال: "هذا مكتبنا"، رد عليه الشخشير: "لا، انت مكتبك عندي وعندما يصير معك فلوس تدفع لي الايجارة". وفي الواقع أقام طلال وموظفوه في الطابق الثالث من المبنى التي كانت شركة سابا تشغل فيه الطابق الثاني. واقام طلال وموظفوه في البناية لمدة سنة كاملة من دون تسديد اي بدل ايجارة، وكان طلال يردد لمن يريد ان يسمعه: "لن أنسي فضل عبد العزيز الشخشير طالما انا حي".

تحسر أبوغزاله لاحقاً لان شركة اميركية كبيرة ابتلعت شركة سابا عن طريق ما يعرف "بالاندماج" الذي يبدأ بالشراكة وينتهي بابتلاع الكبير للصغير، وهذا ما حصل لشركة سابا. وقد حاولت شركة آرثر اندرسون، وهي واحدة من الشركات الاميركية الخمس الكبار في عالم المحاسبة، ان تعرض على طلال عملية اندماج في العام ١٩٩٠ اعتقاداً

منها ان طلال بحالة تعثر نتيجة اجتياح صدام حسين الكويت حيث كان يعمل طلال. لكن طلال رفض مبدأ الاندماج، فتقدم الجانب الاميركي، بعد مفاوضات مضنية، بعرض سخي يتضمن الابقاء على بعض موظفي طلال الذين يختارهم بالاسم وتشغيلهم في الشركة المدموجة، اضافة الى منح طلال وظيفة مستشار براتب عالٍ، بناء على اقتراح من رئيس شركة اندرسون شخصياً.

في ضوء هذا العرض، توافق الطرفان على عقد اجتماع في روما بحضور الرئيس العالمي للشركة الاميركية الذي كان على اقتناع ان عرضه لا يرد. اما طلال فكان يقول في سره: ”استفزني هذا العرض السخيف فقررت ان استفز اصحابه“. قال طلال لرئيس الشركة الاميركية: ”عرضكم جيد، ولكن ما رأيكم ان نقلبه: انا اعرض عليكم ان اشتري شركة آرثر اندرسون في الشرق الاوسط؟“.

غضب رئيس الشركة الاميركي وقال: ”كيف تتجاسر ان تحكي هذا الكلام؟ ليس هناك شخص في العالم يتجرأ على هذا الكلام امام رئيس شركة آرثر اندرسون“، اجابه طلال بهدوء الواثق: ”المسألة ليست مسألة جرأة، فنحن نتفاوض: أنت عرضتَ عليّ عرضاً، وانا عملت لك عرضاً مقابلاً. الامر لا يحتاج لا الى جرأة ولا الى غضبُ“.

عند هذا الحد أنهى الجانب الاميركي الاجتماع من طرف واحد، ووجه رئيس الشركة الاميركية لطلال تهديداً مباشراً: ”لم يحدث في التاريخ أن خاطَبَنا أحد بهذه اللغة، على كل الاحوال سنستحوذ عليك حياً او ميتاً“. لم يعر طلال كبير اهتمام للتهديد المباشر الذي أطلقته الشركة الاميركية، بل رأى في الامر مجالاً للاعتزاز بأنه يثير قلق مثل تلك الشركات الضخمة، واستنتج: ”بات وجودي في الكويت ظاهرة عالمية الى درجة انها اثارت قلق أكبر الشركات الخمس الكبار في العالم، على الرغم من ان حجمي صغير جداً جداً بالنسبة لها... اصبحت خصماً لشركات عملاقة مما أعطاني المزيد من الثقة بالمستقبل“.

وتشاء الظروف ان تصدر المحكمة العليا في مدينة تكساس، بعد أكثر من عقد، حكماً نهائياً في العام ٢٠٠٥ بتجريم شركة آرثر اندرسون بتهمة اعاقة تحقيق العدالة واخفاء وثائق تتعلق بعمليات شركة إنرون (Enron) ما يعتبر خرقاً للقواعد الاخلاقية والمهنية، فأغلقت مكاتبها وتمت تصفيتها، وكانت تقدر ايراداتها بتسعة مليارات دولار، ويصل عدد موظفيها الى حوالي ستة وثمانين الفاً منتشرين في انحاء العالم.

أسف طلال على تصفية الشركة الاميركية رغم استعدائها له وقال: "يحزنني ان تنهار احدى الشركات العملاقة على الرغم من انها كانت خصماً لي، فانا احترم خصمي خاصة إذا كان كبيراً بحجم آرثر اندرسون".

أظهرت تجربة طلال مع الشركة الاميركية ملامح مميزة عن شخصيته: شجاعة في التحدي، الثقة بالنفس، احترام الخصم. وكما واجه أطماع الشركة الاميركية بشراسة، فإنه بنى قدرات شركاته البشرية بعناد، فراحت تكبر وتتكاثر.

## النزاهة، حجر الأساس لبرج المحاسبة العالي

ويذكر طلال في هذا المجال ان اولى العمليات التي جاءته بعد استقالته من شركة سابا كانت من غرفة التجارة والصناعة الكويتية بدعم من رئيسها عبد العزيز الصقر. اما العملية الثانية فكانت بفضل عبد اللطيف الحمد الذي كان وزيراً للمالية، ورئيس الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. والعملية الثالثة كانت عن يد فيصل المرزوق الذي يتحدر من اغنى العائلات الكويتية.

يروي طلال ان المسؤول المالي في شركته توجه مرة الى مدير شركة المرزوق يطلب منه دفعة على الحساب، فأجابه مدير الشركة انه لا يدفع اي مبلغ من المال الا بعد اتمام العمل المطلوب. عندما علم طلال بجواب مدير شركة المرزوق رأى ان موقف هذا الاخير محق فالعقد المنظم مع الشركة ينص على ان الدفع يتم عند انهاء الشغل. وكان طلال في ضيق مالي خانق، وانه غير قادر على استئناف العمل صبيحة اليوم التالي.

في المساء فوجئ أبوغزاله بوصول فيصل المرزوق الى منزله، وما ان دخل حتى سحب دفتر الشيكات من جيبه وقال له: "ما هو المبلغ الذي تحتاج اليه؟" قال طلال: "اريد فقط دفعة على الحساب". كرر فيصل: "قل ما تريد لدي تعليمات صارمة من العائلة ومن أخي خالد ان اعطيك كل ما تحتاج اليه الى حدود المليون دينار". ارتبك طلال عند سماعه برقم المليون الذي لم يعتده من قبل وذهل، فبادره مدير شركة المرزوق قائلاً: "طالما انت لا تريد ان تحدد الرقم، فهذا شيك بمليون دينار". نظم شيكاً ووقعه وتركه امام طلال المدهوش وغادر.

لم يكن طلال بحاجة الى أكثر من بعض الآلاف من الدنانير لتسيير أموره، فسارع الى اعادة الشيك الى صاحبه مشكوراً. لكن هذه الواقعة انعكست ايجاباً على نفسية طلال

واعطته ثقة كبيرة بالذات وبالاطراف التي يتعامل معها، وشعر بان "الدنيا مقبلة وليست مدبرة"، وان بمقدوره ان يكون طموحاً وأن يراهن على ثقة الناس به، وان يقترض من المصارف، ويؤسس الشركات على انواعها في عالم يتغير ويتجدد.

وانطلق طلال يؤسس الشركات ويتولّى المناصب في الامم المتحدة في عدة ميادين، فأسس في العام ٢٠٠٦ مع الامين العام للامم المتحدة كوفي أنان ما عرف دولياً بـ "ميثاق الامم المتحدة" الذي ركز فيه على موضوعين: الاول واجب الشركات في خدمة المجتمع، والثاني النزاهة في عمل الشركات ومكافحة الفساد. عرض كوفي انان على أبوغزاله ان يترأس مجلس ادارة هذا الميثاق، غير ان طلال اجابه: "اتمنى ان تكون انت الرئيس بصفتك الشخصية لنوجه رسالة هامة بخصوص هذا الميثاق، واكون انا نائبك"، وهكذا حصل.

وتجدر الاشارة الى ان هذه المؤسسة هي الوحيدة التابعة للامم المتحدة التي يرأس مجلس ادارتها امين عام الامم المتحدة بصفته الشخصية. وعندما خلف بان كي مون سلفه كوفي انان استمر هذا الاخير رئيساً للمشروع بصفته الشخصية، وبقي طلال نائباً له وعلق قائلاً: "هذا المشروع هو المؤسسة الاولى دولياً التي تعمل لفكرة خدمة المجتمع ولفكرة نزاهة الشركات، سواء لجهة حقوق العمال أو لجهة الشفافية ومنع الرشوة ومكافحة الفساد. وقد حقق هذا المشروع نجاحاً كبيراً لانه أشرك في عضويته الشركات التي تلتزم بمواده العشرة التي صيغت بشكل مختصر"، وواضح على الوجه التالي:

**أولاً:** على الشركات ان تدعم وتحترم حقوق الانسان المتفق عليها دولياً.

**ثانياً:** التأكد من أن الشركات ليست ضالعة في اي من الانتهاكات لحقوق الانسان.

**ثالثاً:** على الشركات ان تحترم حقوق تكوين الجمعيات والاعتراف بها وبحق المفاوضة الجماعية العاملين.

**رابعاً:** القضاء على جميع اشكال العمل القسري والالزامي.

**خامساً:** إلغاء جميع أَشكال عمل الاطفال والقاصرين.

**سادساً:** القضاء على التمييز في الوظائف العامة.

**سابعاً:** على الشركات اتخاذ منهج وقائي وحذر تجاه مخاطر البيئة المحيطة.

**ثامناً:** دعم وتفعيل المبادرات لضمان المسؤولية تجاه البيئة.

**تاسعاً:** التشجيع على تطوير ونشر تكنولوجيا صديقة للبيئة.

**عاشراً:** على الشركات مكافحة جميع اشكال الفساد، بما في ذلك الابتزاز والرشوة.

علق أبوغزاله على مشاركته مع الامين العام للامم المتحدة في صياغة ميثاق الامم المتحدة بالقول: ”استطعت عبر هذه المشاركة ان اثبت ما يقدر عليه انسان فلسطيني لاجئ. ورسالتي الاساسية ان أقدم الاثبات بان الانسان الفلسطيني يستحق الحياة“.

وفي العام ٢٠١٥، عُقدت في بيروت الندوة السنوية للمنظمة العربية لمكافحة الفساد تحت عنوان ”تعارض المصالح والمهمات لمراقبي ومدققي المحاسبة القانونية“، دعا فيها طلال أبوغزاله ”السياسيين والمثقفين ورجال الاعمال الى تبني ميثاق شرف ومدونة سلوك لمحاربة آفة الفساد التي تدمر البنى التحتية لاقتصاد دولنا العربية وتعكر صفو امن مواطنينا ولقمة عيشهم“. وشدد أبوغزاله على أهمية ”الاستقلالية“ في مهنتي المحاسبة والتدقيق مؤكداً على انها ”اساس اي منظومة اخلاقية ومهنية“.

وتتطلب مكافحة الفساد تضافر جهود الدولة بأجهزتها الادارية والقضائية والامنية اضافة الى المجتمع الاهلي والمواطنين عموماً لمواجهة المتنفذين واصحاب الثروات والمصالح، وهم الاكثر خطورة والاكثر إضراراً. ولا يجوز الاكتفاء بمعاقبة صغار الفاسدين، بل يقتضي اسقاط الرؤوس الكبيرة. ان معاقبة صغار الفاسدين دون الكبار خطأ فظيع يدفع بالفاسدين الكبار الى المزيد من الفساد والافساد لشعورهم انهم في منأى عن اي محاسبة. ولا بدّ من التذكير بان فساد السمكة يبدأ من رأسها، وفساد الدولة يبدأ من رؤوس السياسيين، وفساد الادارة من رؤوس المسؤولين عنها وفي مقدمهم كبار موظفيها ومديريها.

يتوقف أبوغزاله عند تقرير البنك الدولي الصادر في العام ٢٠١٦ الذي وصف مهنة المحاسبة بانها ”الاهم والاكثر حساسية لاقتصاد اي بلد في العالم، وهي الاداة التي لا بدّ منها لصناعة القرار الاقتصادي واظهار حقيقة اي مشروع“. من جهته، مارس طلال عمل المحاسبة من هذا المنظار الدولي، والمحاسبة بالنسبة له هي أكثر من مهنة تقنية، انها الطريق الذي يقود الى الحكم الرشيد حيث تسود الشفافية والنزاهة. ودور المحاسبة والتدقيق يتخطى حدود التأكد من الارقام، ويصل الى حدّ اظهار حقيقة اي مشروع، سواء كان على الصعيد العام بكل اداراته ومؤسساته، او على صعيد القطاع الخاص وبالتحديد على صعيد الشركات. فالمحاسبة تبدأ بالشركات لتنتهي بالدولة والعكس صحيح ايضاً، وهي الاساس العلمي لصناعة القرار الاقتصادي، والقرار الاقتصادي يعكس وينعكس على القرار السياسي. فلا اقتصاد تنموي ولا سياسة اصلاحية في غياب المحاسبة والتدقيق.

صنفت مجلة المحاسبة الدولية، وهي مجلة بريطانية عالمية، طلال على انه من أبرز مئة شخصية محاسبية في العالم لسنة ٢٠١٤، والاول في قائمة المهنة على المستوى العربي. وقد أجرى هذا الاستقصاء حكام مختصون في المحاسبة من جنسيات مختلفة، أميركيون وبريطانيون واستراليون، وشمل الاستقصاء في حينه كبرى الشركات والمعاهد والجمعيات والمنظمات العاملة في هذا الميدان، اضافة الى شخصيات ذات صدقية عالية امثال المديرة التنفيذية لصندوق النقد الدولي كريستين لاغارد، ورئيس اللجنة المالية الاوروبية لسوق المال ستيفن مايجور، والمفوض الاوروبي العام للاسواق

والخدمات مايكل بارنيه، ووزير مالية المانيا ولف جانغ شوابل، والمديرة التنفيذية للجودة في الولايات المتحدة سندي فورنيلي، وحاكم المصرف البريطاني مارك كارني.

وفي آذار ٢٠١٥ عين طلال عضواً في المجلس الاستشاري لكلية "انسياد" (INSEAD) الفرنسية، وهي واحدة من أشهر الكليات العالمية الرائدة للدراسات العليا في مجال ادارة الاعمال التي تأسست منذ العام ١٩٥٩ ومقرها في فونتنبلو في فرنسا، ويضم مجلس ادارتها شخصيات مرموقة ومشهورة في فرنسا وأوروبا.

**يرأس الهيئة العامة**
**للمجمع العربي للمحاسبين القانونيين**

# ثانياً
# زمن الكمبيوتر وثورة المعرفة

## عامل المعرفة: أن تستشرف الثورة المعلوماتية مبكراً

في العام ١٩٦٥ سمع طلال للمرة الاولى بشيء اسمه Data Processor أي معالج البيانات. وكان جهازاً بحجم غرفة يتم ادخال المعلومات فيه فيطبعها ويجدولها ويحفظها. وقد نظمت شركة IBM دورة تدريبية في لندن حول هذا المستجد، فاشتم طلال في الامر بداية أمر جديد وهام قد يغير العالم وينقله من حال الى حال، فاستدان ثمن بطاقة السفر ليشارك في ذلك المؤتمر.

لم يكن طلال يتخيل مدى المتغيرات التي سيولدها هذا الجهاز الجديد، لكنه أدرك بالحدس والمنطق ان شركة IBM لا تدعو الى مثل هذه الدورة لو لم يكن على درجة عالية من الاهمية. وشعر أبوغزاله ان العالم بات على مشارف عملية متدحرجة بدأت تظهر اولى معالمها، وأطلع من غرفة التجارة الدولية (ICC) ان العمل جارٍ في الولايات المتحدة على أمر قيد الانجاز اسمه "الانترنت".

والحقيقة ان فرنسا اهتدت الى هذه الفكرة الجديدة وأسمتها "مينيتل" (Minitel) قبل الولايات المتحدة الاميركية، غير انها لم تدرك ابعادها العالمية فحصرتها في فرنسا. اما الولايات المتحدة فالتقطت الفكرة واخترعت الانترنت، فانتقل العالم من مشروع "المينيتل" الفرنسي المحصور بفرنسا الى مشروع "الانترنت" الاميركي المفتوح على العالم.

وتعود العلاقة بين الولايات المتحدة والانترنت في الاصل الى شبكة "اربانت" (Arpanet) التي طورها باحثون جامعيون بتمويل من وكالة مشاريع البحوث الدفاعية (DARPA)، واستخدمت هذه الشبكة لاغراض اكاديمية علمية وصولاً الى الاستعمالات التجارية والعسكرية، وسرعان ما أصبح الانترنت مع مطلع التسعينات من القرن العشريني ضرورة اقتصادية واجتماعية عالمية، ما حمل الجمعية العامة للامم المتحدة الى اتخاذ قرار لعقد قمة عالمية لمجتمع المعلومات، وكان طلال مشاركاً وفاعلاً فيها.

كبر اهتمام طلال بالانترنت لا سيما بعد ان علم ان وزارة الدفاع الاميركية ووكالة المخابرات المركزية (CIA) بالتعاون مع عدة جامعات في الولايات المتحدة تعمل على تطوير هذا المشروع، وان مستشار رئيس الجمهورية الاميركية ايرا ماغازينر يحتل مكتباً بقرب مكتب الرئيس الاميركي، وهو يشتغل على موضوع الانترنت. استخلص طلال نتيجة واحدة ان موضوع الانترنت يتخذ طابعاً استراتيجياً لمجرد ان رئيس الولايات المتحدة الاميركية ووزارة الدفاع الاميركية وعدداً من الشركات والجامعات مهتمون به.

اقترح طلال على غرفة التجارة الدولية ان تدعو المندوب الاميركي ليحاضر في باريس حول الانترنت. واثناء القاء المحاضرة أَبرز المحاضر الاميركي على الشاشة صورة جهاز يشبه الكمبيوتر، وبحجم جهاز التلفزيون، وقد جلس امامه كلب يطبع، ومكتوب تحت الصورة: "لا أحد يعرف انه كلب".

استنتج أبوغزاله من صورة الكلب ان الانترنت هو المكان الوحيد الذي يتساوى فيه المتحدثان. وتفتحت عيون طلال على فكرة رئيسية وهي ان كل انسان يدخل على الانترنت يساوي الانسان الآخر بمعزل عن أصله أو عرقه أو جنسه أو لونه او دينه او وطنه أو لغته او ثقافته او مستواه الاقتصادي والاجتماعي، فالانترنت يحقق الديمقراطية والمساواة بين البشر في العالم.

منذ ذلك التاريخ لم يترك طلال اي مناسبة الا وذكّر فيها ان الامم المتحدة اعلنت في العام ٢٠١١ بأن الوصول الى الانترنت هو حق اساسي من حقوق الانسان ويضيف: "وبصفتي رئيساً للائتلاف العالمي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتنمية (GAID)، فقد ناضلتُ كثيراً ليرى هذا الاعلان النور والذي ساهمت في صياغته. ومنذ وقت طويل وانا من أشد المؤيدين للتعليم عبر الانترنت، واؤمن ان بمقدوره حل العديد من القضايا التي تواجهنا ومنها تمكين طلاب العالم وشبابه التعلم بكلفة رخيصة".

يخاطب طلال معاصريه ليذكرهم "بأننا محظوظون لاننا نعيش حقبة غير مسبوقة، فلينظر كل واحد الى الهاتف الخلوي الذي يحمله فهو يتمتع بقوة حاسوبية أكبر من نظم الحاسوب الذي قاد مهمة ابولو ١١ الى القمر قبل عقود"، ويلحظ: "ان التعليم تأخر عن ركب الثورة التكنولوجية، وهو غير مؤات بل هو متعارض مع التقدم الذي نشهده اليوم". ويصف طلال منظومة التعليم بانها "معطوبة"، ولا بدّ من تطوير العلاقة بين المؤسسات التعليمية والطلاب نحو الافضل، وعلى المفكرين والقادة وصناع السياسات والتربويين ان يبحثوا إذا ما كانت الطرق الاعتيادية للتعليم ما زالت قادرة على الاستجابة للتقدم الحاصل، ويجيب طلال بوضوح وصراحة بانه لا يعتقد ان التعليم التقليدي يفي بالغرض ويستطرد: "اننا بحاجة الى طرق تعليمية مبدعة لمسايرة التقدمات التكنولوجية، ولا يمكن بناء ديمقراطية التعليم على الادوات القديمة، وان ثورة المعرفة تشكل حجر الزاوية في التعليم". وينتهي الى القول: "من خلال التزام مجموعة طلال أبوغزاله والتزامي الشخصي حققنا نجاحاً في التعليم التقليدي... وانا فخور بهذه الانجازات، غير أنى ارغب بالتقدم خطوة اخرى للانتقال الى المرحلة الالكترونية".

## المعرفة ليست طريقا للتطور... إنها قرار للتغير

لا يغفل طلال ان العبور الى الانترنت يواجه العديد من المشاكل التي ينبغي حلها، ومنها المشاكل النفسية التي تتخوف من ان تفقد البشرية تواصلها الانساني نتيجة اعتماد الناس في كل شؤونهم على الانترنت. لم تنتب هذه التخوفات طلال، غير انه تعمد طرح السؤال على بيل غيتس الذي أجابه: "عندما كان الناس يعيشون في الكهوف أما كانوا يأكلون بعضهم بعضاً ولم يكن الانترنت موجوداً؟ وألم يكن عالمنا أشد دموية في الماضي قبل الانترنت؟"، واستطرد قائلاً: "لا يجوز الانجرار وراء هذه الاسئلة. ففي كل يوم تقع حوادث سير مفجعة تودي بمئات القتلى والجرحى، فهل من المفيد ان نناقش موضوع استخدام السيارات او عدم استخدامها لمجرد انها تتسبب بحوادث سير؟ وهل هذا النقاش مفيد؟ ان الانترنت صار كالسيارة فهو يمثل مرحلة جديدة من تطور الانسانية". وخلص غيتس الى عكس تخوفات البعض فقال: "انا اعتقد ان التكنولوجيا قربت علاقات البشر فيما بينهم". وعلق أبوغزاله بدوره: "أنا أُوافقه الرأي بدليل ان وسائل الاتصال الالكترونية تتيح لي فرصة رؤية حفيدي في الولايات المتحدة الاميركية ساعة اشاء، والكلام معه بالصوت والصورة، وهذا ما لم تكن توفره البرقيات والهواتف... ولا يجوز القول ان وسائل الاتصال ابعدت الناس بعضهم عن بعض، بل هي تقربهم بعضهم من بعض".

من جهتي اتفهم هذا الجدل القائم، وهو صراع تاريخي بين القديم والجديد، مع العلم ان كل اكتشاف يمكن ان يكون خيراً على البشرية جمعاء إذا احسنّا توظيفه، ويصبح خطراً إذا اسأنا استخدامه. الانسان قادر ان يحول التكنولوجيا بما فيها الانترنت الى اداة اعمار او الى آلة تدمير. ولا مفر من الاقرار أن التعليم عبر الانترنت لن يلغي على الفور الحاجة الى التعليم التقليدي في المدارس والجامعات، لكن المستقبل ينحو دون أدنى شك نحو التعليم الرقمي. كما ان الانترنت ليست منشأة قائمة بحد ذاتها تطلق مرة واحدة في مدار دائم، فلا بدّ من الاخذ بعين الاعتبار رأي الخبراء والمهنيين والمعلمين والاساتذة الذين يشددون على ضرورة استمرار التعليم التقليدي في المدى المنظور الى جانب التعليم عبر الانترنت. من جهته يرى أبوغزاله: ”ان التعليم هو مفتاح النجاح، والتعليم الرقمي هو المستقبل، والابداع هو محرك التنمية، والشباب هم القادرون على تحقيق الابداع في عالم المعرفة“.

والواقع ان الانترنت ادخل على العالم متغيرات كبيرة بحجم ثورة الى حد ان ما بعد الانترنت ليس كما قبله. وقد استوعب طلال أبوغزاله باكراً حجم هذه المتغيرات وآفاقها التي لا حدود لها، واقتنع بأن زمن الانترنت يفرض تغييراً واصلاحاً يشملان كل شيء وكل الناس. وأورد بعضاً من افكاره الاصلاحية في التقرير الذي نظمه، بناء على طلب المدير العام لمنظمة التجارة العالمية باسكال لامي، تحت عنوان ”منظمة التجارة العالمية على مفترق الطرق“ والذي تضمن ثلاث وعشرين توصية موجهة لاعضاء المنظمة بقصد اصلاحها وتلاؤمها مع المتغيرات.

وخلص أبوغزاله في تقريره الى ضرورة ان تقوم منظمة تجارة عالمية قوية ومتجددة تحظى قيادتها على الاحترام والمصداقية وقال: ”لا أستسيغ منظمة يصفها الناس على انها مشلولة ولا معنى لها“. واقترح طلال ادواراً جديدة برسم المنظمة وفي مقدمها التقريب بين البلدان النامية والمتقدمة، وأكد بأنها لن تتمكن من تحقيق أياً من اهدافها ان كانت ضعيفة، وبالتالي دعا الى الالتزام باصلاحها واعادة النظر في هيكليتها التنظيمية، وختم طلال تقريره بالقول: ”لا شك ان التغيير صعب جداً لكن يمكن التغلب على تلك الصعوبات بالارادة السياسية“. ويخشى طلال انه في حال عدم ادخال الاصلاحات على هذه المنظمة العالمية ”فان السنوات الطيبة للمنظمة تكون قد ولت... ولا حل سوى ان نعمل لكي نضمن بقاء منظمة التجارة العالمية ذات معنى، وان تكون نشطة وقادرة على الاستجابة“.

وعلى عادته فان الافكار تتدفق في ذهن أبوغزاله من دون توقف، فنظم ملحقاً لتقريره حول منظمة التجارة العالمية تحت عنوان: ”ضرورة ابرام اتفاقية لاقتصاد الانترنت“،

طالب فيه "بتحرير تجارة خدمات الانترنت بهدف اقامة منطقة تجارة حرة لها"، وشدد على اهمية الانترنت في التجارة العالمية ولفت الى ان: "الانترنت يمثل ٢١٪ من نمو الدخل الاجمالي المحلي في الاقتصادات الناضجة، وهذه حقيقة نشهدها منذ خمس سنوات استناداً الى اعلان الشركات نفسها ان ٧٥٪ من العوائد حققتها بفضل الانترنت مقارنة مع مؤسسات الصناعة التقليدية". واشار أبوغزاله الى مسح ضم ثلاثين دولة وصل مجموع مداخيلها الاجمالية المحلية في العام ٢٠١٠ الى ١٩ تريليون دولار تبين منه ان اختراق الانترنت ازداد بنسبة ٢٥٪ في السنة الواحدة خلال الاعوام الخمسة الماضية (٢٠٠٩-٢٠١٣).

ويكفي كبار التجار في الاقتصاد العالمي ان ينظروا الى حجم تدفق المعلومات التي تقدمها المنصات الالكترونية على الانترنت من امثال غوغل وياهو وفيسبوك وتونتي وبايدو ويانديكس ومايكروسوفت وبينغ، ليفهموا اهمية المعلومات وخدماتها وما توفره من فرص واعمال. ويعلق أبوغزاله قائلاً: "ان مشاركة البلدان النامية بصورة كاملة وفعالة في شبكة المعلومات العالمية يُعتبر من الامور الحاسمة لكل بلد يريد ان يستفيد من العولمة وان يتجنب التهميش، غير ان معظم الدول النامية متخلفة في هذا الإطار بالذات، ومع تسارع وتفجر وتيرة تطور ثورة المعلومات نجد ان هذه الفجوة اصبحت تتسع وتزداد، وان تجسيرها يزداد صعوبة يوماً بعد يوم".

وسجل طلال ان جميع اعضاء منظمة التجارة العالمية "مهتمون في تحفيز النمو في اقتصاد الانترنت المحلي بسبب تطوره العالي وقدرته على تعزيز التصدير، وفي تبني التدابير اللازمة لزيادة قدرة اقتصادات بلدانهم في جذب الاستثمارات الخارجية بصورة مباشرة، وفي دعم رواد رجال الاعمال المحليين المهيّئين للتنافس على المستوى العالمي. بات تحديث إطار التجارة العالمية أمراً مهماً لتحسين القدرة على مواكبة تطور الانترنت، ويمكن التفكير بتضمين اتفاقية الاقتصاد إلزام الاطراف المتعاقدة على ازالة جميع الرسوم والتعرفات الجمركية في كل المجالات، وتخفيف القيود الى اقل حد ممكن، والاشتراط عليها للنفاذ الى السوق الامتناع عن فرض اي شروط محلية على النشاط الخاص بالانترنت. وينبغي ان توفر الاتفاقات المتعلقة بالانترنت الحمايات المناسبة فلا تتولد اي مسؤولية عن البيانات التي تنقل الى الغير. وفي المحصلة صرح أبوغزاله: "على النظام التجاري الدولي ان يوسع الحمايات لتغطي السلع المعرفية والخدمات بصورة كاملة، والاعتراف بانها مكافأة للسلع التجارية على انواعها. لهذه الغاية، يجب الاخذ بجدية امكانية عقد اجتماع مشترك بين اصحاب المصلحة المعنيين بالانترنت والمعرفة لتقصي حاجات البيئة الرقمية واقتصاد الانترنت".

## التورط في عالم المعرفة من أجل التطور في قدرات المجتمع والأمة

في موازاة حركته الدولية، بادر طلال أبوغزاله الى إطلاق مجتمع أبوغزاله للمعرفة انسجاماً مع مسؤوليات المجموعة الاجتماعية ورسالتها الهادفة الى مساعدة الشباب العربي، والسعي الى تنمية الموارد البشرية، وتقديم أحدث الادوات والوسائل في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، وتأهيل أكبر عدد من المهنيين المحليين ومدّهم بالخبرات الواسعة التي يقدمها مهنيو مجموعة طلال أبوغزاله لمواجهة تحديات سوق العمل.

وقد خصّ أبوغزاله موضوع المسؤولية الاجتماعية للشركات حيزاً واسعاً من الاهتمام، ورفعها الى المستوى العالمي. فلا يجوز في نظر أبوغزاله ان تحصر الشركات هدفها بمجرد تحقيق الارباح، وهو مفهوم غير مستحب اجتماعياً واخلاقياً، ويدعوها بان تزيد حجم مساعداتها الاجتماعية بقدر ما تزداد ارباحها، ويلفت الى "وجود حركة عالمية للمسؤولية الاجتماعية يتعاظم نفوذها وتضم عدداً كبيراً من المؤسسات التي تؤمن بانه يجب الاهتمام بتبعات سلوكها على المجتمع برمته، ويشير، على سبيل المثال، الى شركات النفط التي تعمل في الكونغو او نيجيريا او السودان والتي تحقق ارباحاً كبيرة بأن "الشعوب الاصلية تشعر بالحرمان والاهمال والظلم مما يؤدي غالباً الى الثورات والعنف".

ويرى أبوغزاله "ان المسؤولية الاجتماعية هي احدى اركان التوازن الاقتصادي في المجتمع"، ويستشهد بقول رئيس الجمهورية الاميركية السابق فرانكلين روزفيلت: "أني أؤمن انه ما دام هناك خير كثير فان الفقر شر كبير".

وتقديراً لجهوده الانسانية المبذولة منحته الشبكة الاقليمية للمسؤولية الاجتماعية في كانون الثاني ٢٠١٤ لقب "سفير دولي للمسؤولية الاجتماعية" خلال اعمال الملتقى الاقليمي للسفراء الدوليين للمسؤولية الاجتماعية الذي انعقد في البحرين. ومن المتعارف عليه ان هذا اللقب ليس وساماً ولا صفة ديبلوماسية، بل يُمنح تحديداً للشخصيات البارزة واصحاب الشهرة والثقة والنزاهة الذين برعوا في مختلف القضايا وفي أكثر من مكان.

يؤمن أبوغزاله بالمعنى النبيل لفعل الخير، ويطلق على هذا العمل تسمية "الرسالة"، وهي رسالة لا يتخلى عنها ويسعى الى غرسها في مجموع العاملين معه، وقد أطلق في هذا المجال عدداً من المبادرات في التعليم، وفي بناء القدرات البشرية، واعادة تهيئة اجهزة الحاسوب وجعلها صالحة للاستعمال وتوزيعها مجاناً على الجمعيات الخيرية والمدارس، وقد زود في العام ٢٠١٠ مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الاردن والقرى

المحرومة في شماله بحواسيب اعيد تأهيلها. وقد دعمت الحكومة الاردنية مبادرة أبوغزاله فعممت على كل الوزارات والمؤسسات الحكومية بالتبرع باجهزتها القديمة لمركز طلال أبوغزاله لاعادة تأهيلها.

كما عمد طلال الى الاكثار من فتح مراكز طلال أبوغزاله للمعرفة، وخصّ المملكة الاردنية الهاشمية بما اسماه "دليل المراكز المعرفية" الذي يتضمن الرؤيا والرسالة والخدمات التي توفرها تلك المراكز ومنها على سبيل المثال: دورات وبرامج وديبلومات تدريبية، استخدام اجهزة الحاسوب، استخدام الانترنت، محاضرات وورش عمل للتوعية، اعمال تطوعية، نوادي اللغات وبخاصة لتعلم اللغة الانكليزية، معارض على اختلافها.

وفي "مؤتمر المعرفة الاول لتمكين اجيال الغد" الذي انعقد في دبي في شهر كانون الاول ٢٠١٤، اشاد طلال أبوغزاله "بقرار صاحب السمو محمد راشد آل مكتوم استثمار مبلغ مليار وربع المليار دولار في تطوير البنية التحتية للانترنت وتحويلها الى بيئة حاضنة للتقنيات المعرفية والذكية مما يعزز فرص صنع المعرفة الوطنية". واضاف: "ان مجتمع طلال أبوغزاله للمعرفة سيطلق بداية العام ٢٠١٨ الموسوعة الرقمية العربية لرفع مكانة اللغة العربية في الانترنت من المرتبة الثامنة والعشرين الى المرتبة الرابعة، وتحتوي تلك الموسوعة على مليون مدخل عربي رقمي موثق ومدقق ومفيد". وفي الواقع انطلقت هذه الموسوعة في العام ٢٠١٥، تحت اسم "تاجيبيديا"، وهي الموسوعة الرقمية الاهم باللغة العربية.

ترمي هذه الموسوعة الى بناء قاعدة اساسية لتبادل المعلومات الموثقة في الوطن العربي وتوفير المعرفة لكل مواطن عربي بجميع الوسائل التقنية الحديثة، ويضيف أبوغزاله: "نحن نلتزم ونتطلع لتأسيس مجتمع معرفي عربي ذي اسس متينة لتبادل المعلومة في العالم. والهدف من هذا المشروع المُمول من شركة طلال أبوغزاله بالكامل هو مساعدة الجيل الجديد للحصول على معلومة صحيحة غير مغلوطة، متماشية مع عاداتنا وثقافتنا واعرافنا العربية".

واجتهد طلال في صياغة تعريف مجتمع المعرفة فقال: "ان مجتمع المعرفة هو المجتمع الذي يتعلم ويعلم ويحكم ويسن القوانين ويتاجر ويتصل ببعضه ويقوم بكل معاملاته من خلال الجهاز العصبي الرقمي (اي الفضاء الشبكي) مستغلاً طاقات هذا الجهاز الهائلة للتقدم والتطور اللامحدود".

وفي هذا السياق اشاد أبوغزاله ايضاً بقرار القادة العرب الذين أعلنوا في بداية العام ٢٠١٤ عن "عقد المعرفة" (٢٠١٤-٢٠٢٤) في مساراته الثلاث: المعرفة الابجدية والمعرفة الرقمية والمعرفة الثقافية بقصد "محو الامية"، وشرح أبوغزاله ما يعني بالامية: "لم تعد الامية فقط تتعلق بالقراءة والكتابة، بل أصبحت تتناول ايضاً مهارة تقنية المعلومات واستعمال أدوات التقنية والمعرفة اضافة الى ما يحققه التعليم".

وجاهر طلال بان "المعرفة هي التي تصنع الثروة، والثروة الاكبر تُصنع على الانترنت. وما زال الناس يحكون بالنفط والغاز عندما يتكلمون عن الدول او الشخصيات الغنية، لكن الغنى الحقيقي بات بايدي اهل المعرفة. لم تعد شركات النفط او الغاز أو مصانع السيارات والطائرات أو المصارف هي الاكبر في العالم، بل من أكبر الشركات في العالم هي شركة "غوغل" او شركة "أبل"، وقد اصبحت قيمة اسم غوغل التجاري الاعلى في العالم ويزيد عن ٨٥٠ مليار دولار. وماذا تبيع غوغل وأبل؟ لا تبيعان لا خدمة ولا سلعة، بل تبيعان فقط معلومة. هذه هي الثروة الحقيقية في المستقبل".

وأكمل أبوغزاله في السياق عينه: "رسالتي واحدة: كيف ننقل الامة العربية لتصبح امة معرفية تعمل على الانترنت؟ وكيف نحول كل شؤوننا العربية لتصبح في محيط المعرفة؟ انا اخوض معركة واحدة في وجه الحكومات العربية ليعترفوا بالتعليم الرقمي، وقد اطلعت مؤخراً على دراسة اميركية تتوقع نهاية الكتاب والورق في العام ٢٠٢٠". واذكر في هذا السياق ان أحد وزراء التعليم العرب سألني فيما كنت احاضر في موضوع التعليم الرقمي: "نحن طبعاً لا نناقش ولا نعترض على فكرة التعليم الرقمي ولكن اريد ان اسألك هل هناك دراسة تثبت ان التعليم الرقمي هو أفضل من التعليم التقليدي؟" أجبت: "والله سؤالك في محله"، ولكن انا عندي سؤال اوجهه لك: "هل هناك دراسة تثبت ان الطائرة أسرع من الجمل؟ وهل هناك دراسة تقارن بين ركب الحمار وركب المرسيدس؟". واكملت: "يا معالي الوزير، هناك مواضيع لا تحتاج الى دراسة. هل نعمل دراسة لماذا الشمس تشرق من الشرق وتغيب في الغرب؟ وهل يفكر أحد ان يعمل دراسة موضوعها ما هو الافضل ان تشرق الشمس من الغرب وان تغيب في الشرق؟". ويكرر طلال: "ان الثروة في المستقبل هي من صنع المعرفة ومن خلال تقنيات المعرفة".

ولا يعني أبوغزاله بالثروة تحديداً ثروة الاشخاص والشركات، بل يعني بها اقتصاد الدول العربية مجتمعة ومنفردة. وقد اوضح مفهومه في ندوة نظمتها جامعة سيدة اللويزة بلبنان في نيسان ٢٠١٦ تحت عنوان: "بناء الدولة في لبنان حلم أو واقع؟" وجاءت مداخلته حول "دور التكنولوجيا في بناء الدولة".

ذكّر أبوغزاله في مقدمة كلمته "ان التكنولوجيا هي المحرك الرئيسي للتغيير ودورها حيوي في بناء دولة عصرية ترتكز على المعرفة". كما ذكّر ان "التطور العاصف في العلوم والتكنولوجيا ينقل الدولة من اقتصاد المعلومات الى اقتصاد المعرفة، كما هو الحال في الدول الغربية واليابان وكوريا... ويستخدم العقل البشري كرأس المال، ويوظف البحث العلمي لاحداث مجموعة من التغييرات الاستراتيجية في طبيعة الاقتصاد... ويعتبر تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتعزيز استخدامها حجر الزاوية للبنية الاقتصادية في الدولة". ويستشهد طلال بقول ألبرت اينشتاين الذي قال: "ان الكمبيوتر هو آلة سريعة ودقيقة لكنها غبية، اما الانسان فهو بطيء ودقيق ولكنه ذكي، فإذا جمعت الاثنين حصلت على قوة خارقة لا يمكن تخيلها".

أكد أبوغزاله على ان اقامة حكومة الكترونية يتطلب وجود مواطن رقمي، ويقول في هذا الشأن: "إذا لم يكن المواطن مواطناً رقمياً، فهو لن يستخدم الحكومة الرقمية، وبالتالي، فهو ليس مواطناً تابعاً لتلك الحكومة. بذلك يكون لديك حكومة دون مواطنين. وهنا تبرز اهمية تغيير المجتمع كله الى مجتمع المعرفة". ويحتاج هذا التغيير الى "اصلاح جذري في الطريقة التي تعمل بها الدولة أولاً، ما يوجب تطوير العمليات الحكومية قبل النظر في التكنولوجيا لتنفيذها آلياً". كما تتطلب عمليات الحكومة الالكترونية ان تكون "موحدة وانظمتها شاملة ليتمكن المواطنون من اداء كل الانشطة الحكومية على الانترنت بطريقة بسيطة وسهلة... شرط ان يكون انتشار الانترنت عالياً". ويقتضي وضع قوانين لأمن تقنية المعلومات وحماية معلومات المواطنين الخاصة، والاعتراف بالتوقيعات الالكترونية للتحقق من هوية كل مواطن، وقبول القطاع المصرفي بالعملة الرقمية والمدفوعات عبر الانترنت. كما تحتاج الدولة الى موظفين مستعدين ومؤهلين لتغيير طرق عملهم، وعلى ان تستعين الدولة بمتخصصي تكنولوجيا ذوي خبرة، وان تستخدم خبرات القطاع الخاص إذا ما دعت الحاجة. وشدد طلال بهذا المعنى على "وجود دلائل قوية للاثر الايجابي على الاقتصاد نتيجة استخدام التكنولوجيا، ويقدر هذا الاثر بزيادة نمو الفرد من الناتج المحلي الاجمالي بنسبة ٠,٦٪ وزيادة التصدير بنسبة ٤,٣ ٪ لمجرد استخدام الانترنت بنسبة ١٪".

## المعرفة... خريطة الطريق لمستقبل البشرية الأمثل

لم يتوقف أبوغزاله عند هذا الحد، بل طرح أمراً قد يبدو للوهلة الاولى مستغرباً وهو ما أطلق عليه العلماء تسمية "عصر التواحد في العام ٢٠٥٠" (Singularity)، حينذاك يصبح الانسان والادوات مجتمعاً واحداً. واورد أبوغزاله امامي مثلاً بسيطاً فقال: "في الصباح عندما ادخل الى مكتبي فبدل ان ازيح الكرسي لاجلس عليه فان الكرسي سيتحرك

لوحده تلقائياً الى المسافة المناسبة من المكتب، ويقف عند النقطة التي اعتدت ان اجلس فيها. وعندما اريد ان اقوم باي تصرف أكون خاضعاً لنظام من العلاقة المبرمجة بيني وبين كل الاشياء المحيطة بي. فعندما اخرج من المنزل، على سبيل المثال، فبدل ان اطفئ الانوار، فان الانوار تطفأ بنفسها، وقبل ان أصل الى البيت يشتغل مكيف الهواء الساخن او البارد حسب حرارة او برودة الطقس".

أكمل أبوغزاله تصوره وهو يبتسم وواصل: "انا تكلمت عن الامور البسيطة كالكرسي والضوء وآلة التبريد او التدفئة، وبمقدوري ان اتناول اموراً أكثر تعقيداً كموضوع الدواء. فمن المعروف ان نسبة كبيرة من الادوية التي نتناولها اليوم لا تعالج المرض بل تسكن الاوجاع. اما العلاج الحقيقي فيتم عن طريق الجينات، وممكن ان يكون لكل انسان خريطة جيناته منذ الولادة، وبواسطة تقنية المعرفة يمكن تحديد الامراض المحتملة التي سيتعرض لها الشخص طوال حياته، وتحديد تكوينه البيولوجي، وما هي قدراته الجسدية كالذكاء والذاكرة؟ وكيف يمكن تحسينها؟ ويمكن ترتيب الجينات فيعيش الانسان الى عمر ١٢٠ سنة. اما المعالجة فتتم عن طريق خريطة الجينات التي تكون عند الصيدلي. يتكلم الطبيب مع الصيدلي ويقرران نوع العلاج الذي يتلاءم بالتحديد مع الشخص المعني. فالدواء ذاته للمرض ذاته يمكن ان يصلح لشخص ولا يصلح لشخص آخر، وقال لي طلال: "أنا بصدد تأليف كتاب يأخذ مني وقتاً طويلاً استعرض فيه ما كان قبلنا يدخل في باب الخيال وصار في ايامنا واقعاً كالطائرة او الغواصة او السيارة. سأكتب كتاباً اتخيل فيه الحياة في العام ٢٠٥٠ حين ستتم الوحدة بين الانسان والادوات وكيف سيتم التعامل معها. والنموذج البسيط عما أقول هو الانسان الآلي الذي بات واقعاً: ينظف، يصلح، يتكلم، ويطلق احياناً بعض النكات. والقادم علينا هو الدخول في زمن التواحد بين الانسان والآلة. واتصور ان حياة احفادنا ستكون مختلفة بالكامل عما هي حياتنا، وسيكون العام ٢٠٥٠ عالماً آخر".

واثباتاً لرؤيته بأن المعرفة هي الثروة في الحاضر والمستقبل، اورد طلال قائمة "فوربس" لاغنى ١٥ ملياردير في صناعة المعرفة: بيل غيتس (مايكروسوفت كورب) تقدر ثروته بحوالي ٧٦ مليار دولار، لاري أليسون (اوراكل) ٤٨ مليار دولار، لاري بيج (غوغل) ٣٢,٣ مليار دولار، جيف بيزوس (امازن دوت كوم) ٣٢ مليار دولار، سيرجي بريان (غوغل إنك) ٣١,٨ مليار دولار، مارك زوكربيرغ (فايسبوك) ٢٨,٥ مليار دولار، ستيف بالمر (مايكروسوفت) ١٩,٣ مليار دولار، مايكل ديل (ديل) ١٧,٥ مليار دولار، بول ألن (مايكروسوفت) ١٥,٩ مليار دولار، اضافة الى ستة اشخاص يملكون ما يزيد عن مليار دولار وهم: عظيم بريمجي (ويبرو لمتد)، تشارلز ايرغين (شبكة ديش)، لورين باول جوبز (محفظة متنوعة بما فيها ديزني)، ما هواتينغ (تانسينت هولدنغز)، روبين لي (بيدو)، شيف نادار (مجموعة اتش سي إل).

وتجدر الاشارة الى ان الاوكراني جان كوم اخترع "واتس أب" وباعها لفيس بوك بمبلغ ١٩ مليار دولار. كما ان الصيني جاك ماه، مؤسس علي بابا، تجاوزت مبيعاته ١٧٠ مليار دولار ويعمل في شركته ٢٢ ألف موظف، وقد حصد في بورصة نيويورك ٢٥ مليار دولار في أكبر اكتتاب في التاريخ. والغاية من ايراد الامثلة الحية هو للتأكيد ان صنع المعرفة ليس حكراً على منطقة من العالم، وان العربي قاسم غرايبة، وهو من أب أردني وأم مصرية، باع اختراعه ميكرو ستوديو بحوالي مليار دولار، وان اللبناني طوني فاضل هو من أحد المبتكرين الاساسيين لجهاز "آيبود"، وعمل في الفريق الذي قام بتصنيع الهاتف الذكي "ايفون".

ان الثروة الاكبر هي لمن يصنع المعرفة ويستشهد طلال بتجربة فنلندا التي لا يتعدى عدد سكانها السبعة ملايين نسمة وهي لا تملك اي ثروة طبيعية، لا نفط ولا غاز ولا ذهب ولا فضة ولا معادن، لكنها تحولت الى مجتمع يصنع المعرفة ويبيعها، فبلغ ناتجها القومي السنوي ١٨٠ مليار دولار، وإذا ما قارنها باي دولة بمساحتها وسكانها في منطقتنا فلا يزيد ناتجها القومي على ٣٠ مليار دولار. فنلندا تتفوق على اي دولة مشابهة لها نفطية او غير نفطية نتيجة امر واحد انها تحولت الى مجتمع معرفي.

في غياب المعرفة يصبح الانسان سواعد من دون قوة، واقداماً تتحرك من دون ان تتقدم، وعيوناً تنظر ولا ترى الا الفراغ. وحدها المعرفة تعطي معنى لحياتنا على الارض وتقربنا من الله. الانسان بلا معرفة كالشجرة العارية من الاوراق ومن دون ثمار. انسان بلا معرفة هو انسان عديم الجدوى. فمن خلال المعرفة تنزلق الافكار الكبيرة، وهي كالروح في الجسد وكالسماء على الارض. المعرفة تصنع الرجال الكبار، والرجال الكبار يحققون احلامهم.

وإذا تراجعت المعرفة في العالم فانه يتحول الى ساحة حروب تختنق فيها البشرية، والمعرفة كالمحبة تُحرر وتَحمي وتجعل من الارض فضاءً بلا جدران. المعرفة قادت طلال أبوغزاله الى تكبير احلامه وخوض مشاريع تبدو للوهلة الاولى مجنونة، لكن سرعان ما اصبحت مشاريع ناجحة ومنتجة، يهرول وراءَها المنافسون، أما هو فيأتيه كل غد بما فيه، وكل آت بالنسبة له قريب.

قوة أبوغزاله انه يُجدَّد ويَتجَدّد، يُطوّر ويَتطَور، ويؤمن بأن التقدم كالنهوض لا يتوقف في مكان أو في زمان، وبان التغيير هو قاعدة الحياة في البشر والطبيعة، وهو فعل إبداع، وكل إبداع يحتاج الى عناية وحماية، وأفضل الحمايات هي القوانين التي تنحو الى التوحد في كل انحاء المعمورة. لقد فرضت العالمية نفسها في الماضي القريب، غير ان العالم يلج في الحاضر الراهن عصراً جديداً هو عصر المعرفة.

وحدها المعرفة تدمج بين المادة والروح، وبين الانسان والطبيعة، وليست المعرفة حكراً لدولة دون الدول، أو لشعب دون سواه، او لفئة دون باقي الفئات، بل هي عملية تفاعل بين الدول والشعوب والفئات. عبر المعرفة يتوصل كل شخص الى حقوقه المدنية والسياسية، ويقوم بالواجبات الواقعة على عاتقه، ويصبح العالم أكثر انسانية واقل ضراوة فيتغلب الصالح العام على الفاسدين والمفسدين والمستفيدين.

## الحياة ليست مدرسة إن لم تكن أنت تلميذا في البداية!

استخلصَ أبوغزاله من تجربته الغنية في الحياة الكثير من الحكم البليغة وادرجها باسلوب السهل الممتنع. لم يحصر آراءَه بمهنته بل طالت حكمه تجربته في الحياة بكل تعرجاتها: من المدرسة الى العمل، ومن الفقر الى البحبوحة، ومن المسؤوليات الباكرة الى النجاحات العالمية. وتعمد في حِكَمه استخدام فعل "تعلمتُ" وهو يعبر بهذا الفعل انه ما زال تلميذاً يجهد وراء المعرفة، وهذا غيض من فيض:

- تعلمتُ اننا في المدرسة والجامعة نتعلم الدروس ثم نواجه الامتحانات، اما في الحياة فإننا نواجه الامتحانات وبعدها نتعلم الدروس.
- تعلمتُ ان التنافس مع الذات هو أفضل تنافس في العالم، وكلما تنافس الانسان مع نفسه كلما تطور، بحيث لا يكون اليوم كما كان بالامس، ولا يكون غداً كما هو اليوم.
- تعلمتُ ان الامس هو شيك تمّ سحبه، والغد هو شيك مؤجل، اما الحاضر فهو السيولة الوحيدة المتوافرة فعلينا ان نصرفها بحكمة.
- تعلمتُ ان كل ما تفكر به يمكنك ان تحققه في الواقع.
- تعلمتُ أنك لا تستطيع ان تعرف ما الذي يمكنك عمله من دون ان تحاول.
- تعلمتُ انه كلما حققتُ شيئاً عليّ ان اسعى لايجاد غيره.
- تعلمتُ انه يوجد دائماً طريقة أفضل للقيام بعمل ما، وعليّ ان أُحاول ان أَجدها.
- تعملتُ فلسفة خلاصتها انه يمكنك ان تحصل من الحياة على ما تستحق.
- تعلمتُ انه في سعينا الى النجاح علينا ان نتغلب على أنفسنا للوصول الى المعرفة.
- تعلمتُ انه كلما فشلت مرة، عليّ ان أعيد الكرة مستفيداً من أخطائي.

- تعلمتُ ان ليس هناك شخص عديم الفائدة، ولا أحد غير مناسب للعمل.
- تعلمتُ أنى لن أستطيع ان أستمتع بالنوم في الليل الا إذا تعبت بالعمل في النهار.
- تعلمتُ ان لا أخشى الفشل عندما أقدم على اي محاولة، فالحياة تتلخص في ثلاثة احتمالات: هذا ممكن فعله، وهذا ربما نستطيع فعله، وهذا لا مفر من فعله.
- تعلمتُ انه إذا رأيتُ كناساً في الشارع يكنس مثلما يرسم مايكل انجلو، ويؤلف بتهوفن، ويكتب شكسبير، أصرخ: ما أعظم هذا الكنّاس! ان أعظم شيء ان يدرك الجميع قيمتك.
- تعلمتُ ان الشعور بالوحدة والغربة هما أقسى المشاعر وآلمها على الانسان.
- تعلمتُ ان الادارة هي فن تحفيز الآخرين على العمل.
- تعلمتُ ان عقولنا أكسل من اجسادنا.
- تعلمتُ ان لكل انسان سببين لفعل اي شيء: سبب جيد وسبب حقيقي.
- تعلمتُ ان أفضل طريقة لقياس شخصيات الناس وسلوكياتهم ان نراقبهم ماذا يفعلون عندما يُطرح امامهم شيء مجاناً.
- تعلمتُ في كل صباح ان افتح صفحة "فوربس" التي تحتوي على قائمة اغنى الناس في العالم، فإذا لم أجد اسمي فيها اهرول الى العمل.
- تعلمتُ الكثير من الحياة، واهم ما تعلمت منها هو الا يعتقد الانسان انه حقق النجاح في اي وقت، عليه ان يتهيأ على الدوام لمواصلة العمل، فالحياة لا تتوقف عند مشروع او انجاز.
- تعلمتُ ان حياة كل انسان مليئة بالنجاحات والفشل. فلا يعني النجاح المكابرة، ولا يعني الفشل النهاية.
- انا لا اعرف قواعد النجاح، لكني اعرف قاعدة الفشل وهي: ارضاء كل الناس.
- تعلمتُ كيف احقق النجاح؟ بكلمتين: القرارات الصحيحة.
- وكيف أتخذ القرارات الصحيحة؟ بكلمة واحدة: الخبرة.
- وكيف أحصل على الخبرة؟ بكلمتين: القرارت الخاطئة.
- وكيف أتجنب الوقوع في القرارت الخاطئة؟ بكلمة: المعرفة.

## صوت العرب على هيئة رجل

يفخر أبوغزاله بكل نجاح وابداع ولا سيما إذا كانا نتاجاً عربياً، وهو مؤمن بالله والعقل والمعرفة ولا يترك موقعاً او منتدى إلا ويحل فيه حاملاً صوت العروبة وفلسطين. وكان في العام ٢٠٠١ رئيساً مشاركاً لفريق عمل الامم المتحدة لتقنية المعلومات والاتصالات في نيويورك، ورئيساً للمجموعة العاملة للموارد البشرية وبناء القدرات في الامم المتحدة، ورئيس هيئة التجارة الالكترونية وتقنية المعلومات والاتصالات التابعة لغرفة التجارة الدولية في باريس اضافة الى ترؤس وادارة شركاته المنتشرة على مساحة العالم. وافاد من مراكزه ليحمل الى العالم رسالة العروبة وقضية فلسطين. وكان يلبي معظم الدعوات التي يتلقاها من كل حدب وصوب، وهو في حركة لا تهدأ ولا تتوقف. شارك على سبيل المثال لا الحصر خلال أربعة ايام من شهر ايلول ٢٠٠٢ في مؤتمرين: انعقد المؤتمر الاول في جنيف ما بين ٨ و٩ ايلول، والثاني في مارسيليا ما بين ٩ و١٠ ايلول. ويشكل هذان المؤتمران صورة عن نمط أبوغزاله في العمل، ويكشفان عن بعض تطلعاته الفكرية اضافة الى شجاعته المعنوية المعهودة.

في مؤتمر جنيف دار البحث حول "تقرير التنمية العربية" لعام ٢٠٠٢، والذي قدّم رؤية عامة وواضحة لفشل الاساليب العربية السابقة المتعلقة بالتنمية، ورسم صورة عن "الواقع المحبط" في الدول العربية. وقد تبين لطلال خلال هذا المؤتمر ان العالم العربي يملك "فرصة معقولة" لاحداث تغيير ناجح يتمثل برزمة من الحلول شارك في صياغتها كالآتي:

١. وجوب القيام باصلاح جذري للنظام التعليمي العام في معظم البلدان العربية.
٢. تشجيع الابتكار، وهو قوام التنمية الاقتصادية، من خلال اصلاح التعليم، واحترام حقوق الملكية الفكرية، والتزام الاستثمار في البحث والتنمية.
٣. دعم البحث والتنمية والبرامج العلمية والتقنية عبر الدعم الحكومي للشراكة والتعاون بين القطاعين العام والخاص.
٤. تحرير القوانين وادارة بيئه العمل على ان تولي الحكومات العربية اهتماماً أكبر بتحقيق اهداف منظمة التجارة العالمية واستغلال آليتها في هذا الشأن.
٥. على الحكومات العربية اتخاذ الاجراءات الضرورية لازالة العوائق الادارية التي تخدم مصالح خاصة في معظم البلدان العربية وتجعل التكامل العربي أمراً مستحيلاً بالفعل.

٦. اعتبار تطوير شبكات النقل الواسعة الى جانب إزالة العوائق الادارية أمرين ضروريين. (على سبيل المثال يعتمد إنشاء الطرق والجسور التي تربط المغرب بشبه الجزيرة العربية على التحرير الاداري أكثر من الاعتبارات المالية لكي ينجح).

٧. استبدال دولة الرفاه العربية، بما فيها القطاعات العامة الكبيرة والتوظيف في الدولة كبرنامج رفاهية واقعي، بنموذج اقتصادي أكثر استمرارية.

٨. التنوع في اقتصاديات النفط امر ضروري، ولا بدّ من تفادي الاخطاء التي وقعت في المحاولات السابقة والتي أثمرت عن سلع صناعية لا تتمتع بقدرة تنافسية عالمياً.

٩. يُعدّ الاستغلال الضئيل للقدرات النسوية الاقتصادية والاجتماعية واحدا من العقبات الرئيسية التي تعيق التنمية العربية.

١٠. تحتاج البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات الى استثمار مكثف لتلبية الحاجات المعلوماتية للتنمية، وهي الآن أقل تطوراً لدرجة مثيرة للشفقة فيما يتعلق باحتياجاتها.

١١. تُعد سياسة التخصيص والتحرير التي تعارضها معظم البلدان العربية أمراً حاسماً بالنسبة للبنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات على ان تشمل هذه السياسة ازالة احتكار الاتصالات، وادخال بديلاً عنها المنافسة والانفتاح. كما لا يجوز اعتبار الخدمات الجديدة كالارسال الهاتفي الخاص بالملكية الفكرية غير قانوني بهدف حماية مصادر الدخل الحكومية في الحاضر، ما يتسبب بالضرر على المدى البعيد.

١٢. على الحكومات ان تتقبل حقيقة انها لن تكون قادرة على فرض سيطرتها على كل شيء، وأنها في الواقع لم تسيطر على كل شيء في اي مرحلة من المراحل.

١٣. تحسين وتطوير المضمون المحلي لشبكة الانترنت وجعلها مناسبة للجماهير العربية.

١٤. تسريع عمليات التكامل العربي والانسجام وازالة العوائق الادارية من امام التجارة الالكترونية، ما يساهم في التنمية العربية بشكل عام.

١٥. ان العالم العربي المتكامل بنفس اسلوب الاتحاد الاوروبي سيكون ذا قدرة اقتصادية تنافسية أكبر وأكثر تأثيراً في العالم، كما انه سيوفر فرصاً أكبر للمجتمعات العربية بأكملها.

انتقل أبوغزاله مباشرة من جنيف الى مرسيليا للمشاركة في منتدى البنك الدولي للشرق الاوسط الذي باشر اعماله في ٩ ايلول ٢٠٠٢، والقى فيه كلمة تحت عنوان: "المعرفة من اجل التنمية". أطلع بداية المؤتمرين انه آت للتو من مؤتمر في جنيف وقد دارت ابحاثه حول ما احتواه "تقرير التنمية العربية"، وعرض للحلول التي سيقت في ذلك المؤتمر حول "القدرة التنافسية للعالم العربي"، ووصف اجتماعه في سويسرا "بأنه كان

بالفعل اجتماعاً استثنائياً للعرب ومن اجل العرب، ويميل العرب لان يكونوا رسميين ومهذبين جداً لكنهم حساسون تجاه الامور الدقيقة، ويرافق هذه الخاصية تحفظ ورفض واضح جداً للتغيير".

أكمل طلال فكرته بصراحة ما بعدها صراحة فقال: "لنكن صادقين، كثيراً ما يكون هنالك رفض لذكر ما هو بحاجة للتغيير، لان التغيير يعني ضمنياً وجود خطأ ما... والتغيير كمفهوم مخالف للثقافة العربية في حين ان تقرير التنمية العربية دعا الى صحوة عربية رَحَّبَ بها أهل الفكر العرب". وأكمل طلال: "لدى العالم العربي قدرات بشرية ضخمة تقدم قيمة اضافية للاقتصاد العالمي ولكنها غير مستغلة، وقد يؤدي التعاون الدولي وما ينتج عنه من دفع الى وضع أفضل لكل العالم العربي والى اصدقائنا في العالم".

كشف طلال في مؤتمر مرسيليا عن ابعاد المشكلة، فأكد ان المشكلة ليست بعدم توافر الحلول، فهي متوافرة وكثيرة، لكن المشكلة الحقيقية ان القادة العرب ينظرون الى التغيير نظرة تحفظ ورفض، ويرون ان الكلام عن التغيير هو بمثابة الادانة لهم، وان التغيير بحد ذاته هو "مشكلة" سرعان ما تتحول الى "أزمة". وفي المحصلة، فان التغيير يخالف الثقافة العربية السائدة، واهل الفكر وحدهم يرحبون به، في حين أن أهل السلطة لا يتقبلونه، والموضوع يتخطى حدود التكنولوجيا والمعرفة ويمس بخطوط حمر لا تتحمل الذهنية العربية السائدة الاقتراب منها.

على الرغم من كل هذه العقبات الموضوعية وبخاصة الموروثة، يخوض أبوغزاله معركة الحفاظ على الانترنت حراً ومفتوحاً ومتاحاً لجميع المواطنين بجودة عالية وكلفة مقبولة، ويدافع عن الحريات الاساسية لا سيما المتعلقة منها بحماية حرية التعبير، والحفاظ على الخصوصيات، ومشاركة اهل المصلحة لتعميم ثقافة الانترنت. وينظر طلال الى موضوع الانترنت على انه حق كما انه عامل فعال يساهم بصورة مضطردة في تطوير الاقتصاد والمساواة. ان الانترنت قابل للتوسع السريع، ويتمتع بمرونة فائقة، ويستوعب وظائف جديدة وتقنيات جديدة، ويشكل المجال الاوسع للمعنيين بوضع المعايير الموحدة التي تعني الاشخاص والمجتمعات والدول.

وفي حزيران ٢٠١٥، أطلق المجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة اول شبكة عالمية لترويج التكنولوجيا الرقمية خلال اجتماع عقد في المقر الرئيسي للامم المتحدة في نيويورك، وأوكلت رئاسة الشبكة بصورة مشتركة الى طلال أبوغزاله والمدير

التنفيذي للامم المتحدة للمستوطنات البشرية جون كلوس. وجاء هذا التكليف بالنظر لدور أبوغزاله الريادي في ترؤس معظم الهيئات في الامم المتحدة المعنية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، اضافة الى مؤسسات اخرى عديدة تابعة للامم المتحدة في مجالات متنوعة كالمحاسبة والاقتصاد والتعليم. وحضر هذا الاجتماع الرئيس الاميركي السابق بيل كلينتون وغيره من قادة العالم الذين اجتمعوا لتبادل الحلول حول مسائل تتعلق بدور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التحضر المستدام لجعل المدن أكثر استدامة وتطوراً .كما عقدت الامم المتحدة في مقرها في نيويورك مؤتمراً بمناسبة اليوم العالمي للتوطين، القى خلاله طلال أبوغزاله كلمة أكد فيها على " انه من المنتظر ان يبدأ عالم اليوم بداية تاريخية جديدة"، ولفت الى ان قمة الامم المتحدة للتنمية المستدامة تبنت اجندة تاريخية وهي تحديد العام ٢٠٣٠ كعام للتحول تحت عنوان : "٢٠٣٠: تحويل عالمنا". بالطبع قرارات الامم المتحدة تبقى قرارات مبدئية غير ملزمة للدول، ويشترط التغيير نحو المستقبل بروز ارادة وطنية عربية تحقق التغيير وتلج عصر الحداثة والمعرفة.

حذر أبوغزاله من ان نموذج التحضر الحالي مبني على " الاستخدام المدمر للاراضي والثروات مثل الطاقة والمياه، ويرتكز على استخدام السيارات مما يؤدي الى الزحف العمراني وتوسع المدن بشكل غير مخطط له"، وأكمل قائلاً: "لا يمكن استدامة هذا النوع من التنمية لمدة طويلة لانها ستسهم في تدمير البيئة الذي غالباً ما يؤدي الى تفاقم عدم المساواة والتفرقة الاجتماعية وتكوين الاحياء الفقيرة والتمييز في الوصول الى فرص العمل وخدمات الصحة والتعليم". وأنهى كلامه بالقول: "في عصر المعلومات يجب النظر الى التكنولوجيا الرقمية كمكون اساسي للبنية التحتية الحضرية الحديثة، وكأداة استراتيجية للتخطيط والتصميم الحضري".

## الحلم العربي قادم لا محالة... بهمة الشباب وثورة التعليم

يعمل أبوغزاله لتعزيز التكنولوجيا الرقمية في البلدان العربية بناء على مجموعة من الاسسس نذكر منها ثلاثة وهي: اولاً رفع كل انواع الاحتكارات واصدار القوانين اللازمة لتحرير قطاع الاتصالات، ثانياً تطوير رؤية شاملة لقطاع الاتصالات لمواكبة ثورة المعرفة المتنامية واستيعابها والتكيف مع الحاجات المحلية في اطار تطوير اقتصاد المعرفة الذي يعتمد الابتكار، ثالثاً اشراك كل الوزارات ولا سيما وزارات التخطيط والاقتصاد والتربية والتعليم المسؤولة عن تدريب التلامذة والطلاب على تقنية

المعلومات، كما هي مسؤولة عن اشراك المجتمع المدني والقطاع الخاص وحثهما لزيادة الاستثمارات في هذا المجال. وتفرض الثورة التكنولوجية ثورة في التعليم ما زالت خجولة في العالم العربي، وهي على حد قول أبوغزاله "ثورة داخل الثورة".

حمل أبوغزاله لواء "ثورة التعليم" الى جامعة الدول العربية، واقنع قادتها وامينها العام عمرو موسى بضرورة اخضاع الجامعات والكليات والمدارس والبرامج الى "فحص الجودة" لتقويم مستواها وقدرتها على إداء المطلوب منها، وقال له: "لا يمكنك اتخاذ الاجراءات اذا لم تتعرف على المشكلة... ولا يمكنك ادارة المشكلة قبل أن تقيسها لمعرفة حجم الخلل الموجود في المؤسسات، علماً اني اعتبر التعميم ظلماً، فهناك جامعات ممتازة واخرى جيدة، وهناك جامعات لا بأس بها وأخرى سيئة، ولا بدّ أن يتم فرز الجيد منها مما هو ليس جيداً، كما يجب اغلاق الجامعات السيئة والغاء تراخيصها لحماية الطلاب والشباب من جامعات توزع شهادات غير معترف بها".

اقترح أبوغزاله على عمرو موسى انشاء منظمة دولية -وان كانت تحت مظلة أمين عام جامعة الدول العربية – مركزها بروكسل، عاصمة السوق الاوروبية، لتكون مستقلة وذات طابع دولي تتفاعل مع المنظمات الدولية، ولا تخضع لاي سياسة وطنية أو محلية، تعمل على اعداد برنامج لتصنيف الجامعات في الدول العربية التي يبلغ عددها حوالي ٤٢٠ جامعة، بدل ان نوكل هذا التصنيف الى منظمة أميركية أو اوروبية أو آسيوية لا تعرف لغتنا ولا بيئتنا ولا متطلبات سوق العمل لدينا. والغاية من التصنيف ليس التعريف بالجامعات التي تحتل المراكز المتقدمة فحسب، بل يرمي هذا التصنيف الى دفع الجامعة التي تحتل، على سبيل المثال، المركز العشرين لتصبح في المركز العاشر. ليس هدف هذه المنظمة مجرد إجراء الاحصاءات ورفع التقارير أو الغرق في التحاليل وإلقاء المواعظ، بل المقصود منها تحريك الجامعات لاتخاذ الاجراءات العملانية للانتقال من مركز أدنى الى مركز أعلى، وصياغة برامج عصرية جيدة. ويشير طلال في هذا المجال الى تجربة الكويت التي وضعت خطة للعام ٢٠٣٠، ولا بدّ لكل العالم العربي أن يفكر بخطة تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة.

توجه أبوغزاله الى المسؤولين العرب ليعوا ان شبكة الانترنت لم تعد مجرد وسيلة خدمات فحسب، بل باتت تساهم مساهمة فعالة في تعزيز حقوق الانسان، وقد رأى المجلس الدستوري الفرنسي ان الانترنت هو "أحد مكونات حرية التعبير وتداول المعلومات والمشاركة في الحياة الديمقراطية". وبالتالي يقتضي العمل على اتاحة فرص متساوية لكل عربي، لا بل لكل انسان في العالم، ليحصل بكلفة بسيطة على

منتجات الانترنت ذات المستوى العالي والموثوق. ويحذر طلال أبوغزاله من محاولات بعض الدول التضييق على حريات المواطنين والمقيمين في سياق استخدامهم الفضاء الالكتروني، فمؤشر حرية الانترنت بات من اهم المؤشرات لتصنيف الدول الاكثر حرية في العالم.

وفي العام ٢٠١٥، أطلقت مجموعة طلال أبوغزاله والامم المتحدة للمستوطنات البشرية (UN-Habitat) شبكة التكنولوجيا الرقمية في احتفال خاص في مدينة برشلونة في اسبانيا، أعلن فيه أبوغزاله: "انه لشرف لي أن اترأس، من قطاع الاعمال العالمي، شبكة الشراكة المبتكرة بين الامم المتحدة والقطاع الخاص والتي انبثقت عن شعبة التكامل لمجلس الامم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي في ٢٨ ايار من العام الماضي، وتهدف الى تسخير التقنيات الرقمية للتقدم في تحقيق هدف التنمية المستدامة، ما سيسهم في تنفيذ البعد الحضري لاجندة اعمال ٢٠٣٠. كما ترمي هذه الشبكة الى جمع صناع السياسات من أعلى المستويات ومخططي ومصممي ومعماريي المناطق الحضرية وقادة المدن لبناء مستوطنات بشرية أكثر ذكاء. وتتطلع هذه الشبكة الى تقديم افكار تساهم في التشاور بشأن مؤتمر الامم المتحدة حول الاسكان والتنمية الحضرية المستدامة (الموئل الثالث) وأجندة الاعمال الحضرية الجديدة".

وفي تشرين الاول ٢٠١٥ بادر طلال أبوغزاله الى عقد قمة شبكات المعرفة العالمية لدعم بعثات المنظمات البارزة في جنيف والتي توفر خدماتها للمجتمع الدولي وتسهم في إرساء دعائم الامن والسلم العالميين عبر الشراكة المبتكرة في مجال التدريب والتعليم وقال: "ان موجات التغيير المتتالية في مجال التكنولوجيا الحديثة تقع يومياً، كما يتم تطبيق هذه التغييرات بمعدلات غير مسبوقة، وقد أحدثت التكنولوجيا ثورة في العالم قاطبة وجعلتْ منه عالماً صغيراً نعيش فيه ونعمل، ونحصل على التعليم. ولم يعد الاشخاص يعانون من عقبة الحدود الجغرافية والاماكن، فقد أصبح السوق العالمي في متناول الجميع، ويتيح فرصاً ويفرض تحديات غير مسبوقة... ان المستقبل أصبح للتعليم والاعمال".

وأشار أبوغزاله الى ان التكنولوجيا الحديثة زادت من فعالية وانتاجية الاعمال التجارية، وحذر "من الانعكاسات السلبية على من لا يجاري التكنولوجيا فانه سيتخلف عن الركب". ولفت الى ان التطبيق العالمي للتكنولوجيا الحديثة، مثل التوقيعات اللإلكترونية، وقبول سداد الدفعات المالية الكترونياً، وتقديم الخدمات الحكومية الالكترونية هو الدليل على تقبل المجتمعات للتكنولوجيا وتبنيها في هذه الحقبة من الزمن".

ينشر أبوغزاله تفاؤله بالمستقبل، ويُسند هذا التفاؤل على الاطفال، فيقول في هذا المجال: ''انا متفائل الى ابعد الحدود. فاذا نظرنا الى اطفالنا نجدهم يواكبون التقنية دون تعليم بل يبدعون في التعلم الذاتي. لن يستطيع أحد ايقاف هذا التوجه لان الطفل يشرب الحليب الكترونياً وهذا ما عبرت عنه صورة الطفل الذي يرضع المعرفة عوضاً عن الحليب، وقد علقت هذه الصورة امام مكتبي في عمان. نحن الكبار بحاجة الى تعلم المزيد، اما الطفل فهو قادر على تعليم نفسه''.

وفي سياق المنطق نفسه يتساءَل أبوغزاله من سيقود العالم؟ ويجيب بكل ثقة: ''القيادة في عصرنا الحالي هي لصناع المعرفة وللقيادات المعرفية. وأهمهم كان المرحوم ستيف جوبز، وهو ذو اهمية تتجاوز اهمية رئيس دولة في الغرب، ولا يجوز ان ننسى انه كان عربياً ويحمل جينات العروبة''.

ويندرج في السياق عينه سؤال آخر: ''من سيقود النهضة العربية؟''. ويأتي جواب أبوغزاله واضحاً وضوح الشمس: ''سيقود اولادنا واحفادنا النهضة العربية الاقتصادية في المنطقة. هؤلاء هم من سيقومون بالتغيير والكلمة الاخيرة ستكون للشباب في المستقبل، وشبابنا هم المستقبل، ولهم ستعود القيادة، والقيادة لا تعني ان يصبح الشاب رئيساً او ان يسيطر الشباب على مجلس النواب، فأهم قادة العالم واغناهم واكثرهم تأثيراً في العالم الغربي ليسوا رؤساء الدول بل رؤساء المؤسسات المعرفية الموجودة في تلك الدول. ترى من اقوى؟ وزارة الاعلام ام غوغل؟ ام ويكيبيديا؟ ام ياهو؟''.

وبالتزامن مع اندلاع النزاعات في الشرق الاوسط والتي أُطلقت عليها خطأً تسمية ''الربيع العربي'' أكد طلال أبوغزاله في ٢٠ نيسان ٢٠١١، وخلافاً لكل التوقعات، أن ''المنطقة مقبلة على الازدهار بعد فترة السواد الحالية'' في محاضرة القاها بدعوة من المدراس العصرية ومؤسسة فلسطين الدولية بعنوان: ''سياسة ام اقتصاد أم معرفة؟''. شدد طلال على ان ''تعطى الاولوية لصناعة المعرفة لانها تمثل الطريق لصنع الثروة، وبالتالي التنمية الاقتصادية الشاملة والمستدامة''، وتابع: ''ان التنمية الاقتصادية بمفهومها العام هامة جداً، كما ان آثارها الاجتماعية على نفس القدر من الاهمية، لذلك نحن بحاجة الى تطوير مؤشرات اجتماعية لقياس المؤشرات الاقتصادية، وعلينا ان نحقق التنمية المستدامة الشاملة، ما يقودنا الى القوة الاقتصادية والسياسية ومن ثمّ الى القوة العسكرية''.

ونصح أبوغزاله بان ''نعمل على تغيير بعض المفاهيم ونعلن بصوت عال ضرورة ان يتم التغيير من دون ان ننسى اننا لم نتحول بعد الى مجتمع معرفة، وهي مسؤولية الشباب الذين عليهم ان يأخذوا زمام المبادرة دون انتظار أحد، فالشباب هم محرك الابداع في عالم المعرفة''.

ولا يملّ طلال من التكرار من "اننا في عصر المعرفة، وهذا العصر هو عصر الشباب، فهم المنتجون وهم صانعو المعرفة وصانعو الثروة، ومصدر قوتنا، فأكثر من نصف الامة العربية من الشباب. فهو المتعلم وهو المعرفي وهو المنتج وهو صانع المعرفة والثروة". كما لا يتوانى عن التشديد باننا "لم ندخل مجتمع المعرفة بعد، نحن ما زلنا نتلقى ما تنتجه مجتمعات المعرفة الاخرى لاننا لسنا جزءاً من عالم المعرفة".

ويكشف طلال ان فريقاً من مجموعته باشر بوضع ترتيبات لعقد قمة شبابية عربية لقيادة التنمية المعرفية، وهو الاقتراح الذي تقدم به في منتدى الشباب العربي في القمة الاقتصادية العربية التنموية، وأبدى استعداده لتخصيص جائزة معرفية للمبدعين الشباب في مجالات المعرفة التكنولوجية برعاية الامين العام لجامعة الدول العربية. وحدد طلال الهدف من القمة الشبابية هو "اتاحة الفرصة امام المشاركين كي يتدارسوا فيما بينهم كيف يقودون المستقبل حيث الثروة الحقيقة هي في المعرفة، وليست في النفط او العقار او القطاعات الاخرى التي تعتبر مكملة وداعمة لصناعة المعرفة".

وصف طلال المعرفة "بالاداة الضرورية لكل انواع الابداع عن طريق استخدام تقنية المعلومات والاتصالات في كل مجالات الحياة"، وأعرب عن "تفاؤله بقدرة الشباب العربي على الابداع، بدليل ان الدخول الى عالم المعرفة الرقمي في الوطن العربي هو خمسة اضعاف المتوسط العالمي"، فالشباب فيها أكثر من نصف المجتمع، ومجتمع المعرفة هو مجتمع الشباب، وعصر المعرفة يمتلكه الشباب وهم لا يقلون معرفة وعلماً عن شباب اي دولة غربية أخرى".

تطرق أبوغزاله الى الازمة الاقتصادية العالمية، ورأى انها ما زالت في بدايتها حيث ان الازمة التي انتهت هي المالية، اما الاخطر والاكبر فهي الازمة الاقتصادية الآتية، وصرح بهذا المعنى: "ان الدول الغربية عالجت الامر بنقل الازمة من الخاص الى العام اي من خلال شراء الديون ودعم المصارف وغيرها من الاجراءات، فانتقل العجز الى الحكومات بدلاً من الشركات، وأصبح هناك عجوزات هائلة تعاني منها كل الدول الغربية وبدرجة اقل المانيا في حين ان الافلاسات تتراكم في اليونان وقد تحصل في غير اليونان ايضاً".

ووفقاً للمؤشرات والتقارير الاقتصادية والتنموية أكد أبوغزاله "بأن المستقبل هو للدول الاكثر عدداً من السكان كالصين والهند وروسيا وكوريا والبرازيل اضافة الى تركيا

ومصر وإيران"، وأكمل قائلاً: "ان الصين اصبحت اليوم ثاني أكبر اقتصاد في العالم وبمقدورها ان تصبح الاقتصاد الاول لان لديها قدرة بشرية هائلة في الانتاج والاستهلاك. كما ان مصر ستصبح دولة متقدمة بفضل ثورة المعرفة الشبابية"".

أطلق طلال أحدث مبادراته فأنشأ مجتمع طلال أبوغزاله للمعرفة الذي يتوجه الى الشباب العربي لمساعدتهم في تنمية الموارد البشرية، ويوفر لهم أحدث الادوات والوسائل في مجال تقنية المعلومات والاتصالات. وتهدف رسالة مجتمع طلال للمعرفة الى تأهيل عدد كبير من المهنيين المحليين واثرائهم بالخبرات الواسعة التي يقدمها مهنيو مجموعة طلال أبوغزاله لمواجهة تحديات سوق العمل وبافضل الشروط.

ويعتمد مركز طلال أبوغزاله للمعرفة نهجاً متكاملاً وشاملاً لاساليب العرض، والتسليم، والتقييم والتكيف مع ظروف البيئة، وخدمات التدريب على انواعها، ويؤمن الخدمات الضرورية ومنها: انترنت مجاني باعلى سرعة، الوصول لجميع المكتبات الالكترونية ومصادر المعلومات العالمية، جميع الخدمات المتعلقة بالانترنت، خدمة الانترنت اللاسلكي في جميع ارجاء المركز، خدمات التوظيف والتخطيط للمستقبل المهني، خلق التواصل ما بين الطلاب ومجتمع التوظيف ومؤسسة طلال أبوغزاله عبر القارات، برامج تدريبية متخصصة، دبلومات تدريبية، شهادة أبوغزاله كامبردج لمهارات تقنية المعلومات. كما يؤمن دورات باللغة الانكليزية، وخدمات الترجمة المتخصصة، ونشاطات اجتماعية ومنها تقديم منح دراسية، وتنظيم ايام طبية مجانية، ومعرض التوظيف السنوي الاكبر في الاردن، وتقديم دورات تدريبية مجانية، ناهيك عن منح شهادة مشاركة لكل دورة تدريبية.

خلاصة القول انه يقتضي ردم الفجوة بين البلدان النامية والبلدان المتقدمة عن طريق تشجيع الحركات الاصلاحية وادخال الانترنت الى كل المجتمعات. صحيح ان الاصلاح صعب، لكن الاصعب ان يبقى العالم بلا اصلاح، وقد أعلن أبوغزاله في هذا الشأن: "ان الاصلاح لا يعني تصحيح أوضاع سيئة، بل يعني تحقيق المزيد من التحسين بهدف دفع عجلة النمو الاقتصادي في العالم، وبخاصة في عالمنا العربي". ويذكرنا طلال بمثل صيني قديم يقول: "عندما تغير الرياح اتجاهها دائماً ما يكون هناك من يبني الجدران، ودائماً ما يكون هناك من يبني طواحين الهواء".

# ثالثاً
# زمن الملكية الفكرية

## حين تمتلك الفكرة تقطع نصف الطريق

حدث التحول الكبير في حياة طلال أبوغزاله سنة ١٩٦٩ يوم شارك في مؤتمر سان فرنسيسكو الذي نظمته شركة "تايم لايف". وكانت المدينة تشهد حينذاك حراكاً شعبياً يندد بالتدخل الاميركي في حرب فيتنام، وقد انقسمت الولايات المتحدة على نفسها بسبب تلك الحرب، وكانت مدينة سان فرانسيسكو في حالة غليان. لم يهتم طلال لما يدور في المدينة بقدر ما كان اهتمامه منصباً، وهو في الواحد والثلاثين من العمر، على التقاط فكرة جديدة يريد ان يحرك بها العالم. وخيل لطلال ان هذا المؤتمر سيرشده الى ما يريد.

دار النقاش في المؤتمر حول المعارف البشرية، واشار بعض البحاثة الى ان المعرفة البشرية كانت تتضاعف في القرن التاسع عشر وقبله بمعدل مرة كل قرن، وراحت تتضاعف في بداية القرن العشريني مرة كل عقد، وباتت تتضاعف في منتصف القرن العشريني مرة كل سنة، وصارت الافكار الجديدة تتوالد بوتيرة سريعة جداً.

وفي الواقع، تابع طلال نقاشاً جانبياً في واحدة من اللجان التي تطرقت الى موضوع حماية الملكية الفكرية التي لم يسمع بها من قبل، لكنه أدرك بالحدس والعقل انه وقع على ما كان يفتش عليه. ففي العالم العربي العديد من القوانين التي تنظم كيفية تسجيل العلامات الفارقة، لكنها تحتاج الى نقلة نوعية بإدخال مفهوم جديد عليها، وهو حماية المبتكرين والمبدعين من التعديات وايجاد صياغات جديدة لبراءات الاختراع، اضافة الى القوانين الواجب اقرارها لمواكبة التجارة العالمية والاتفاقات الدولية.

غادر طلال سان فرانسيسكو "حاملاً معه حماسه"، على حد قوله لطرح مشروع حماية الملكية الفكرية على شركائه، غير انه اصيب بخيبة وصدمة كبيرتين عندما سمع من شركائه جواباً لاذعاً: "إذا اردت ان تلعب هذه اللعبة إلعبها وحدك".

لم يترك الوقت يمر دون جدوى، فأسس سنة ١٩٧٢ "طلال أبوغزاله وشركاه" (TAGCO)، وبعدها شركة "أبوغزاله للملكية الفكرية" (AGIP). كانت الانطلاقة متواضعة، لكن أبوغزاله كان واثقاً ومصمماً على المشي على درب الملكية الفكرية مهما كلفت من جهد ووقت بدليل انه لم يتمكن من تأسيس "المجمع العربي للملكية الفكرية" (ASIP) الا بعد خمسة عشر عاماً في شباط ١٩٨٧ وخارج العالم العربي في ميونيخ بألمانيا.

يرمي هذا المجمع العربي الى تحسين وتطوير نظام الملكية الفكرية، وتحديث الانظمة والقوانين التي تحكمه، وبناء قدرات الممارسين والمهنيين عن طريق التدريب، ونشر الوعي حول مفهوم الملكية الفكرية بكل الوسائل المتاحة بين الافراد والجماعات، بواسطة الدراسات والابحاث والندوات والدورات التعليمية، وفي مقدمها برنامج "خبير ملكية فكرية عربي معتمد" (ACIPP)، وهو اول برنامج عربي متخصص يوفر تعليماً وتدريباً في خمسة محاور: مفهوم الملكية الفكرية، العلامات التجارية، المنافسة غير المشروعة، براءات الاختراع والاسرار التجارية، حقوق التأليف والحقوق المجاورة. كما تأسست "جمعية المجمع العربي للوساطة والتحكيم في الملكية الفكرية" (AIPMAS) في ايار ١٩٨٧ في ميونيخ ايضاً.

لم يكن من السهل اقناع اصحاب الشأن بأن حماية الملكية الفكرية بأهمية حماية الملكية التجارية والصناعية، ويتساءل طلال: لماذا تتم حماية الماديات ولا تتم حماية الابتكارات؟ وزاد اقتناعاً بما يفعل عندما اطلع على اهتمام الشركات الاميركية بهذا المفهوم. ويذكر في هذا المجال قولاً للرئيس الاميركي الاسبق فرنكلين روزفلت: "ان وجود نظام حماية الملكية الفكرية بمثابة الوقود التي تشعل نار الابداع في المجتمع... والنظام الذي يحمي الملكية الصناعية والفكرية هو الشرط المطلق للتنمية... وثقافة احترام الملكية الفكرية لا تقل قوة عن ثقافتنا الخاصة باحترام الممتلكات المادية... وتسعة من كل عشرة ابتكارات نشأت في دول تتبع نظاماً صارماً للملكية الصناعية والفكرية".

عندما باشر أبوغزاله بطرح فكرة حماية الملكية الفكرية دار لغط مفاده أن طلال يريد "امتلاك العقول". وفي مطلع الثمانينات، عرّف عبد العزيز الصقر طلال الى رئيس غرفة التجارة في البحرين علي فخرو، وكان الصقر قد أثني على ذكاء أبوغزاله، ونصح فخرو بان يصغي اليه جيداً.

استمع علي فخرو الى حديث طلال حول الملكية الفكرية، لكنه لم يعلق بشيء، واستنتج طلال بأن العرض الذي قدمه لم يلق استحساناً. وجاء الجواب حين تقاعد علي فخرو في العام ٢٠٠١، فالقى كلمة روى فيها انه ذات يوم زاره شاب قيل له انه لامع فحدثه في موضوع حماية الملكية الفكرية، وعند مغادرته جمع علي فخرو زملاءَه وقال: ”من المؤسف ان يعاني هذا الشاب من خطب جسيم، وكثيرون يعتقدون ان له مستقبلاً واعداً، لكن للاسف كان بنظري بائساً“، وأضاف: ”كان هذا الشاب يتكلم عن الملكية الفكرية وخيل لنا انه يسعى لامتلاك العقول، وكان يبدو طرحه ضرباً من الجنون في حينه. وقد استغرق بنا الامر خمساً وعشرين سنة لندرك ان هذا الشاب لم يكن يعاني من أي خطب، بل كان ثمة خطب فينا نحن“.

كان طلال جالساً يبتسم في القاعة وهو يسمع ما يقوله الرئيس السابق لغرفة البحرين التجارية، ويقيس الصعوبات والعقبات التي صادفته في مسيرته قبل ان يتمكن من ازالة الالتباسات والاوهام التي احاطت بموضوع الملكية الفكرية. وكرّس أبوغزاله نجاحه فنالت شركة "أبوغزاله للملكية الفكرية" جائزة أفضل شركة للملكية الفكرية في الشرق الاوسط على التوالي منذ العام ٢٠٠٧.

## صنعتُ "أجيب" فنصبتني ملكاً في الملكية الفكرية

وتعّد ”أبوغزاله للملكية الفكرية“ (اجيب) في أيامنا الشركة الرائدة عالمياً في مجال الملكية الفكرية، وتقدم خدماتها على مستوى العالم لعدد كبير من العملاء من بينهم ما يقارب نصف أكبر خمسماية شركة عالمية حسب تصنيف ”فورتشن“ (Fortunes)، وقد تصدرت ”أجيب“ بإستمرار قمة تصنيفات الملكية الفكرية التي تصدرها مجلة ”إدارة الملكية الفكرية“ بناء على احصاءات رسمية. كما تمتلك ”أجيب“ تفاهمات للمدى الطويل مع المنظمات الدولية الرئيسة العاملة في مجالات الملكية الفكرية، بما فيها المنظمة العالمية للملكية الفكرية (ويبو)، ومنظمة التجارة العالمية، والمنظمة الدولية لوكلاء الملكية الصناعية، وجمعية خبراء التراخيص الدولية.

وفي ايلول ٢٠٠٧، أصبح طلال أبوغزاله، بصفته رئيس مجلس إدارة ”أبوغزاله للملكية الفكرية“، أول خبير من خارج دول مجموعة الخمس الكبار (G5) الذي ينضم الى قائمة أكثر الشخصيات شهرة في العالم في مجال الملكية الفكرية، وقد اعلنته مجلة ”إدارة الملكية

الفكرية "في بريطانيا بين أسماء الذين قُبلوا كأعضاء في قاعة شهرة الملكية الفكرية (IP Hall of fame)، أمثال الرئيسين السابقين للولايات المتحدة توماس جيفرسون وجيمس ماديسون، والفيزيائي الشهير توماس اديسون، والكاتب العالمي فيكتور هوغو مؤلف رائعة "البؤساء"، اضافة الى شخصيات كبيرة اخرى. وعندما انضمّ طلال أبوغزاله الى قائمة الاعضاء لم يكن عدد الذين فازوا بشرف الانضواء لهذه القائمة يتعدى ثلاثة وعشرين عضواً، وألقى أبوغزاله بهذه المناسبة كلمة جاء فيها: "أني مدين بانتخابي عضواً في "قاعة شهرة الملكية الفكرية" لزملائي في مؤسسة أبوغزاله للملكية الفكرية (اجيب) الذين استطاعوا بتميزهم بناء شركة رائدة على الصعيد العالمي. وأدين كذلك بهذه الشهرة الى عملائنا وشركائنا المميزين في جميع انحاء العالم الذين شرفوني بثقتهم الغالية. كما أحيي كل مكونات الوطن العربي التي قدمت كل الدعم والتأييد لقيادتي في مجال الملكية الفكرية... واريد ان اعبر عن شكري وامتناني لمجلة ادارة الموجودات الفكرية التي أطلقت هذه المبادرة لتكريم مهنة الملكية الفكرية في العالم".

وكانت مجلة ادارة الموجودات الفكرية في المملكة المتحدة أعلنت عن اسماء اعضاء قاعة الشهرة للملكية الفكرية لعام ٢٠٠٧ بعد عملية استمرت خمسة أشهر أتيحت فيها الفرصة لقادة الملكية الفكرية في العالم بان يدلوا بأصواتهم ويتعرفوا على الاشخاص الذين أسهموا في جعل الملكية الفكرية من اهم القوانين المعمول بها في العالم في القرن الواحد والعشرين.

وورد اسم طلال أبوغزاله في قائمة العشرين الاوائل لاصحاب النفوذ في الاردن لدوره الرائد في إطلاق الملكية الفكرية وفق مجلة "فينتشر" (Venture) التي تصدر في عمان والتي أطلقت عليه لقب "عرّاب الملكية الفكرية في الشرق الاوسط". كما حلّ في مرتبة متقدمة في القائمة التي نشرتها مجلة "اربيان بيزنس" (Arabian Business) التي كشفت فيها ان طلال أبوغزاله هو أحد الشخصيات الخمسماية الاكثر نفوذاً في العالم العربي.

واختاره المركز الاسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الاردن ضمن قائمة ثمان وعشرين مسلماً هم الاكثر تاثيراً في قطاع الاعمال في العالم لعام ٢٠١٦. ويعتمد المركز في تصنيفه على مجموعة من المعايير تتمثل اساساً في تأثير الشخص في العالم الاسلامي، وقدرته على خدمة المسلمين وقضاياهم وقيامه بالاعمال الخيرية، ومساهمته في دعم العلم والعلماء، ونشر الثقافة والوعي بين الشعوب المسلمة.

وتسنى لطلال أبوغزاله ان يكون رئيساً للمجلس الفخري لاتحاد التحضر المستدام (Consortium for Sustainable Urbanization-CSU) ومقره نيويورك، فأكدت رئيسة المجلس ان حضوره يشكل "قوة للاتحاد نظراً لدوره الرائد في التحول الذكي على مستوى العالم".

وقررت قمة البوسفور السابعة التي انعقدت في اسطنبول ما بين ٢٩ تشرين الثاني والاول من كانون الاول ٢٠١٦ انشاء "مجلس العالم الذي نريد" الهادف الى ارساء قواعد جديدة للتخلص من الصراعات والحروب وبطء التنمية وتعثر التقدم في مجالات التعليم والصحة والاقتصاد والامن، والتغلب على هذه الآفات وبناء المستقبل الذي يسوده السلام وتتكرس فيه جهود البشرية نحو التنمية والازدهار والاستقرار والعلاقات الدولية المستندة الى القانون والاتفاق والتعاون.

حضر هذه القمة حوالي ألفي شخصية منهم ممثلون رسميون لعدد كبير من دول العالم، ومنهم قادة سياسيون، ورجالات دولة، وأكاديميون ورجال اعمال واعلاميون. واوضحت القمة آلية عمل المجلس المنشأ وعضويته، وأوصت بأن يعرض المشروع على أمين عام الامم المتحدة، وقد تلقى طلال أبوغزاله تكليفاً رسمياً بموجب رسالة مؤرخة في ٢١ كانون الاول ٢٠١٦ صادرة عن امين عام قمة البوسفور يطلب منه متابعة تنفيذ الخطوات اللازمة ومنها تشكيل المجلس من شخصيات عالمية مرموقة لوضع خطة عمل له.

## "طفرة" الملكية الفكرية من دولة الكويت إلى العالم

يحلو لطلال ان يروي في إطار عمله في مجال الملكية الفكرية قصة حصلت معه في بداية الستينات حين كان مقيماً في الكويت. اتصل به في حينه مدير مكتب الشيخ جابر الاحمد الذي كان رئيساً للادارة المالية ليبلغه ان الشيخ يريد مقابلته، فحضر في الموعد المحدد وهو فرح لانه حظي بشرف تلك المقابلة، ولكن عند وصوله ابلغه مدير المكتب: "ان سمو الشيخ زعلان منه"، فقال له: "ومن أنا كي يزعل مني؟!".

ولج طلال مكتب الشيخ جابر الاحمد وهو قلق، فاستقبله الشيخ بطلعته الوسيمه ووقاره الذي يوحي بالاحترام، وطلب منه الجلوس وسأله: "كم صار لك في الكويت؟" أجابه طلال: "سنة وأكثر"، تساءَل الشيخ: "ألاّ تعرف عاداتنا وتقاليدنا؟"، ردّ أبوغزاله:

"ما زلت أتعلم"، أردف الشيخ: "نحن لا نحب المحاكم"، وافق طلال: "لا أحد يحب المحاكم"، فاجأه الشيخ بالقول: "لماذا رفعت دعوى ضدي؟"، أبدى طلال استغرابه وقال: "ومن أكون لأرفع دعوى على سمّوك؟". عندها أمسك الشيخ بملف كان على طاولته يتضمن طلب مثوله شخصياً أمام المحكمة بدعوى مرفوعة من طلال أبوغزاله. وبالفعل كان الامر صحيحاً، والنزاع يتعلق بقضية تسجيل علامة "سفن آب"، وقد رفض الموظف تسجيلها، فلجأ محامو طلال الى القانون الذي يقضي برفع دعوى على رئيس الموظف، وقال طلال: "عملنا بموجب القانون". أجابه الشيخ جابر: "قبل ان تقيم دعوى كنت اسأل عن المسؤول المباشر عن الموظف، فإذا لم يفدك اسأل الوكيل، وإذا سُدت النوافذ في وجهك كان بامكانك أن تأتي إلي، ولكنك اخترت ان تأخذني الى المحكمة قبل مراجعتي". استوعب طلال الوضع فهمّ بالرحيل وقال: "اسمح لي ان أنصرف على الفور وأذهب لأسحب الدعوى، ومن ثم أتجه الى مكتبي وأحطم زجاجات "سفن آب"، واكتب وصيتي بمنع أولادي وأحفادي من احتساء هذا الشراب". ضحك الشيخ جابر وقال: "طيب اجلسْ وأخبرني بالمشكلة". في اثر هذا اللقاء أدرك أبوغزاله أهمية القضاء الكويتي ومدى احترام الحكام الكويتيين لقضائهم.

في إطار آخر، زار طلال صديقه الشيخ سالم صباح السالم، وهو ابن امير الكويت الاسبق، وكان سفير بلاده في واشنطن، وكان طلال بصدد القيام بجولات للحصول على تمثيل من الشركات الاجنبية، بدءاً بالشركات الاميركية الرائدة في موضوع حماية الملكية الفكرية. فور اطلاع الشيخ على المراد من سفر طلال، بادر الى الطلب من مساعده ان يدعو الى العشاء بدارته في السفارة اصحاب ومديري كل الشركات التي كان يريد أبوغزاله الاتصال بها.

لم يصدق طلال ما يحدث وقال: "قدّم لي الشيخ هدية ولا أثمن، واختصر علي في ليلة واحدة مشواراً طويلاً كان من الممكن ان أنجح فيه او أفشل". وذهل طلال عندما قام الشيخ سالم صباح السالم بتعريف طلال للمدعوين بأنه "ابن الكويت". علق طلال: "لم أكن أحلم بما حدث، وللشيخ سالم صباح السالم الفضل الاول والكبير في نجاح (اجيب) التي اصبحت اليوم أكبر شركات الملكية الفكرية في العالم".

ومنذ ذلك العشاء، لا يفوت طلال فرصة الا ويكرر فيها على من يريد ان يسمع: "إن كان هناك من فضل علي بعد الله ووالدَي فهو لدولة الكويت التي أكرمتني ومنحتني فرصاً ودعماً... وأمدتني العائلة الحاكمة كما رجال المصارف والاعمال بدعم ومؤازرة لا يتخيله العقل ولا تصفه العيون... ان جذور شركتي كويتية وستبقى كويتية".

وساعدت أبوغزاله الطفرة النفطية التي عرفتها الكويت فنشر مفاهيمه حول ضرورة العمل بقواعد الملكية الفكرية، واكتسب ثقة الحكام وكبريات الشركات العالمية، واشتهرت شركات أبوغزاله بقدرتها على تقديم أفضل النصح والاستشارات والدراسات والخدمات ومراجعة الحسابات والتدقيق فيها. وعندما ولجت مجموعة طلال أبوغزاله الدولية منتدى الشركات العشرين الكبرى في العالم (G20) المنبثقة عن الاتحاد الدولي للمحاسبين في نيويورك كان همه الاول تقديم البرهان بقدرات الشعب الفلسطيني، والرد على اكذوبة الصهاينة التاريخية بأنهم اقاموا اسرائيل على ارض بلا شعب لصالح شعب بلا ارض. أما في الواقع فان الصهاينة هم المغتصبون، وفلسطين ارض لشعب فلسطيني حي قادر على التفوق.

لم يكتفِ طلال بتأسيس شركة تحتل مركزاً عالمياً في مضمار الملكية الفكرية، بل راح ينظم ورشات عمل لابراز اهمية حماية حقوق المبدعين والمؤلفين وكل الحقوق المجاورة بالمعنى الشامل، كما راح يحث الحكام على تطوير القوانين المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية، وتوعية مختلف القطاعات التي تستفيد من هذه الحقوق. وتفترض الملكية الفكرية الحفاظ على التنوع الثقافي، وتطوير الصناعات الثقافية، ما يعزز الادب والموسيقى والفن والتنمية والاقتصاد.

وفي الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الملكية الفكرية الذي انعقد في دبي في العام ٢٠١٦ طالب أبوغزاله بوضع نظام جديد لحماية حقوق الملكية الفكرية على الانترنت، واقترح ان يُعهد الى المنظمة العالمية للتجارة والمنظمة العالمية للملكية الفكرية رسم خريطة طريق لصياغة القواعد والانظمة الملزمة لدول العالم توصلاً الى نظام أُممي يحكم ادارة الانترنت. كما اقترح انشاء نظام قضائي يتيح حسم النزاعات بين الدول في كل ما يتعلق بالانترنت. واشار أبوغزاله ان مثل هذا النظام لا يحقق حماية الحقوق للجميع فحسب، بل يؤكد على ضرورة ايجاد الوسائل اللازمة لمواجهة استغلال خدمة الانترنت للاغراض الارهابية وغيرها من الممنوعات التي لا يمكن وضع حد لها الا من خلال نظام دولي الزامي.

وفي العامين ٢٠١٤ و٢٠١٥ اخذت شركة أبوغزاله للملكية الفكرية على عاتقها تنظيم عدد من الدورات التدريبية بقصد تطوير وتنشيط أساليب الملكية الفكرية وحمايتها من التعديات، اضافة الى خلق بيئة خصبة وجاذبة للاستثمار. وتتضمن الدورات التدريبية التعريف بالملكية الفكرية، والتفريق بينها وبين الملكية المادية والملكية الصناعية والتجارية، وعرضاً تاريخياً للملكية الفكرية، والاهمية الاقتصادية لحماية الحقوق

الفكرية والعمل على سنّ تشريع قانوني لها. وقد وقعت دائرة الجمارك الاردنية مع شركة أبوغزاله للملكية الفكرية مذكرة تفاهم لتعزيز حماية الملكية الفكرية وتطوير اساليبها على اساس ان دائرة الجمارك هي الجهة المعنية باتخاذ الاجراءات والتدابير الحدودية اللازمة لحماية حقوق الملكية الفكرية، وحماية المستهلك من الغش التجاري، والمحافظة على امواله، وضمان حصوله على بضاعة اصلية.

وعلى سبيل التذكير يعلن أبوغزاله على مسامع العرب ان الملكية الفكرية تحمي حقوق المخترعين والمبدعين من الناحية القانونية. فاذا رغبت شركة ان تستخدم اختراع شركة اخرى فلا يحق لها ان تفعل قبل ان تستحصل على ترخيص من قبل الشركة صاحبة الاختراع والا تكون قد خالفت قواعد الملكية الفكرية. وتجدر الاشارة الى ان اللجوء الى التراخيص لنقل التكنولوجيا خطوة بالاتجاه الصحيح لتطوير بيئة الاعمال، ما يشجع على المزيد من التطوير والابتكار والاختراع.

وعملاً بقناعاته قام أبوغزاله بنشر اعمال مبتكرة لمرجعيات عديدة في حقل الملكية الفكرية في العالم العربي، وأشرف على ترجمة قوانين الملكية الفكرية الى الانكليزية، وتنظيم معجم رئيسي حول الملكية الفكرية يعرض للمرة الاولى قائمة شاملة بالترجمات الانكليزية-العربية وتعريف المصطلحات التي يستخدمها العرب في هذا الشأن. ويؤكد طلال ان سر نجاح شركة أبوغزاله للملكية الفكرية انها اصبحت شركة ذكية على الانترنت، واقتحم طلال من خلالها عالم المعلومات الى جانب خوضه معركة التعليم الرقمي التي يدرجها في سلم اولوياته.

# القسم الثالث

# الرؤية المستقبلية

على الرغم من نكبة ١٩٤٨، ونكسة ١٩٦٧، وغزو الكويت سنة ١٩٩٠، وكلها احداث كبيرة انعكست سلباً على طلال أبوغزاله بشكل شخصي ومهني، لكنه صمد واستمر. ويروي في كتابه "البطانية تصبح جاكيت" انه تعرض للافلاس أربع مرات ويقول: "أربع مرات وجدت نفسي على قارعة الطريق". وفي حديث لبرنامج "حلوة يا دنيا" بثّته قناة رؤيا الفضائية قال في تشرين الثاني ٢٠١٥: "اثناء الحرب العراقية على الكويت خسرت كل شيء بيتي وعملي، ورغم ذلك استمريت بالحياة وبدأت من الصفر مجدداً... فالنجاح ليس نهاية، والفشل ليس نهاية، ويبقى الثابت هو الشخص وارادته اللذان هما الكنز الحقيقي، فبالارادة يمكننا دائماً البدء من جديد، ويمكننا مواجهة اي مشكلة"، واضاف بحرارة المؤمن: "سعيد انا ومحظوظ لان الله وهبني نعمة المعاناة".

اكتشف طلال باكراً ان التعلم هو الطريق الى التقدم والخروج من حالة التخلف والفقر. كما اكتشف ان العلم ليس مجرد غنى فكري، بل هو ثورة علمية تشكل أفضل السبل للوصول الى الثروة المالية. يبشر بحتمية دخول العرب في التعليم الرقمي وفي الحاضر العاجل (اولاً)، كما يقض مضجعه مصير وطنه فلسطين (ثانياً)، وقد اختبر الحياة من كل جوانبها فعرف مرّها وحلوها عبر احداث استخلص منها الكثير من العبر (ثالثاً).

# أولاً
# تسونامي التعليم الرقمي

## التعليم لا يعرف الأسوار ولا يعترف بالسقوف، التعليم طائر يحلق حراً

يرى طلال ان "هدفه الاول الرئيسي" بعد كل تجاربه الطويلة يتمثل بالتعليم والتدريب. وفي هذا المجال يخيل لأبوغزاله ان رسالته لا تتوقف عند حدود قيادة المنطقة العربية فحسب، بل تتعداها الى قيادة العالم في مضمار التعليم الرقمي والتحول الى مجتمع المعرفة. ويُفصّل أبوغزاله نظرته المستقبلية فيقول: "في العالم التقليدي، عالم ما قبل عصر المعرفة، كانت هناك دول وحدود، انما عندما نتكلم عن الفضاء الالكتروني فليس هناك حدود، وليس هناك سيادة دول. ولا يمكن القول اريد ان اقوم بحملة تعليم الكتروني في الاردن او في لبنان او في اي دولة عربية وغير عربية. فطالما دخلت الفضاء التعليمي اي التعليم الرقمي، يصبح هذا التعليم ملكاً لكل من يدخل الى الانترنت. وعندما نملك مؤسسة تعليمية رائدة ومبدعة على الانترنت يعني أصبحنا رواداً على مستوى العالم، وهذا الامر يصب في عمق رسالتنا".

يستطرد أبوغزاله: "أنا أكره عبارة "سد الفجوة". انا اريد لأُمتي ووطني ليس سد الفجوة بالمقارنة مع الامم والاوطان الاخرى، بل استعادة دورهما الطليعي، وهذا الدور لا يتحدد عبر الكلام عن فجوة بين الدول لانه لم يعد من دول في الفضاء، ولا يقدر أحد ان يعرف من هي الدولة المتقدمة ومن هي الدولة المتخلفة، بل أمسينا امام انسان متقدم وانسان متخلف، امام أُناس رقميين وأُناس غير رقميين. كما لا يصح الكلام عن "اصلاح التعليم"، فاصلاح التعليم لا يعنيني، انا اتكلم عن "نظام تعليمي جديد"، فنظامنا التعليمي الحالي يلفظ انفاسه الاخيرة،

فبدل اللهث وراء نظام سيصبح خلال سنوات من الماضي، اذهب مباشرة الى التعليم الرقمي فاختصر الطريق الى المستقبل".

يشير طلال ان التوقعات تلتقي جميعها على انه سينتهي التعليم التقليدي في المدارس والجامعات بعد ٢٠ سنة، كما سيزول ما يعرف في الحاضر بـ "الحرم الجامعي" ويسهب في هذا الشأن: "من غرائب وعجائب الدنيا ان الامة العربية اخترعت عبارة "الحرم الجامعي" في حين ان الحرم الجامعي أمسى على طريق الزوال. عندما توجهت للمرة الاولى لالقي محاضرة في جامعة هارفرد، توقف التكسي امام بناية فسألته: "اين الجامعة؟" فأجابني: "هذه هي الجامعة". نظرت الى الداخل فلم أرَ ساحة ولا ملعباً ولا ما نسميه الحرم الجامعي. والاغرب ان كلمة "حرم" باللغة العربية تعني المكان المحرم، وإذا كان الامر محرماً فلماذا يتم بناؤه؟".

يصرّ طلال أبوغزاله على بناء جامعات حرة وبدون اسوار تقيدها، ومن دون ما يعرف بـ "الحرم الجامعي" الذي يرى فيه حائطاً سميكاً يفصل بين الجامعة والمجتمع، ويعتبر هذا الفصل سبباً من اسباب العنف في الجامعة والمجتمع على السواء. ويقدم أبوغزاله مثلاً عن جامعة هارفرد وMIT المتجاورتين، ويلفت بأنه لم يعد يوجد فاصل بينهما. وبالتالي يجب فتح الجامعة على المجتمع، وفتح الجامعات بعضها على بعض.

يتذكر طلال موضوعاً آخر يستفزه: "لماذا يحصل تفتيش على ابواب الجامعات ولا يحصل على سبيل المثال على ابواب البنك المركزي؟ هل تريد السلطات ان توحي ان الطلبة يشكلون خطراً او ضرراً على المجتمع؟ انا طالبت واطالب بهدم كل اسوار الجامعات والغاء كل الساحات التي يسمونها حرماً".

يستطرد طلال بثقة العارف: "ان المدرسة او الجامعة لم تعد مكاناً للتعليم بل أمست مكاناً لادارة البرامج وتطويرها. أما التعليم فيتم على الانترنت كما الحوارات والنقاشات بين الاساتذة والتلامذة، وليس هناك صفوف وساعات تدريس. ولم يعد التلميذ مضطراً ان يركب وسيلة نقل، ويقع في الازدحام، ويصل متأخراً، ويضيع وقته، بل يكفيه ان يتصل في الوقت الذي يختاره فيدخل على الانترنت ليتلقى كل دروسه. وما يسري على التلميذ يسري على الأستاذ".

ويكمل طلال في توضيح فكرته فيقول: "التعليم في اي دولة عربية يقتضي بناء مدارس جديدة، وصيانة المدارس القائمة، ومدّ المياه والكهرباء، وسقي الحدائق، وتنوير الطرقات الداخلية، وحراسة المباني، اضافة الى التجهيزات والكتب وطباعتها وكلفتها،

ناهيك عن رواتب المديرين والمعلمين. اعرف جامعات في الوطن العربي تصرف ٨٠٪ من موازنتها على الجوانب الادارية والعقارية و٢٠٪ فقط على الجانب الأكاديمي وعلى التدريب وتطوير البرامج. دولة عربية واحدة اقامت نظاماً رقمياً للتعليم في موازاة التعليم التقليدي او طبقت برنامجين: البرنامج التقليدي والبرنامج الرقمي. وعلى سبيل الامانة أسجل أيضاً ان سوريا كانت السباقة فأسست الجامعة الافتراضية قبل أكثر من ٢٠ سنة".

وتأكيداً على كلامه يلفت الى "اننا استطعنا بالشراكة مع الاتحاد الاوروبي ان ندرّس الطلبة السوريين اللاجئين وهم في المخيمات، ومنهم من حصل على شهادات جامعية، فما هو ممكن في المخيم ممكن في البلد عينه. كما نجري الامتحانات للطلبة السوريين في مراكزنا في الدول العربية وهم يدرسون في بيوتهم ومخيماتهم".

ويختم أبوغزاله مقدمته حول التعليم الرقمي بالقول: "انا اخوض في الحاضر معركة التعليم الرقمي كما خضت في السابق معركة الملكية الفكرية، وستكون معركة التعليم طويلة لان المسؤولين لم يعوا بعد الحاجة الملحة والفائدة الاكيدة للانتقال الى التعليم الرقمي بأسرع وقت. غير أنى على ثقة انه كما كانت معركة الملكية الفكرية ضرورة، فان معركة التعليم الرقمي ضرورة ايضاً وأكثر".

وفي هذه المرحلة كان طلال يؤكد مقولتين: نعيش عالما جديداً هو العصر الرقمي، وجامعات اليوم هي جامعات بلا اسوار. ولا يتوانى عن تأكيد وجوب "تحرر جامعات المستقبل من مشكلة الحدود ومن ان يكون لها حرم جامعي". في المقابل يصر على "ان تقوم الجامعات على الثقافة الحديثة، وان توفر المدربين الفنيين لتعليم الطلاب كيفية استخدام مختلف ابتكارات التقانة لاقصى الدرجات". ووصل طلال الى حد التصور: "ان المدارس والجامعات الرقمية هي المستقبل، والبنى المادية للابنية الجامعية غدت جزءاً من الماضي".

يعلن أبوغزاله بكل ثقة أنه "لن تكون هناك مدرسة في المستقبل، ولن يكون استاذ، ولن يكون حرم جامعي، انما سيكون هنالك فضاء نَتَعلم فيه بدل ان نُعَلم. مجتمع المعرفة هو مجتمع التعلم وليس التعليم. موضوع التعلم سيفرض نفسه علينا على الرغم من اننا كحكومات واساتذة وجامعات ومدارس نرفض ان نقبل هذا التطور الذي حدث والذي بات امراً واقعاً. وبات الاستاذ يعاني من الطالب في المدارس الابتدائية، فالطالب تفوق على استاذه عن طريق الانترنت. فقد دخل الطالب الذي لا يتجاوز عمره الثلاث سنوات عالم

المعرفة الذي لم يدخله الاستاذ، واطلع على ما يجهله الاستاذ. نحن نقف بين عالم الجهل وعالم المعرفة، لكن العالم مقبل على الانتقال حتماً من عالم الجهل الى عالم المعرفة".

ويضيف أبوغزاله: "الان بدأ العمل على انتاج المدارس الذكية من خلال توفير برامج تقنية ومعدات تُغني عن حمل الحقيبة والاستغناء عنها من خلال جهاز مبرمج سلفاً يحمل مواداً دراسية على نحو مسبق لكل صف. وتجدر الاشارة الى ان ابناء الشعب العربي عموماً، يمتلكون القدرات للاستثمار والخبرات لولوج مجتمع المعرفة المتكامل الذي سيفرض نفسه قريباً.

يتوقف أبوغزاله عند قول رئيس جامعة ستانفورد جون هينيسي: "ان تسونامي التعليم الرقمي سيسحق التعليم ويعيد تشكيل الساحل، ويغير الامور بشكل كبير، هو يدمر بعض الاشياء لكنه يولد اشياء جديدة ايضاً".

ينطلق أبوغزاله من مقولة هينيس ليتساءَل: ما هي هذه الاشياء الجديدة؟ وما هي الطريقة الفضلى لمواكبة المتغيرات العالمية ومنها التعليم الرقمي؟ ومن سيفرض هذا التعليم الجديد على كل البشر؟ ويرد بنفسه على تساؤلاته: "ان المتغيرات ستفرض نفسها من دون تدخل الحكومات او السياسات، والمثل على ذلك ان الطفل بات يأخذ من يد والده او والدته الخليوي ويفتش فيه ويجد الالعاب التي تهمه من دون مساعدة أحد. الاولاد هم الذين سيصنعون التغيير، والدليل ان اولاداً لم يتخطوا العاشرة من العمر توصلوا الى استعمال الخليوي بصورة بديهية، بل تمكنوا من تنظيم بعض البرامج الالكترونية، وهم ينتفضون ضد التعليم التقليدي، على غرار ما فعله بيل غيتس الذي كان السباق في هذه الانتفاضة، فلم يكمل دروسه الجامعية وابتدع الانترنت".

يخلص أبوغزاله الى ان ثورة المعرفة ستكتمل فصولاً قبل العام ٢٠٥٠، حينذاك لن يكون الشخص بحاجة الى جهاز يربطه بالانترنت، بل سيكون الفضاء بكامله هو الانترنت، ويُشّبه الفضاء غداً بما هو عليه الشارع اليوم. فكما نمشي في الشارع بكل حرية ولا حاجة لنا بان نتعلم كيف نسير، ولا حاجة لنا بأن نستحصل على رخصة سير، فان الفضاء سيكون غداً مجاناً لكل البشر، وسيكون بمقدور اي شخص ان يتصل مباشرة بالفضاء بواسطة الجهاز الذي كان ثمنه منذ سنوات خمسة الاف دولار وصار ثمنه حوالي ألف دولار، وسيصبح ثمن الجهاز المصنع في الهند او الصين عشرين او ثلاثين دولاراً، وقد يصل اليوم الذي توزع فيه الاجهزة مجاناً او باثمان بخسة مع بعض الاعلانات التي تسدد بدلات التصنيع.

ويؤكد طلال: "ان عالم المعرفة سيجعل معايير التعلم والتعليم في الغد مختلفة كلياً عن معايير الحاضر. فالتعليم التقليدي في المدرسة بات تعليماً متخلفاً مقارنة بالتعليم الرقمي، وبات التلميذ يعرف عبر الانترنت أكثر مما يعرفه المعلم، وقد يستمر في الذهاب الى المدرسة لان الاهل اعتادوا ان يرسلوه اليها، او لانه يلهو فيها مع اترابه، اما العلم والمعلومات فيكتسبهما من الانترنت. وأظن ان التعليم التقليدي يشبه الى حد كبير الكتابة في الزمن الحجري مقارنة بالتعليم الرقمي. والمفارقة ان التعليم الرقمي لا يخضع لمنطق القوي والضعيف، بل يرتبط بمدى وعي الشخص، فقد سبقت فنلندا، على سبيل المثال، الولايات المتحدة في مضمار تطبيق التعليم الرقمي في مجتمعها ومؤسساتها".

ويجاهر أبوغزاله بانه "انتهى زمن الاستاذ الذي يكتب بالطبشورة على اللوح الاسود، والتلميذ الذي ينقل ما يكتبه استاذه على دفتر من ورق، وسيختفي في القريب المنظور اللوح الاسود والطبشورة وحتى الورق، ونحن نسير نحو عالمين: عالم صاعد هو عالم "المواطن الرقمي" الذي يشبه اولادنا واحفادنا، وعالم متراجع هو عالم "المواطن اللاجئ" الذي يشبهنا. والفارق ان "المواطن الرقمي" قد يستمر بالذهاب الى المدرسة "كالمواطن اللاجئ" غير انه يتعلم على الانترنت. اما "المواطن اللاجيء" فما زال يتلقى علمه من الاستاذ في المدرسة. وقد يكون من المستحسن ان نزاوج في المدارس والجامعات العربية بين التعليم التقليدي والتعليم الرقمي كمرحلة انتقالية، ولكن من الخطأ الفادح ان تكتفي مدارسنا وجامعاتنا بالتعليم التقليدي، فالتعليم الرقمي سيفرض نفسه باسرع مما نتخيل".

وفي السياق عينه يشدد أبوغزاله على ان دور المعلم اختلف كثيراً عما سبق، ولن يكون بمقدوره ان يوفر للتلميذ المعلومات التي يوفرها له الانترنت. فالمعلم يمتلك حول موضوع معين مرجعاً أو مرجعين او ثلاثة في أحسن الاحوال، وتعود هذه المراجع الى سنوات خلت، في حين ان التلميذ الذي يستخدم الكومبيوتر يجد حول الموضوع عينه عشرات المراجع الحديثة العهد وبلغات مختلفة. الدور الجديد للمعلم يقضي بان يرشد تلميذه الى كيفية استخدام الانترنت وكيفية تطوير المعلومات التي يحصل عليها، ويذهب أبوغزاله الى حد القول: "كل شخص يمتلك حاسوباً يقدر ان يتعلم وهو في منزله. ولن تبقى المدارس والجامعات الامكنة الوحيدة لتلقي التعليم، بل سنصل الى وقت يصبح من المستغرب أن يخضع الطالب والاستاذ الى دوام. وبعد عشرين سنة ستضحك الاجيال على طريقة عملنا في المدارس والجامعات والمكاتب وحتى على طريقة كتابتنا الرسائل".

لا يخفي طلال أبوغزاله فرحه لحوار أجراه مع طفل ابتكر برنامجاً للسياحة وهو لم يناهز بعد الثماني سنوات، فطلب منه طلال ان يشرح له برنامجه، فاجابه الطفل:

"انا عندما كنت صغيراً قررت ان أصبح مبدعاً كطلال أبوغزاله". ولم يكن الطفل يعرف انه يتكلم مع طلال أبوغزاله، وتابع: "اخترتُ موضوع السياحة، وقدمتُ على الانترنت برنامجاً متكاملاً للسواح يربط ما بين نقطة الانطلاق ونقلهم الى المطار من حيث يقيمون، وحجز المقاعد في الطائرة وصولاً الى المكان المرتجى، والانتقال من المطار الى الفندق حيث تكون غرف الاستقبال جاهزة، وترتيب مواعيد زيارة المواقع والمتاحف والمحلات وفق اهميتها بصحبة مترجم ودليل سياحي، مع الحرص على القيام بالجولات السياحية المفيدة انتهاء بتأمين أفضل شروط العودة وبالتفصيل عينه".

ويجمع كبار المفكرين ان مرحلة التعليم التقليدي اشرفت على نهايتها، ويؤكد توماس فريدمان: "ان الثورة تضرب الجامعات". ويقول ناثان هاردن: "ان التعليم عن طريق الانترنت يجبر مدارس النخبة على اعادة تقييم أولوياتها واستبدال الجامعة التي اعتدنا عليها". ويعلق لورنس سمرز: "نحن بحاجة الى تحول عميق وجذري في التعليم العالي... ان الجامعة التقليدية في حالة تفكك... والانهيار الجليدي قادم". ويلحظ مارك برنسكي: "لقد تبدل طلابنا بشكل جذري، ولم يعد طلبة اليوم في عداد الطلبة الذين صُمّم نظامنا التعليمي لهم". ويذهب ريتشارد بريخت الى القول: "لا تحاولوا اصلاح النظام التعليمي، بل تخلصوا منه وابتدعوا نظاماً جديداً". ويطلق مراسل "البي بي سي نيوز" صرخة مدوية: "أنقذوا الجامعات بدلاً من البنوك".

## التقدم طريقه الشباب ومجتمع المعلومات وتكنولوجيا التعليم

منذ مطلع الالفية الثالثة ركز أبوغزاله اهتمامه على موضوع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واسترشد بالقمة العالمية حول مجتمع المعلومات التي انعقدت على مرحلتين: في جنيف عام ٢٠٠٣، وفي تونس عام ٢٠٠٥. ودعا طلال الى "بناء مجتمع معلومات عربي متكامل" في القمة العربية التي انعقدت في دمشق عام ٢٠٠٨ والتي اقرت وضع استراتيجية عربية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات "للسنوات ٢٠٠٧ الى ٢٠١٢ دعماً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة في العالم العربي".

ساهم أبوغزاله في مؤتمر إنعقد في شرم الشيخ العام ٢٠١١ تحت عنوان "الشباب العربي والتكنولوجيا"، يقيناً منه ان الشباب يمثلون حوالي ثلث المجتمعات العربية، ويشكلون رافعة للابتكار والابداع والتأقلم مع التغيير، وهم الاكثر تفاعلاً مع التكنولوجيا

الحديثة التي اصبحت شرطاً لازماً لبناء مجتمع المعرفة، وتطوير القدرات العربية التنافسية على المستوى الدولي، ومواجهة الفقر والتخلف والبطالة على المستوى العربي. وانتهى مؤتمر الشباب الى مجموعة من التوصيات التي تتقاطع مع افكار طلال أبوغزاله وتطلعاته ومنها:

١. توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باسعار مخفضة وجودة عالية لتمكين كافة فئات الشباب من استخدامها وتوظيفها لتضييق الفجوة الرقمية القائمة.

٢. تيسير استخدام التكنولوجيا الحديثة عبر تزويد المؤسسات التعليمية بالاعداد الكافية من المعدات التكنولوجية، وتوافرها في مراكز الشباب، ونشر المكتبات الالكترونية في المدارس والجامعات ووصلها بشبكة الانترنت.

٣. تمكين الشباب من اكتساب المعارف والمهارات عبر اعتماد برامج تدريبية وتأهيلية مكثفة ومتجددة في استخدام الانترنت، وتشجيع التعلم عن بعد عبر نوادٍ متخصصة، وإدخال مادة تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضمن المناهج المدرسية والجامعية.

٤. تشجيع الشباب على انشاء المواقع الالكترونية الخاصة بهم والمشاركة في المواقع الجماعية للتعريف بآرائهم ومقترحاتهم ومشاريعهم وابتكاراتهم وانتاجهم الفكري والعلمي.

٥. أرشفة المكتبات العامة المدرسية والجامعية الكترونياً وادراجها على الشبكة العنكبوتية ونشرها بشكل واسع بقصد التعريف بالانتاجات الفكرية والعلمية العربية على الساحة العربية والدولية، والدفع ليصبح كل الانتاج الفكري العربي المكتوب منشوراً الكترونياً.

٦. إنشاء معاهد عليا وجامعات عربية متخصصة في مجال الهندسة الالكترونية بمحتوى ومستوى تعليمي متميزين ومؤهلين للمنافسة دولياً، وتوفير فرص التعلم عن بعد ما بين الجامعات والكليات العربية المتخصصة.

٧. دعوة الامانة العامة لجامعة الدول العربية والدول الاعضاء الى اعطاء الاولوية للبرامج الهادفة الى المزيد من وعي المهارات والتواصل والتفاهم والانفتاح عن طريق التعليم الرقمي، واستخدام الانترنت لمزيد من الانخراط في العالم الجديد.

وفي هذا الإطار، رحب المجتمعون في شرم الشيخ باقتراح مجموعة طلال أبوغزاله بتخصيص جائزة معرفية للمبدعين الشباب في مجالات المعرفة التكنولوجية تحت رعاية أمين عام جامعة الدول العربية. ومن المفيد التذكير بان طلال ساهم وشارك ونظم وينظم عشرات المحاضرات والندوات والمؤتمرات حول موضوع التعليم الرقمي اخترت

منها، على سبيل المثال، أربع محاضرات عن السنوات ٢٠١٢ و٢٠١٣ و٢٠١٤، وهي تشكل اليسير اليسير مما قاله وكتبه في هذا السياق.

أبدأ بمحاضرة القاها طلال أبوغزاله في تشرين الثاني ٢٠١٢، في كلية الحقوق في الجامعة الاردنية تحت عنوان "الحقوقيون في مواجهة تسونامي المعرفة"، ناشد فيها الطلاب العمل "ليتحول الوطن العربي الى مجتمع معرفة"، مؤكداً لهم ان المعرفة هي "قوة الانسان وقوة القوة"، والمستقبل هو "للمحامي المعرفي" و"للقاضي المعرفي". وتوقع أبوغزاله تبعاً لمعظم الدراسات بان الادوات الذكية تساعد الانسان ليصبح أكثر ذكاءً عن طريق التواحد الآتي بين الانسان والآلة. وأعرب عن ارتياحه بهذه المناسبة لتأسيس مركز معرفي متكامل في حرم كلية الحقوق في الاردن يشكل امتداداً لمجتمع أبوغزاله للمعرفة الذي ينتسب اليه حوالي اربعين ألف طالب.

وبرعاية الشيخة مي، ابنة محمد آل خليفة، القى طلال في كانون الثاني ٢٠١٣ محاضرة في المنامة في كلية طلال أبوغزاله الجامعية للاعمال تناول فيها مفهوم الديمقراطية في التعليم وكيفية الاستعداد لمواجهة المتغيرات الكبيرة التي حصلت وتحصل بغية تطوير مجتمع المعرفة الى ما هو اشمل. وحذّر من "كارثة تسونامي التعليم" في حال لم يتم الاستعداد لها، وشدّد على ضرورة التوصل الى التعليم الرقمي ذي المستوى العالمي، وهو امر ما يزال بعيد المنال في العالم العربي.

كرر طلال ان جامعة أبوغزاله التي أسسها وأطلقها تتلاءَم مع المتغيرات العالمية، وجاءت بمثابة "ثورة" و"انقلاب" في مفاهيم التعليم من الالف الى الياء عملاً بالاعلان الذي اصدرته الامم المتحدة في العام ٢٠١١ والذي أكدت فيه على "ان الوصول الى الانترنت هو حق اساسي من حقوق الانسان". وقد خاض أبوغزاله معارك ضارية لاصدار هذا الاعلان الذي ساهم في صياغته.

ولفتتني كلمة الاستاذ نجيب فريحه، مدير مركز الامم المتحدة للاعلام في بلدان الخليج، الذي قدم أبوغزاله في المنامة بالقول: "من الصعب ان ينجح المقدم في ايجاز الابعاد الواسعة لشخصية مثل د. طلال أبوغزاله الذي يحظى بسمعة دولية منقطعة النظير، فهو قصة نجاح رافقتها حركة اصلاح استشرافية حول اهم ما يطمح له الانسان. فقد سبق طلال أبوغزاله الامم المتحدة في بعض الاحيان في طرح واستنباط مفاهيم تدعم العمل من اجل الرقي بالانسان والبشرية بصفة عامة"، واضاف: "وكان لأبوغزاله دور كبير في تحقيق ما جاءَت به الامم المتحدة من مبادرات في مجالات عدة من بينها الملكية الفكرية، والخدمات القانونية، وتقنية المعلومات، وتطوير التعليم الافتراضي،

ونقل المعرفة والتربية والتعليم الرفيع المستوى الى مختلف ارجاء المعمورة، فاصبحت له امبراطورية المعرفة، وهو قصة نجاح فلسطينية وعربية ودولية".

كما توقفتُ ملياً عند الكلمة الرئيسة التي القاها طلال أبوغزاله في الرياض خلال شهر شباط ٢٠١٣ تحت عنوان: "التحول في الفكر التربوي والتجديد في التعليم في الوطن العربي" والتي استهلها باستعادة قول رئيس جامعة ستانفورد جون هينيسي: "التسونامي قادم، ومع قدومه سوف تتغير الشواطئ تغييراً جذرياً، وسيدمر التسونامي بعض الاشياء لكنه في الوقت نفسه سوف يأتي لنا باشياء جديدة اخرى"، وأكمل: " اقول بدوري اننا في العالم العربي نواجه هذا التسونامي ويبدو انه لن يقتصر على جرف نظامنا التعليمي، بل سيجرف معه الكثير من المقولات والعادات". وأعرب أبوغزاله عن جانب أساسي من قناعاته فقال: "أنى اتحدث اليكم اليوم ليس كرجل يحلم وانما كرجل ينظر الى مستقبل مزدهر للعالم العربي من وجهة نظر واقعية... ولدي رؤية لعصر عربي ذهبي يصبح فيه أذكى الطلبة في العالم الغربي وألمعهم يرغبون بالدراسة في العالم العربي حيث المؤسسات الاكثر تطوراً...".

بجملة واحدة كشف أبوغزاله عن مدى ايمانه بمستقبل العرب وبقدوم "عصر ذهبي" عربي يقلب المعادلات العالمية القائمة: فبدل ان يسعى الطلبة العرب للسفر الى الغرب لاكمال دراساتهم كما هي الحال في الحاضر الراهن، فطلال يعمل في الاتجاه المعاكس ليصبح الطلبة الغربيون يفتشون عن كيفية المجيء الى المنطقة العربية للالتحاق باحدى المؤسسات او الجامعات فيها. ويمحور أبوغزاله طروحاته في مجرى التطورات، ويرى "ان العالم شهد موجتين: موجة اولى تمثلت بالعولمة وتدويل التعليم، والموجة الثانية قادمة وسوف تغير كل شيء بما في ذلك التعليم والاقتصاد وحتى الطريقة التي يتفاعل معها الناس اجتماعياً... وستفرض علينا نموذجاً جديداً مفتوحاً يمكن النفاذ اليه عن طريق الانترنت الذي أصبح اداة الترقي لكل شعوب العالم وفي مقدمها الشعوب العربية، وبقدر ما ينتشر الانترنت في بلد او منطقة بقدر ما يتقدم هذا البلد وتلك المنطقة باتجاه مجتمع المعرفة".

وتساءَل طلال: "ما الداعي لان تستثمر جامعتا هارفرد وميتشيغان مبلغ ٦٠ مليون دولار في مشروع تعليمي عبر الانترنت؟ ولماذا تقوم جامعة ستانفورد بجمع ٢٢ مليون دولاراً لمشروعها التعليمي على الانترنت؟" والجواب: "ان هذه الجامعات تقف على الشواطىء ذاتها التي نقف عليها، لكنها ترى موجات المدّ التي لا نراها".

وكعادته ينهي أبوغزاله مداخلاته ومحاضراته باقتراحات وتوصيات محددة، وقد خلص في محاضرة الرياض الى الدعوة لتغيير النموذج التعليمي الموروث، وطالب باعتماد

منظومة تعليمية لا تنظر الى التعليم بأنه عملية احادية الاتجاه وموجهة من المعلِم الى الطالب، انما هي عملية حيوية نشطة ومتفاعلة تولد الفهم والتفكير المبدع لدى جميع المشاركين من معلمين ومتعلمين على حد سواء.

## تطور دون البحث العلمي... نسخ ولصق

ولا تغيب عن ذهن طلال الاشارة الى ان الانفاق الحكومي في مجالي البحوث والانماء لا يتخطى في المنطقة العربية حدود ١٪ من الناتج المحلي الاجمالي في حين انه يصل الى حدود ٣ الى ٤٪ في البلدان المتقدمة، وجزم أبوغزاله: "أن العنصر البشري هو العنصر الحاسم في العملية كلها"، ولحظ: "ان منطقة الخليج العربي تحتل موقعاً يسمح لها بالتقدم أكثر من اي بلد آخر في العالم".

بعدها قدم طلال أبوغزاله صورة عن مجموعته ودورها في رفد المنظومة التعليمية، فروى قصة اقدامه ونجاحه. وقد رأيتُ ان أورد معظم ما قاله في هذا الشأن بغية التقاط تطور مسيرة أبوغزاله الطويلة من منظار صاحبها الذي قال: "مضت اربعة عقود على تأسيسي مجموعة طلال أبوغزاله منطلقاً من طموحي في تعزيز حقوق الملكية الفكرية والمساهمة في انماء مجتمع المعرفة في العالم العربي. ومع مرور الوقت، وسعت مجموعتنا آفاقها وفعاليتها ونطاق عملها، وازداد عدد الشركات الاعضاء فيها. ونتوقع ان نصبح قادة على مستوى العالم في تقديم الخدمات المهنية والتعليمية. وعلى الرغم من الاحداث والتحولات التي حصلت خلال اربعة عقود، بقي شيء واحد ثابت لم يتغير في مجموعتنا الا وهو الالتزام بالجودة والمحافظة على مستوى الاداء، والبقاء في الطليعة"، واستطرد: "لقد ركبنا الموجة، موجة التغيير، وحرصنا كل الحرص على ان نبقى في مقدمة مواكبي التطورات في الثقافة وفي كل مفصل وفي كل مرحلة، وقمنا باعادة هيكلة أنفسنا بما يفي بمتطلبات التقدم. وارغب بان اشارككم ببعض الخبرات والامتحانات التي ساهمتْ في انجاح مسيرتنا".

اشار طلال الى "ان مجموعتنا نجحت بداية في مجال التعليم التقليدي، فبنينا كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في ادارة الاعمال في الاردن، وكانت هذه الكلية هي الاولى في الوطن العربي التي تحظى باعتراف مؤسسة الاعتماد الدولي لبرامج ادارة الاعمال (FIBAA). وحصلت كليتنا في العام ٢٠١١ على لقب أفضل مؤسسة تعليمية في مجال الادارة في قارة آسيا، وفقاً لمنظمة المؤتمر العالمي للجوائز التعليمية الآسيوية التي تمنح جوائزها على اساس قرار تتخذه خلية بحثية عالمية تضم مهنيين ومختصين من جميع

انحاء العالم. كما حققت كليتنا شراكة ناجحة بين القطاعين العام والخاص، وهي شراكة فريدة من نوعها في العالم العربي، فكان اطلاقها وافتتاحها عام ٢٠٠٦ من ضمن كليات الجامعة الالمانية –الاردنية، وقد قررتُ ان أمنح لخريجيها فرص العمل في مجموعة طلال أبوغزاله إن لم يعثروا على عمل فور اتمام تعليمهم. ونحن على ثقة ان خريجينا استوعبوا عبر دروسهم مستجدات السوق المحلية والعالمية، وهم قادرون ان يؤثروا وينجحوا في الاعمال التي يقدمون عليها".

وتابع أبوغزاله: "أنجزنا نقلة نوعية نحو الامام، فأسسنا جامعة طلال أبوغزاله الدولية لننتقل من النموذج التعليمي في القاعات التدريسية الى النقر على شاشة الحاسوب، ومن التعليم المحصور بالابنية المادية الى فضاء المعلومات السايبيرية. تخيلوا ان هناك نظاماً ينهج منهجاً يحمل الطالب على اعتماد الاساسيات، ويأخذ بيده الى اعلى المهارات، ويساعده على تحقيق الاهداف التي يصبو اليها؛ نظاماً لا يؤمن بالارقام بل يؤمن بنجاح الخريجين، ويرتكز على تعليم المهارات اللازمة، ويحاسب المؤسسات التي اعدت الطلاب اعداداً ناقصاً وغير كاف لسوق العمل. تخيلوا ان مثل هذا النظام التعليمي بات متاحاً دون الحاجة للخروج من البيت، ودون الحاجة الى السفر او الحصول على تأشيرة سفر. هذا النظام مفتوح لكل الناس على الانترنت ويمكن متابعته في جميع انحاء العالم". واستفاض أبوغزاله بالقول: "ان جامعة طلال أبوغزاله تمثل هذا النظام، وهي تسعى لتلبية تلك الحاجة. جامعة طلال أبوغزاله هي مسعانا في دَمَقْرَطَة التعليم، وتعزيز المواطنة العالمية، وتمكين المواطنين ممن حرموا من قطف ثمار الثقافة وثورتها ان يتلقوا العلم ويتقدموا. لقد كانت رسالتنا، وما زالت، اتاحة البرامج التعليمية المعترف بها لكل شخص وفي كل مكان. وبدلاً من التنافس مع المؤسسات، فإننا نمد يدنا لبناء التحالفات التعليمية العالمية، ونتعاون مع صفوة الجامعات لتقديم تعليمنا على الانترنت ولتحقيق رسالتنا. وكانت جامعة كانيسيوس الامريكية اول من انضم الى تحالفنا، وهي من صفوة الجامعات الخاصة في غربي نيويورك، وقد دلت هذه الشراكة على ان اهدافنا التعليمية واحدة وعالمية مهما اختلفت اصولنا الجغرافية".

وأبرز طلال في كلمته انه يسعى من خلال جامعته الى تغيير نظرة الناس الى التعليم الرقمي فيجاهر: "ان الرقمنة هي مستقبل العالم، والتعليم الرقمي الراسخ في المؤسسات الدولية يدفع بالافراد الى ان يتفهموا استقلاليتهم وارتباطهم بالعالم الحديث. ان جامعتنا تتيح وصول أفضل تعليم عالٍ للمتعلمين غير القادرين على تحمل تكاليف السفر وعنائه". ورأى أبوغزاله: "ان التعليم العالي الجودة حق من حقوق الانسان، واريد ان اضع في ايدي الطلاب قوة الاختيار والمساهمة. لقد أقمنا جامعة طلال أبوغزاله لكي تقدر المجتمعات التي تشهد مراحل انتقالية على تبني المفاهيم الجديدة في التعليم. اننا ندعم تعليماً غير

مكلف مادياً ويتميز بالجودة، ولا تقتصر جهودنا على تحقيق "التعليم للجميع". لقد أتيتُ اليكم من عالم العمل والاعمال، ونحن في ذلك العالم لا نكتفي بطرح افكارنا لمجرد المناشدة والمطالبة، بل نطرح الافكار لنبني عليها المشروعات المستدامة والمنتجة. علينا جميعاً ان ننقل التركيز من "التعليم المجاني" الى "التعليم المميز". ولن نساعد احفادنا إذا قدمنا لهم تعليماً مجانياً غير مجدٍ او غير معتمد، بل علينا ان ندرج في الاعلان لحقوق الانسان ان "التعليم المميز حق للجميع". ويؤمن أبوغزاله إيماناً مطلقاً بان التعليم الرفيع المستوى هو حق من حقوق الانسان، وان التعليم الرقمي هو الطريق الى المستقبل.

وفي تورنتو بكندا أكد طلال أبوغزاله في تشرين الاول ٢٠١٣ على ضرورة مواكبة ثورة المعرفة في الجلسة العامة لمجموعة شركات "راسل براد فورد الدولية للتدقيق". وتناول طلال في كلمته انعكاسات الثورة الرقمية على مستقبل المحاسبة والتدقيق، وحذر من ان مهنة المحاسبة والتدقيق ستجد نفسها خارج التاريخ ما لم تعِ ابعاد الثورة الرقمية. وجزم بأن تسونامي الثورة الرقمية سوف يلغي دور المحاسب ان لم يصبح عاملَ معرفة يؤدي كامل مهامه رقمياً. واشار أبوغزاله الى ان شركات المعرفة ومنتجات المعرفة تشكلان نوعاً جديداً من التجارة يختلف كلياً عن تجارة السلع والخدمات، كما ان تداول هذه التجارة يتم خارج العالم التقليدي مقارنة مع العالم الافتراضي. ولا مفر من وضع معايير محاسبية لتجارة العالم الافتراضي الذي لا تحكمه قوانين، وليس فيه حدود تفصل بين الدول، وليس فيه سيادة لاي سلطة. وأكد طلال على اهمية تحول منظمة التجارة العالمية لتصبح منظمة معرفية.

وفي محاضرة له في العام ٢٠١٤ رأى أبوغزاله ان العالم شهد أربعة عصور على مستوى المعلوماتية: بدأ عصر المعلوماتية الاول في الثمانينات من القرن العشرين وقد اقيمت خلاله البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وأدواتها، تبعه عصر المعلوماتية الثاني وهو عصر المعرفة الذي اصبح فيه قادة المعرفة هم اصحاب القدرات والثروات، تلاه عصر المعلوماتية الثالث وهو عصر تبادل المعلومات التي ازدهرت خلاله ادوات المعلومات الذكية وتكنولوجيا الاتصالات والذكاء الصناعي، وحلّ عصر المعلوماتية الرابع وهو عصر العالم الرقمي الذي يشكل ثروة وثورة على مختلف المستويات وبخاصة على مستوى التعليم. وتجدر الاشارة الى ان بعض الدول والمجتمعات لا تزال في العصر الاول، بينما وصل آخرون الى العصر الثاني، وقلة وصلت الى العصر الثالث، وما زال جزء واسع من العالم يقبع خارج العصر الرقمي.

ولفت أبوغزاله الى ان العالم يسير بوتيرة من التغيير السريع لم يشهد لها مثيلاً من قبل، ففي كل دقيقة تحدث ملايين الانشطة على الانترنت، وقد فاق عدد الهواتف النقالة في العالم عدد البشر. كما فاق عدد المشتركين بصحيفة الفايننشال تايمز على الانترنت عدد

المشتركين بالاعداد المطبوعة. ويعدد طلال ما يمكن ان يحدث على الانترنت في العالم خلال ٦٠ ثانية اي دقيقة واحدة: تنزيل حوالي ٤٧ ألف تطبيق، ارسال حوالي مليوني استعلام بحث الى غوغل، نشر ستة مقالات جديدة على وكيبيديا، ارسال ٢٠٤ ملايين رسالة بريد الكترونية، اضافة الى حوالي ١٣٠٠ مستخدم نقال جديد.

واستخلص أبوغزاله من نظرته الى العالم العربي: "ان الشباب العربي بخير ونسبة استخدام الانترنت نمت بمعدل ٣٠٠ الى ٤٠٠ بالماية في العالم، اما في الوطن العربي فقد نمت بنسبة ١٥٠٠ في المئة، ونحن ندخل الى عالم المعرفة من أوسع أبوابه". وزفّ بشرى للمتحدثين باللغة العربية كاشفاً "ان مجموعة طلال أبوغزاله ستقدم تاجيبيديا العربية، وقد وضعنا على غوغل كل تراثنا المعرفي، وسنتفوق بمؤلفاتنا على كل العالم".

ويشهد البروفسور في المحاسبة في جامعة كانيسيوس-بافلو بنيويورك ادوار غريس على مدى اهتمام طلال بالتعليم فيقول: "ان طلال أبوغزاله يخطو خطوات ثابتة في مجال التعليم الذي يشكل ركناً هاماً في أولوياته، فهو يسعى على الدوام الى تسخير معظم خططه وبرامجه في سبيل خدمة التعليم. فقد عمل على تأسيس مركز طلال أبوغزاله للابحاث والدراسات في الجامعة التي انا استاذ للمحاسبة والتدقيق فيها بنيويورك منذ عام ١٩٨٨، وذلك بهدف المساهمة في تطوير مهنة المحاسبة في الوطن العربي من خلال تزويد القائمين عليها بالابحاث والمعلومات". ويكمل البروفسور حديثه: "يؤمن طلال أبوغزاله بأهمية تدعيم وترسيخ مهنة المحاسبة في المنطقة العربية كعامل أساسي نحو التطور والتقدم والنمو، وقد عملنا معاً على تأسيس كلية طلال أبوغزاله لادارة الاعمال في المملكة الاردنية الهاشمية والتي تُدرَس فيها المواد باللغة الانكليزية. وستكون هذه الكلية رائدة ومميزة في الشرق الاوسط، ليس فقط في منهاجها بل أيضاً بأسلوبها المتطور والمتقدم، فيتمكن خريجو هذه الجامعة من الدخول مباشرة الى حقل العمل دونما حاجة الى سنوات من الخبرة وهي العائق الرئيسي في وجه حديثي التخرج".

ويحضرني قول الاقتصادي الفرنسي إيان موليبه بوتاك: "ان الانترنت الذي يؤمن الخدمة بفعالية هو السفينة والبحر في العصر الحديث من اجل تطوير العالم ما بعد الرأسمالية كما عرفناها وكما شاهدنا انهيارها".

وفي رأيي ان الاقتصاد والادمغة يحكمان العالم، والانترنت من اهم ادوات نجاح الاقتصاد والادمغة على السواء. والتعليم الرقمي بات جزءاً من حركة البشرية.

## الثروة الحقيقية في الاكتشاف وفضول المعرفة

من جهته كان أبوغزاله السبّاق في إدراك أهمية دور الانترنت والمعلومات، وضرورة التحول الى التعليم الرقمي، وتوعية المجتمع العربي الى هذه المتغيرات الكبيرة. وفي هذا المجال أشرف طلال على المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم AROQA، وهي منظمة مستقلة لا تهدف الربح تأسست في بلجيكا عام ٢٠٠٧ وهدفها الرئيسي تعزيز التميز، ورفع جودة التعليم، واقامة النشاطات الترويجية، والتعاون في ميدان البحوث والتعليم، وتشجيع المشروعات المشتركة، وتقوية الوعي لدى صانعي القرار. وتضم هذه المنظمة شركاء اقليميين من جامعة الدول العربية، واتحاد الجامعات العربية، ومعهد الاعتماد وضبط الجودة (ACQUIN)، ومجلس الاعتماد البريطاني، ومؤسسة الاعتماد الدولي في برامج ادارة الاعمال (FIBAA)، ولجنة المدارس الاميركية والدولية في الخارج (CAISA)، وهي جزء من مؤسسة نيو انكلاند للمدارس والكليات (NEASC).

وأشرف طلال على المنظمة العربية لشبكات البحث والتعليم ASREN والتي تَعنى:

- بإقامة البنى التحتية الالكترونية الاقليمية العربية وصيانتها وتعزيزها وتوجيهها نحو خدمة العلوم المتقدمة عبر الانترنت والتعليم الالكتروني في البلدان العربية.
- بتسهيل التعاون والتنسيق بين الباحثين والأكاديميين في العالم العربي.
- برفد التعليم ومؤسسات البحوث بالادوات الموثوقة للاتصال على المستوى الاقليمي.
- بتعزيز فكرة الشراكة وتشجيع البحوث العلمية على جميع المستويات، وتقليص التكلفة عن طريق استخدام البحوث المتوافرة من خلال شبكة مخصصة للتخلص من الازدواجية في الاستثمار.
- برفع مستوى الكفاءة والانتاجية وتشجيع مفهوم الابداع والابتكار من خلال استخدام البنى التحتية الالكترونية والمصادر الاكاديمية المتوافرة.

ومن اللافت ان للمنظمة العربية لشبكات البحث والتعليم مشاريع ممولة من المفوضية الاوروبية ومنها: EUMEDCONNECT وEUMEDGRID SUPPORT وCHAIN، كما لها شركاء اقليميون ومنهم مجموعة أبوغزاله، وشبكة جامعات الاردن، وشبكة جامعات المغرب، وشبكة البحوث والتعليم في السودان، وشبكة البحوث والتعليم الصومالية، وشبكة جامعات الجزائر، وشبكة جامعات مصر.

يعتز طلال بتأسيسه كليّة طلال أبوغزاله الجامعية للابتكار (TAGUCI)، وهي الاولى من نوعها في العالم العربي، وتديرها مجموعة من كبار المهنيين المتخصصين وتتمتع بالاستقلالية التامة. وفي اعتقاد أبوغزاله انه حان الوقت لإطلاق منهج جديد للتعلم في العالم العربي، وهو نموذج يشجع العمل الريادي والاكتشاف. فمؤسسة طلال أبوغزاله لصنع المعرفة والثروة هي المكان الذي تلتقي فيه العقول لتحويل المفاهيم من الميدان النظري على الورق الى منتجات عملية تثري حياة الانسان محلياً ودولياً، والغاية منها على حد قول طلال: "ان نحصد اقتصاداً معرفياً أكثر تنوعاً عن طريق انشاء الروابط بين المصممين المبدعين والخبراء الفنيين والقادة الأكاديميين".

يساهم طلال أبوغزاله من خلال نشاطات مؤسسة صنع المعرفة والثروة في دعم مؤسسات التعليم العالي وتطويرها، وفي تسهيل الاختراعات وحقوق الملكية الفكرية الاخرى رفعاً لمكانة العالم العربي، ويعلن: "اننا واثقون بان المفكرين العرب والحالمين العرب سوف يكرسون جهودهم في مؤسسة طلال أبوغزاله لصنع المعرفة والثروة بغية ترجمة النظريات واقعاً عملياً يقود العالم العربي الى المستقبل الذي نصبو اليه".

## لا احتكار في العلم وأبواب الثورة الرقمية مفتوحة للجميع

وللنجاح، في منظار طلال، مفتاح اسمه التعاون المحلي والاقليمي والعالمي بهدف الاستحواذ على المعرفة والعلوم والتقانة واستيعابها وتطبيقها لحل المشاكل، ويكرر في أحاديثه انه "علينا ان نمضي قدماً بالتفكير على نحو عالمي يصاحبه التطبيق المحلي. وبهذه المناسبة، أحيي جميع الحكومات التي أطلقت مبادرات بحثية بما فيها لجان البحث العلمي، ومراكز التمييز، ومجالس العلوم، ومنتزهات الاعمال والتقانة، وحواضن الاعمال. علينا جميعاً ان نقدم الدعم لها، وان نبث روحاً جديدة فيها".

اما خطط التطوير فقد حظيت لدى طلال بالاولوية الى جانب عملية اشاعة فضاء التشبيك من خلال منظومة عربية للتعليم العالي. وسجل أبوغزاله ان الفضاء المتاح الوحيد للاعتراف بالدرجات الاكاديمية في البلدان العربية يعود الى سنة ١٩٧٨ عملاً باتفاقية وقعت عليها ١٤ دولة عربية، ولا يوجد في العالم العربي اي اطر مرجعية للتعليم مشتركة ومتوافق عليها، مع الاخذ بالحسبان ان اعداد الطلاب العرب في ارتفاع، والحاجة للتنسيق بين المؤسسات التعليمية أمست أمراً ملحاً، ما يفترض ويفرض تأسيس

فضاء تعليمي عربي من خلال اقامة آليات وبرامج الدعم الاقليمية والعربية. ويجزم طلال بصورة قاطعة انه لا مفر من توحيد جهودنا بقصد تطوير مجتمع المعرفة، ويذكر على الدوام بان التعليم هو مستقبل شبابنا، ومن دونه لا مستقبل للامة ولا للاوطان العربية.

وفي نوفمبر ٢٠١٣ أكمل طلال رؤيته بمحاضرة في دبي تحت عنوان: "نحو جامعات رقمية رفيعة المستوى"، واستهل كلمته بالتذكير، بوصفه رئيس التحالف الدولي لتقنية المعلومات والاتصالات، ان الامم المتحدة اعلنت عام ٢٠٠١ ان الوصول الى شبكة الانترنت حق اساسي من حقوق الانسان، وكرر مرة اخرى بانه ناضل للتوصل الى هذا الاعلان وساهم في صياغته. وواصل كلامه "باننا نستطيع استخدام معيار حقوق الانسان لاعلان حق كل انسان بالحصول على التعليم العالي، فالقدرة على جعل التعليم العالي في متناول كل شخص على هذا الكوكب أمراً ممكناً ولا سيما ان التكنولوجيا اللازمة متاحة".

وفي رأيي ان طلال أبوغزاله مقتنع بضرورة الغاء الحدود بين التعليم المفتوح للجميع وتعليم النخب. ففي عالم الانترنت باتت المعلومات والمعرفة في متناول الجميع، وانتهى زمن التمييز بين النخب العالمة والجماهير الجاهلة. فكل الناس مرشحون ليكونوا نخباً علمية وفكرية.هذا جوهر ما سعى ويسعى اليه طلال في مسيرته ومساره.

سجل طلال في محاضرة دبي بعض الحقائق التي تتعلق بالطلب على التعليم عن طريق الانترنت. ولجأ الى لغة الارقام ليعلن انه في العام ٢٠١١ بلغ عدد الشركات المستخدمة لنظام التعلم عبر الانترنت ٧٧٪، في حين كان العدد في العام ١٩٩٥ حوالي ٤٪. وشدد على ان التعلم الالكتروني رفع مستوى الاحتفاظ المعرفي بمعدلات تراوحت بين ٢٥٪ الى ٦٠٪. وتفيد الاحصاءات ان ٤,٦٠٠,٠٠٠ (اربعة ملايين وستماية ألف) طالب جامعي يدرسون على الانترنت مادة واحدة على الاقل من المواد الدراسية، وقد تضاعف هذا العدد بحلول عام ٢٠١٤ فوصل الى ١٨ مليون (ثمانية عشر مليون)، ومن المقدر ان تتم دراسة نصف عدد الدروس الجامعية عن طريق الانترنت في العام ٢٠١٩. ولحظ أبوغزاله ان الطلاب المشاركين في التعلم عن طريق الانترنت يتفوقون على اقرانهم، وهذه نقطة رئيسة تثبت بان الانترنت يدفع بالعالم الى الامام والى الترقي.

لا يتزحزح أبوغزاله قيد أنملة عن قناعة ثابتة، وكان السبّاق اليها فطرحها عربياً وعالمياً، ومضمونها ان التعليم على الانترنت يشهد "نهضة شاملة"، وهو "الطريقة الوحيدة" لتلبية الطلب المتزايد على التعليم بواسطة الانترنت. يفخر انه وضع مفهوماً

يجمع كل المواصفات التي يجب ان تتصف بها جامعة رفيعة المستوى، وهو على يقين "أن جامعة طلال أبوغزاله هي الحل"، وأنها "جامعة رقمية" يحتذى بها. ويستطرد طلال في تعداد مواصفات جامعته فيشير الى انها عبارة عن تحالف رائد يجمع أفضل المؤسسات التعليمية في كل انحاء العالم تحت مظلة واحدة، وهي "بوابة للتعليم على الانترنت"، وتضمن لطلابها المستوى الاعلى مقارنة بجامعات ومؤسسات تدريب عالمية ذائعة الصيت والشهرة.

لفت طلال عبر كلمته في دبي "ان جامعة كانيسيوس هي مؤسسة رائدة في نيويورك الغربية، وكانت الاولى التي انضمت الى تحالفه"، واضاف: "يشرفني كمسلم ان اتشارك مع جامعة الآباء اليسوعيين التي لا تهتم بالمكان الذي جئنا منه، بل تُعنى باهدافنا التعليمية العالمية والشاملة. وقد تشاركنا مع جامعة سكرانتون التابعة للآباء اليسوعيين في شمال شرق بنسلفانيا".

وكشف طلال في كلمته في دبي عن طموحاته فقال: "أطمح من خلال جامعة طلال أبوغزاله الى تغيير توجه العرب نحو التعليم الرقمي. ارغب في اعداد الطلاب الجامعيين ليكونوا مواطنين عالميين مسلحين بافضل واعلى المهارات، وان يتركوا بصماتهم على اقتصاديات بلدانهم. ان التعليم الرقمي النابع من مؤسسات دولية يحمل الاشخاص على الاعتماد بعضهم على بعض، وربطهم العالم المعاصر بعضه ببعض. ويسمح التعليم عبر الانترنت للطلاب غير القادرين على تحمل تكاليف المدارس والسفر ان يستحصلوا على الشهادات فيتكرس ليس فقط مبدأ التعليم للجميع، بل مبدأ ضمان التعليم النخبوي للجميع".

وأنهى طلال أبوغزاله مداخلته على عادته باقتراحات عملية برسم الحكام والمقتدرين، فقال: "احث كل من هو في موقع متقدم المساهمة في دفع التعليم على الانترنت، فالتغيير لا يتحقق الا بتضافر الجهود. وأشجع جميع زملائي العاملين في الادارات الحكومية، كل في بلده، ان يسعوا لضمان الاعتراف الكامل بالبرامج على الانترنت. كما اطلب من ارباب العمل قبول حملة شهادات الانترنت. من جهتي قطعت على نفسي التزاماً بتوظيف خريجي برامج الانترنت المعترف بها، خاصة من يدرس عبر جامعة طلال أبوغزاله. وادعو الى انشاء هيئة اعتماد عربية للتعليم على الانترنت نحن في أمس الحاجة اليها للمساعدة في ترويج وتشجيع التعليم العالي الجودة على الانترنت في المنطقة والعمل كمركز للتميز".

## العيش داخل حلم يتحقق

اغتنم طلال أبوغزاله فرصة مشاركته في مؤتمر ومعرض الخليج للتعليم في لندن عام ٢٠١٣ فعنون طلال مقدمته: " العيش في حلم يتحقق"، روى فيها من جديد قصة الحلم الذي لن ينساه طوال حياته، والذي يكرر الكلام عنه، فمن لم يفهم ابعاد حلم طلال لن يفهم أبعاد ما حققه، فقد قال بالحرف: "قبل اربعة عقود، انشأتُ مجموعة طلال أبوغزاله، وكانت حينذاك بالنسبة لي حلماً أصبح حقيقة. وقد راودني هذا الحلم وانا لم اتجاوز العاشرة، وكنت امشي لساعات وساعات كل يوم لاقطع المسافات بين البيت والمدرسة، وكانت تعصف في ذهني جملة من الافكار والهواجس اهمها طموحي بأن ابني مؤسستي الخاصة. كان حلمي ان أبني شيئاً مستداماً ومثيراً للاعجاب، ان أبني شيئاً لنفسي ولاثبت للعالم باسره ان اللاجئين الفلسطينيين بمقدورهم التغلب على مصاعب الحياة وتحقيق النجاح والتنافس مع اقوى الاقوياء. وبمساعدة العديد من اصدقائي المخلصين اضافة الى فريق عمل من الموظفين الاوفياء والمجتهدين، تمكنت من تحقيق هذا الحلم وانا اعيشه الآن. أنى على ثقة تامة ان الاحلام يمكن ان تتحقق فعلاً".

بكلمات قليلة وموجزة ومحفورة في وجدانه، جسد طلال أبوغزاله حالة التفاؤل والامل بالمستقبل العربي، ومنها يستمد قوته واستمراريته. وترجم طلال التفاؤل والامل عندما تلا على المؤتمرين مسلسل انجازاته التي لا تتوقف، وفي مقدمها والاحلى على قلبه مشروع جامعة طلال أبوغزاله، وكتب: "نملك أحدث البنى التحتية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحلول الالكترونية والخبراء المحترفين في كافة القطاعات، وأطلقنا الدبلوم الدولي لمهارات تكنولوجيا المعلومات بالتعاون مع هيئة الامتحانات الدولية في جامعة كامبردج بهدف محو امية الانترنت. وتوصلنا الى ٨٠ اختراعاً على الويب، وسخرنا قوة المعلوماتية القائمة على ٢٠ قاعدة بيانات لتدعم خدماتنا بموارد لا نظير لها، وأطلقنا الموسوعة الرقمية العربية "تاجيبيديا" التي تبدأ بمليون مدخل"، وأضاف: "أننا نخدم المجتمعات التي نعمل فيها، وقد حققنا ٦٤ مشروعاً من مشروعات المسؤولية الاجتماعية العالمية في مجال بناء القدرات البشرية، وترأستُ شخصياً العديد من مبادرات المسؤولية الاجتماعية العالمية.كما احتلت مجموعاتنا ٣٦ مرتبة اولى في سعينا المتواصل الى الابداع والابتكار".

أكد طلال: "اننا نمتثل لكل القوانين حيث نعمل، ولم يصدر بحقنا اي حكم قضائي منذ انطلاقنا في العام ١٩٧٢، وما زلنا نعمل على تعزيز اسمنا التجاري العالمي... ونزود خدمات الانترنت لانفسنا، ونمتلك خط الانترنت الآمن ذي السرعة العالية الخاص بنا، ونحظى بسحابة خاصة بنا (TAG-Cloud)، وهي اول سحابة حاسوبية للقطاع الخاص في العالم العربي، وأصبحنا مزودي الخدمات الاستشارية حول الحوسبة السحابية".

ميّز طلال بين العائلة والشركة العائلية، وذكر ان "معظم مكاتبنا وعملياتنا وخدماتنا يديرها مديرون تنفيذيون ومهنيون وخبراء من اعلى المستويات ومن خارج افراد العائلة، ونعنى عناية خاصة بموظفينا الذين يخضعون الى ١٤ برنامجاً تدريبياً داخلياً بصورة الزامية، ونعمل على ضبط دائم للجودة ولتقييم الاداء والمؤشرات الانتاجية في كل ما نفعله لنحقق التمايز الدائم".

## جامعة طلال أبوغزاله لاختصار المكان والزمان

ولامس أبوغزاله مرة اخرى ما يسميه "اهم مشروعاتنا واضخمها وهي جامعة طلال أبوغزاله. فالتعليم هو أحد الاسس الذي تقوم عليه الحياة المؤثرة والمثمرة، وهو اداة تساعدنا على تفهم أفضل للعالم من حولنا، وتفهم المكان الذي جئنا منه، وتفهم أنفسنا والآخر ايضاً". وأكمل تصوره فقال: "نجهد ليكون التعليم متاحاً للجميع مع العلم ان عدداً كبيراً من شبابنا الواعد محروم من فرصة التعلم، وكثيراً منهم لا يملكون المال اللازم ليتعلموا او ليكملوا تعليمهم، والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا علينا ان نعمل لادماج هؤلاء جميعاً بدلاً من اقصائهم؟ هذا السؤال الصعب والمؤلم استقر في وجداني وروحي. من هنا جاءت جامعة طلال أبوغزاله لتحمل رسالة التعليم العالي المستوى عن طريق الانترنت ليصل اليه المحرومون الذين لاقوا الاقصاء في التعليم ومن ثم عانوا مكابدة الحياة نفسها. نحن نريد ان نجلب التعليم ليصل الى عتبة بيوت هؤلاء بغض النظر عن المكان الذي يعيشون فيه، وبغض النظر عن اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. والهدف تغيير حياة الناس الى الاحسن، ومضاعفة الفرص في عالم متطلب، هذه مهمة نبيلة لكنها شاقة".

تابع طلال طرحه فجزم: "أني متحمس جداً لجامعة طلال أبوغزاله، وارى فيها تتويجاً لجهودنا بعد اربعين سنة ونيف على تأسيس مجموعة طلال أبوغزاله، فقد أُتيحت لي الفرصة والقدرة على اختصار المسارات، وتقليص المسافات، والتغلب على الحواجز لمصلحة جميع الشباب الفقراء في العالم العربي ومساعدتهم للاستفادة من نعمة التعلم، وتحقيق مستقبل أفضل لانفسهم ولعائلاتهم. وانا على يقين ان رسالتنا سوف تُنجز وتتحقق، فالفشل لن يكون خيارنا".

وصف طلال منظومة التعليم بانها "معطوبة"، وكرر بأن التعليم التقليدي لم يعد يفي بالغرض فقال: "اننا بحاجة الى طرق تعليمية مبدعة لمسايرة التقدمات التكنولوجية،

ولا يمكن بناء ديمقراطية التعليم على الادوات القديمة، ان ثورة المعرفة تشكل حجر الزاوية في التعليم"، واشار الى انه "من خلال التزام مجموعة طلال أبوغزاله والتزامي الشخصي حققنا نجاحاً في التعليم التقليدي، وانا فخور بهذه النجاحات، غير أني ارغب بالتقدم خطوة اخرى للانتقال الى مرحلة التعليم الرقمي".

بعدها استفاض طلال في شرح نظام جامعته التي تقدم تجربة تعليمية شاملة عبر الانترنت، تدمج بين البرامج الاكاديمية والمهنية، وتوفر للطلاب مجموعة متكاملة من المهارات. واشار الى ان الطالب الذي يلتحق بجامعته يستطيع على الفور الوصول الى مواد المساقات والتدريب الافتراضي والبرامج الجامعية. ويشدد طلال أن الفارق بين جامعته ومؤسسات التعليم عن بعد هو وجود جواز السفر التعليمي وشبكة الخريجين. فيمكن للطلاب متابعة كافة انجازاتهم، والاطلاع على معدلاتهم، والتواصل مع الطلاب الآخرين والتعاون في المشاريع. وأردف طلال ان الشهادة التي يحصل عليها الطالب من جامعته معتمدة حسب الاصول من الجامعات الشريكة، ويسدد الطلاب الرسوم التعليمية المعتادة فقط، وهي ميزة اضافية هامة، بالنظر الى الرسوم التي يدفعها الطلاب الاجانب. ويمكن دفع الرسوم التعليمية للجامعة الكترونياً، وطمأن ان نظام الدفع محمي ومشفر وآمن.

ولفت طلال الى ان الجامعة تضمن نظام دعم عبر الانترنت، وتوفره لطلابها على مدار الساعة وعلى مدار ايام الاسبوع. كما يستطيع الطلاب الوصول الى المكتبة الالكترونية للجامعة في اي يوم وفي اي ساعة. وتضم الجامعة طاقماً من المستشارين الأكاديميين المتخصصين لمساعدة الطلاب في التخطيط لمستقبلهم. ويشكل مركز الوظائف جزءاً من القيمة المضافة للجامعة ممثلاً بتعاون الطلاب وشبكة الخريجين الذين يتواصلون مع الطلاب لاطلاق المشاريع. وتتشارك الجامعة مع عدد من وكالات التمويل لتوفر للطلاب الذين يعانون من ضائقة مالية القروض المصرفية والمنح المدرسية.

بعد هذه الشروحات حول جامعته، أفشى طلال بان ردة فعل الاهالي ازاء التعليم عبر الانترنت ايجابية لشعورهم بأنهم يوفرون لابنائهم تعليماً عصرياً، لكنهم يخشون ان يكون هذا الامر على حساب العلاقات الشخصية والمباشرة بين الطلاب فيما بينهم ومع معلميهم، لا سيما وان المتعارف عليه ان التعليم ينتج عن المشاركة المباشرة بين الطلاب في الصف والتفاعل الحيوي فيما بينهم ومع الاساتذة، لكنه يسأل: من قال ان هذا المستوى من التفاعل والمشاركة لا يمكن القيام به الكترونياً عبر الرسائل الفورية على الانترنت؟ وهل رزمة الافكار والاراء أكثر تنوعاً وغنى على الانترنت المفتوح على العالم ام التعليم المغلق داخل صف لا يضم أكثر من ٢٠ الى ٣٠ تلميذاً؟

يتفهم طلال هواجس الذين يطرحون بعض التساؤلات حول العلاقات البشرية "وهم بمجملهم من جيلي، ولم يولدوا وقد تفتحت اعينهم على الكمبيوتر والاجهزة الالكترونية. ان أولادنا يستخدمون الانترنت كاداة لاستمرار التواصل الفعلي والمباشر فيما بينهم". وروى طلال ما جرى مع احفاده حين دخل مرة الى غرفة الطعام لتناول الغذاء وقد سبقه اليها احفاده، وكانوا مشغولين كل بجهازه، فسألتهم: "لماذا لا تتكلمون مع بعضكم البعض بدلاً من اللهو بهذه الاجهزة؟" فأجابه الاحفاد بصوت واحد: "هذا ما نقوم به يا جدي بالفعل!".

يتباهى طلال بأن جامعته وقّعتْ مؤخراً اتفاقية مع كلية ثندربيرد للادارة الدولية، وهي واحدة من الجامعات الرائدة ببرامجها في العالم. كما وقعّتْ اتفاقية شراكة مع جامعة كامبردج في المملكة المتحدة من اجل تعليم مهارات تكنولوجيا المعلومات. ويهتم أبوغزاله بدورات اللغات، وقد اصبحت جامعته مركزاً معتمداً من المعهد البريطاني لاجراء الامتحانات فيها. وفي العام ٢٠٠٨ أطلق مركز طلال أبوغزاله-كونفوشيوس من اجل تعليم اللغات الانكليزية والصينية.

وتطرق أبوغزاله بصورة مفصلة الى موضوع المساقات المفتوحة عبر الانترنت (MOOCS) خلال مشاركته في المؤتمر السادس للتمييز في التعليم الالكتروني في الشرق الاوسط الذي انعقد في دبي في آذار ٢٠١٤، فالقى خلاله كلمة تحت عنوان "تسونامي التعليم عبر الانترنت".

نظر الى المساقات المفتوحة في مجال التعليم عبر الانترنت التي تقودها جامعات رابطة اللبلاب على انها "الفرصة لآلاف او ملايين الطلبة للحصول على المناهج والمواد التعليمية ذاتها التي يحصل عليها اذكى واثرى وأكثر الناس نفوذاً على وجه البسيطة". وتمثل هذه المساقات "ذروة الديمقراطية في التعليم".

أقرّ أبوغزاله بداية ان المساقات تشكل "حالة شاذة" ازاء الذين اعتادوا على المؤسسات التعليمية ذات الرسوم والتي تمنح الشهادات، "فجامعات النخب توفر نظاماً يخرّج طلاباً لامعين وجادين ولهم علاقات اجتماعية حسنة، كما توفر لهم أفضل أربع او سبع سنوات من عمرهم، وتمنحهم الشهادات القيّمة، وتفسح في المجال للقاء زملاء لهم يبنون سوية حياتهم الاكاديمية والاجتماعية والعاطفية ايضاً".

في المقابل ذكّر طلال ان المسؤولين عن كبريات الجامعات في العالم امثال جامعة هارفارد وستانفورد ومعهد ماساشوستش للتقنية وضعوا محتوى مساقاتهم على شبكة

الانترنت من دون مقابل اقراراً منهم بان التعلم على الانترنت بات امراً مقبولاً، وأن المعرفة والمعلومات أغلى وأثمن من ان يتم كنزها. واشار طلال في الوقت عينه: "ان اتاحة هذه المساقات المفتوحة من دون مقابل على الانترنت هي الدليل ايضاً على مثالية هذه الجامعات ورغبتها بان تكون جزءاً من تنظيم تعليمي عالمي، كما هي الدليل على قوة تلك الجامعات وثقتها بقدراتها على قيادة التعليم على مستوى العالم". في كل حال يرى طلال ان المساقات المفتوحة عبر الانترنت تحمل في طياتها "ثورة تضمن التعليم للجميع بتكلفة قليلة او من دون اي تكلفة".

لم يخفِ طلال ان دولاً كثيرة ما زالت لا تعترف بالتعليم عبر الانترنت، واقترح ان تتولى هيئات حكومية مستقلة إجراء دراسات محايدة وغير منحازة لتثبت ان مصلحة الدولة أن تعترف بالتعليم عبر الانترنت، وان تشرف على جودته وتقدمه، "وحين يعترف الكبار بالتعليم عبر الانترنت ستحذو البقية حذوهم فيما يعرف بمفعول الدومينو". ويدعو طلال الى انشاء هيئة مستقلة تنظم التعليم على الانترنت فتوفر التعليم السهل المنال عبر الانترنت، لكنها تضمن بان يبقى هذا التعليم على المستوى العالمي المطلوب.

وفي موازاة الجامعة وتعزيزاً للتعليم، شكّل طلال شبكة عربية للتعلم عن طريق تقنية المعلومات والاتصالات ترمي الى توفير فرصة غير مسبوقة لتبادل المعلومات والتجارب حول التطبيق الناجح في هذا الميدان، ولاطلاق المجالات امام القدرات الهائلة التي تختزنها المنطقة العربية. وحدد أبوغزاله عبر كلمته في مؤتمر دبي هدفه النهائي فأعلن بوضوح: "هدفي النهائي تعزيز التنمية الاقتصادية وضمان الاستقرار والاستدامة على المدى البعيد. ولاني من أنصار التعليم الراقي عبر الانترنت اقمتُ جامعة طلال أبوغزاله والى جانبها اربعة مشاريع".

تناول أبوغزاله في محاضرته بدبي مشاريعه الاربعة بدءاً بمشروع طلال أبوغزاله (TAG-Cloud)، وهو اول مشروع من نوعه في المنطقة العربية تبنيه شركة خاصة لنفسها وتستضيفه هي، وهو فخور به، ويرمي الى دعم البرامج الاكاديمية لجامعة طلال أبوغزاله، ويربط طلابها بالعالم، ويساعد على تبسيط العمليات وتخفيض التكاليف والاستفادة من تقنيات توفير البيئة الافتراضية. وثاني المشاريع يتمثل بمشروع تاجيبيديا، وهي الموسوعة العربية الالكترونية المصممة لتقديم محتوى عربي متحقق من صحته على الانترنت وتغطي جميع محاور الحياة، ما يجعلها منفذاً لنشر المعرفة العربية على مستوى العالم. وثالث المشاريع مستمد من تقرير أبوغزاله حول الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في التعليم في خمس دول عربية، بهدف بناء القدرات في الدول العربية عن طريق قياس استخدام الاتصالات

وتكنولوجيا المعلومات في التعليم وتحسين استعمالها، وتخضع التوصيات الواردة في هذا التقرير للنقاش بين مؤسسة أبوغزاله ومنظمة اليونسكو. واخيراً مشروع البنية التحتية الالكترونية الذي قدمه طلال كمنصة بعد ان برزت في كافة ارجاء العالم شبكات اتصالات متخصصة عالية السرعة كمنصات متخصصة بالبحث والتعليم يستطيع الطلبة من خلالها الاطلاع على مصادر تعليمية واسعة ومتنوعة. وتغدو هذه البنية جزءاً من بنية تحتية الكترونية عربية تربط المؤسسات العربية بوسائل اتصالات موثوقة على المستوى الاقليمي كما تربط جامعة أبوغزاله بشبكات البحث والتعليم الاوروبية ما يسهل الحصول على حزمة واسعة من المصادر التعليمية المتوافرة لدى الجامعات الشريكة.

توقف أبوغزاله في كلمته في دبي عند التخوف الذي ينتاب العالم العربي ومصدره المتغيرات التي تحدث في جميع انحاء العالم. فلا يوجد دولة او منطقة او حكومة محصنة من وتيرة التغيير المتسارعة، ويستنتج طلال انه "يتوجب على العرب ان يعتادوا على مجاراة قوى التغيير والتكنولوجيا والا فإنهم لخاسرون".

وذكّر طلال بأن "العرب يواجهون تسونامي خاص بهم فيما يتعلق بالتعليم، ولا مفر من ان يجددوا طاقاتهم ليعودوا من جديد قادة فكر ونهضة". وقد أصدرت اليونسكو في العام ٢٠٠٩ دراسة وصفها طلال بـ "الخطيرة" وجاء فيها ان التعليم العالي في العالم العربي "فشل في تلبية متطلبات الطلاب واصحاب العمل والمجتمع بشكل عام. فمؤسسات التعليم مكتظة، ولا يوجد اعداد كافية من المعلمين، ولا تحصل تلك المؤسسات على الدعم المادي اللازم، وهي تخرّج في معظم الاوقات طلاباً لا تتناسب مؤهلاتهم وسوق العمل في الحاضر".

كما ذكر أبوغزاله انه جرت في العقدين الماضيين عدة محاولات لتحديث الانظمة التعليمية في العالم العربي، لكن "النظام التعليمي العربي ما زال مقصراً، وعلى انظمتنا التعليمية ان تقدم مناهج تعليمية متطورة لطلابنا". والحّ بأن "الدرجة الثانية" لم تعد كافية او مقبولة. فمن حق الطلاب ان يحصلوا على أفضل الدروس والمعلومات ما يحفذهم على المزيد من اجل استعمال طاقاتهم لممارسة التفكير النقدي والابداعي، واستخدام جامعاتهم من اجل استحداث معرفة جديدة. ان الوصول الى هذه الخطة يعد شرطاً اساسياً من اجل مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية مع المحافظة على ثقافتنا وتاريخنا".

أسف أبوغزاله لانخفاض روح المبادرة في العالم العربي والافتقار الى قيادات تحمل المشاريع الرائدة، وأورد في هذا الشأن نتائج استطلاع اجرته مؤسسة غالوب في حزيران ٢٠١٢ لدول عربية أظهر ان معظم من شملهم الاستطلاع من الطلاب يرغبون بالعمل في القطاع العام" لتوافر الامان الوظيفي والاستقرار المالي"،"وان نسبة اثنين الى ثلاثة في المئة فقط يرغبون قيادة المشاريع على حسابهم". اما الملهمون من الطلاب فإنهم "عازمون على التعلم في الخارج" وقد أظهر الاستطلاع ان معدل واحد في المئة من طلاب الجامعات العربية هم من خارج الوطن العربي، في حين ان نسبة ٥٣٪ من الطلاب العرب، وبالتحديد من تخصصات الدكتوراه، يتوجهون الى خارج العالم العربي لاكمال دراساتهم. واستخلص طلال ان "هذا التدفق الاحادي الاتجاه هو الاكثر اثارة للقلق".

ومع ان هذه الارقام تثير القلق، فان طلال رأى فيها عبر كلمته في انها "بمثابة المنبه"، ودعا الى وعي ما يحصل: "فاذا اعترفنا بهذا الواقع والتزمنا باصلاح الوضع، فعندها فقط يمكننا وضع مجتمعنا على الطريق الصحيح". ويفخر أبوغزاله بأن اغلبية الطلاب المسجلين في جامعة طلال أبوغزاله هم من خارج الوطن العربي، من افريقيا وآسيا واميركا الجنوبية، ما يدل على الشهرة العالمية لجامعته.

قاد أبوغزاله في العام ٢٠٠١ مبادرة "تعريب" الانترنت وبرامج محو امية الحاسوب، فاثبت "بأن اللغة العربية لا تشكل عائقاً لدخول مجتمع المعرفة"، وتمّ تطوير البرنامج بالعربية بالتعاون مع المسؤولين عن الامتحانات في جامعة كامبردج، ويُنفذ في أكثر من ٤٥٠ مركزاً في انحاء الدول العربية ومنها السعودية والكويت. واستناداً الى هذه التجارب جرى انشاء المنظمة العربية لشبكات البحث والتعليم (ASREN) برئاسة فخرية للامين العام لجامعة الدول العربية، وترمي الى اقامة بنية الكترونية بين الدول العربية، وخلص أبوغزاله: "ان السعي لتحقيق التميز أمر ممكن، فلنحفظ عبارة الرئيس الاميركي السابق باراك أوباما: نعم نستطيع".

وذهب أبوغزاله في كلمته في دبي الى ابعد فقال: "يجب ان يتقبل مجتمعنا العربي بأن التعليم تجربة حياة متواصلة... وبأن التكنولوجيا تتقدم بسرعة بحيث ان المهنيين بمن فيهم المهرة ينبغي ان يتدربوا بصورة دائمة في مجال البرمجيات الناشئة والمنهجيات المتجددة"، وكرر: "صدقاً انا طالب مدى الحياة. وهذه هي الطريقة التي تمكنني من البقاء متقدماً بخطوة في المنافسة... والتعلم المستمر دعامة للنجاح في عالم الاعمال وفي الحياة بشكل عام".

## عالم الكتروني من أجل كوكب مسؤول وجميل

ختم طلال مداخلته في مؤتمر ومعرض الخليج للتعليم في العام ٢٠١٣ الذي انعقد في لندن بخلاصة طويلة على غير عادته نقتطف منها بعض ما جاء فيها فقال: "لدي رؤية، حول التجديد الكبير، والعودة الى العصر العربي الذهبي حين كان أفضل العباقرة يأملون في الدراسة عندنا... دعونا نفكر في التحديات باعتبارها تسونامي التي إذا ما حدثت تبقى جميع التداعيات تحت المحيط ولا يمكن الشعور بها على سطح المياه. وعند وصول الموجة الاولى الى الشاطئ لا تشعر العين غير المدربة بمخاطرها وتنظر اليها بشيء من التعجب والفضول وترى فيها حالة سوية. لكن الذين يلتقطون الاشارات التحذيرية يعرفون ما هو قادم ويستعدون للتصرف ازاءه، وهم يعرفون ان الموجة الثانية ستغمر الشاطئ وتغرقه، وان كل موجة لاحقة ستدفع أكثر باتجاه اليابسة محدثة الفوضى والدمار". واستنتج طلال: "لقد اختبرنا الموجة الاولى وهي العولمة وتدويل التعليم، وراقبنا الامكانيات التي قدمها لنا هذا النموذج. لكن الموجة الثانية قادمة، وسوف تعمل على تغيير كل شيء: التعليم والاقتصاد وحتى آلية التفاعل الاجتماعي، ويمكن التقاطها واستخدامها والوصول اليها كونها مفتوحة مباشرة على شبكة الانترنت".

وأفشى أبوغزاله في هذا الشأن: "ينبغي الا تشعر بالحرج من الاعتراف بأنك لا تعرف. كن دائماً محباً للتعلم. اطرح الاسئلة. اقرأ الكتب. انطلق عبر الانترنت. وأعلمْ ببساطة ان سد الفجوة المعرفية هي جزء من البقاء والتفوق في الحياة. فعندما تتوقف، يتوقف نمو معرفتك... ومن المهم ان ندرك الفارق بين ان تكون متعلماً وان تكون حكيماً. انا اعرف الكثير من اشخاص متعلمين لكنهم غير حكماء. وعلى العكس، انا اعرف الكثير من الحكماء الذين لم تتح لهم الفرصة ليتعلموا. الحكمة لا تدرس في المدرسة، وانما هي موهبة يتم تطويرها من خلال التجارب السيئة والجيدة. فمن التغلب على المشاق تولد نعمة الحكمة".

اختصر أبوغزاله كلامه بأنه: "ليس لنا في المجتمع العربي سوى خيار واحد ان نواصل التعلم، وان نرفع مستوى التعليم وان لا يكون مصيرنا المزيد من الانحدار والتخلف. وفي كل محاولاتي المهنية المختلفة، شكّل التعليم والتعلم الشقين المحورين من خطة العمل الاستراتيجية التي أتبعها".

بدأ أبوغزاله كلامه في معرض ومؤتمر الخليج أن قطاع التعليم في كل الدول العربية يعاني نقصاً في اعداد المعلمين، ونقصاً في تدريبهم خلال فترة عملهم، ولا يعون

دورهم الجديد الذي يقضي بتحولهم من "مالك" المعرفة الى "مرشد" التلامذة والطلاب لاكتساب المعرفة. وبات من البديهيات ان تكنولوجيا المعلومات والاتصال تساعد على اكتساب تنمية المهارات المعرفية، وتُطور الحس النقدي والتفكير الذاتي. ولم يعد السؤال: ما هو حجم المعارف التي يملكها التلميذ؟ بل أصبح السؤال: الى اي مدى يدرك المعلم دوره الجديد الذي يقضي بالانتقال من دور الملقن الى دور المرشد؟ دور التلميذ تغير، ودور المعلم تغير، والعلاقة بين التلميذ والمعلم تغيرت، وحركة الاثنين في المدرسة والجامعة تغيرت، والموروث الاجتماعي على طريق الزوال، والمتغيرات الرقمية هي الآتية.

كان بمقدور طلال أبوغزاله التوقف عند هذا الحد في معالجة موضوع التعليم الرقمي وصناعة المعرفة، لكنه رأى من المفيد طرح موضوع الحكومة الالكترونية بهدف تغيير نمط الخدمات الحكومية ذات الطابع البيروقراطي الى خدمات أكثر ديناميكية تحفز التعاون بين القطاعين العام والخاص، وتوفر مناخاً مؤاتياً للمستثمرين المحليين، وتجذب الاستثمارات الاجنبية، اضافة الى تأمين معلومة دقيقة لاصحاب القرار، وصولاً الى القضاء الالكتروني والتشريعات الالكترونية في مضمار حماية الملكية الفكرية، والتوقيع الالكتروني، والتجارة الالكترونية، وجرائم الحاسوب، وحماية حقوق المستهلكين.

وخصّ طلال القضاء الالكتروني ببحث معمق في الكلمة الرئيسية التي القاها في عمان يوم ٦ ايلول ٢٠١٥ تحت عنوان: "القضاء الالكتروني باستخدام التكنولوجيا المعاصرة: نحو محاكم وقضاء أكثر شفافية".

حدد طلال مفهوم القضاء الالكتروني بانه أحد اهم الخدمات التي تقدمها الحكومة الالكترونية لتشمل كل مراحل التقاضي من استحضار ولوائح ومذكرات ودفع رسوم وتقديم مستندات والاستماع الى الشهود، ويمكن اتمامها كلها عن طريق استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، سواء عبر الانترنت او عبر شبكة خاصة بالمحاكم، مما يساهم في المزيد من العدالة، وتسريع النطق بالاحكام، وتطوير النظام القضائي والمؤسسات القانونية. ومن مزايا القضاء الالكتروني أنه يضمن الانتقال من الخدمات الورقية الى الالكترونية، ويوفر الوقت والجهد والتكاليف، ويفسح في مجال العمل ٢٤ ساعة على ٢٤، ويسهل تبادل المذكرات وتخفيض تكاليف النقل والانتقال وسواها.

غير ان القضاء الالكتروني يفترض سن التشريعات اللازمة، وايجاد آليات وحلول فنية وفي مقدمها الاعتراف بالتوقيع الالكتروني، واقامة البنية التحتية اللازمة، ووضع اسس

للنزاعات التي يتم فيها استخدام الوسائل التكنولوجية، وتعديل القوانين والانظمة التي تُسيّر العمل القضائي وبخاصة قانوني اصول المحاكمات المدنية والجزائية بما فيها الادلة والبينات، وتطوير البوابة الالكترونية للمحاكم على الانترنت، وتأمين قناة تواصل تكنولوجية مع المحاكم عبر خدمة الاستعلامات الادارية للاستفسار عن الاجراءات والمراجعات على انواعها، ودعم انشطة المحاكم المختلفة وربطها ببقية الاجهزة والمؤسسات العدلية، والعمل على توعية كل المعنيين بثقافة الشفافية والجودة، وتوفير مجموعة من الخدمات الالكترونية للقضاة والمحامين والاداريين وغيرهم. ولا يمكن العمل بالحكومة الالكترونية الا إذا استطاع المواطن التواصل الالكتروني مع الدولة، ما يتطلب وجود نقاط اتصال وقدرة على توفير المعرفة الرقمية للتمكن من استعمال الانترنت، فشرط العمل بالحكومة الالكترونية هو محو امية الانترنت لدى كافة فئات الشعب.

وفي الواقع تعمل مجموعة طلال أبوغزاله على محو امية الانترنت وصولاً الى المجتمع المعرفي في كل الدول العربية، وقد قامت بتنظيم اتفاقات حصرية مع هيئات امتحانات كامبردج الدولية، وأنشأت ما يزيد عن خمسماية مركز تأهيل وامتحانات على مستوى العالم العربي، وتعاقدت مع العديد من الحكومات لتنظيم برامج محو امية الانترنت، وتنظيم العقود لتدريب الموظفين، وبدأت بالتعاقد في هذا الشأن مع المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان. وفي كانون الثاني ٢٠١٥ أعلن طلال أبوغزاله، بصفته رئيس المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم، عن إطلاق اتحاد الجامعات العربية الرقمية تحت مظلة جامعة الدول العربية ومقره في جامعة حمدان بن حمد الذكية في دولة الامارات العربية.

ونستنتج من المعطيات التي استعرضها طلال أبوغزاله حول الحكومة الالكترونية بان الدولة التي تعتمدها تصبح مهيأة لتقديم الخدمات الى الافراد وقطاعات الاعمال بكفاءَة عالية وفعالية أكبر عبر تفعيل تقنية المعلومات والاتصالات وربط مختلف وزارات الدولة واجهزتها الكترونياً، ما يساهم بضمان صحة المعاملات الادارية وشفافيتها وسرعتها وتخفيض كلفتها، والاهم الحدّ من انتشار آفة الفساد. وقدرت شركة CEDAR Institute for Economic and Social Affaires ان افتقاد الدولة اللبنانية للحكومة الالكترونية يكبد الاقتصاد اللبناني مليارات الدولارات سنوياً. وما زال لبنان متأخراً في تطور الحكومة الالكترونية، وهو احتل في العام ٢٠١٦ المرتبة ٧٣ بين ١٩٣ دولة في العالم، والمرتبة ٨ بين ١٩ دولة عربية. وأحوج ما يكون اليه لبنان هو الرؤية الاستراتيجية لمشروع الحكومة الالكترونية، وتكوين البنية التحتية المعلوماتية، واصدار التشريعات والانظمة الملائمة، وضمان امن المعلومات والبيانات الموثقة.

ومما لا شك فيه ان مسألتي الحق والقضاء يحتلان مرتبة متقدمة في تفكير طلال أبوغزاله، فقد أسس في العام ٢٠٠٣ المركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة كشرط اساسي للاصلاح والتنمية الديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية، واتخذ من بيروت مقره الرئيسي، ولديه ممثلون في كل من الجزائر والبحرين ومصر والعراق والاردن والكويت وليبيا والمغرب وقطر والسودان وتونس، ومن اهداف هذا المركز: تعزيز ثقافة "دولة الحق" المبنية على اسس حكم القانون والحكم الرشيد ونشرها، وجعل المركز العربي مرصداً اقليمياً لحكم القانون والنزاهة، وتشجيع الحوار بين مختلف الجهات المعنية على المستويات الوطنية والاقليمية والدولية، وبناء قدرات اصحاب القرار وتوسيع آفاق اداراتهم.

وقد انجز هذا المركز العديد من المبادرات نذكر منها على سبيل المثال: تعزيز حكم القانون في الدول العربية (٢٠٠٥)، انشاء قاعدة معلومات قانونية خاصة بحق التجمع والجمعيات في الدول العربية بالتعاون مع برنامج الامم المتحدة الانمائي ومؤسسة فورد (٢٠٠٧)، تعزيز الاطار القانوني لحق التجمع في العالم العربي من خلال الحوار الوطني وتعزيز قدرات المجتمع المدني بالتعاون مع مؤسسة فريديريش ناومن (٢٠٠٩)، تعزيز القوانين التجارية في دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا مع الجهة المانحة وهي مبادرة الشراكة الشرق الاوسطية (٢٠١٠)، توفير مكونات التدريب القانوني للمعاهد القانونية في العراق مع برنامج الامم المتحدة الانمائي في العراق (٢٠١١)، وتوفير مكونات التدريب القضائي في اليمن مع الجهة المانحة جي .ار.أم انترناشيونال.

ولا يجوز اغفال ان الصراع على المعلومات يشكل في هذه المرحلة اهم الصراعات بين الشركات العملاقة. فقد اعلنت شركة "ياهو" الاميركية للتكنولوجيا انها تعرضت عام ٢٠١٣ لاضخم قرصنة الكترونية على الانترنت تمثلت بسرقة البيانات والمعلومات الخاصة بحسابات مليار مستخـــدم، كما حصلت عملية خرق اخرى في العام ٢٠١٤ استهدف فيها اللصوص الالكترونيون ٥٠٠ مليون مستخدم ايضاً. ويبدو ان القرصنة الالكترونية تناولت أكثر من عشر شركات كبيرة في السنوات الماضية، ولا تستبعد التحقيقات التي جرت بان هذه الجرائم تتم برعاية دولة او أكثر، ما يقتضي وضع تشريعات دولية تتعلق بالانترنت، وبتحديد المرجع القضائي في هذا الشأن، وقد يتعدى الامر صلاحيات المحاكم الوطنية الى انشاء محكمة دولية مختصة بجرائم الانترنت.

# ثانياً
# كلنا لفلسطين

صنع طلال أبوغزاله الكثير، وأنجز الكثير، وتحمل الكثير لكنه يعتز في قرارة نفسه بأمرين: الملكية الفكرية والتعليم الرقمي، الاولى هي جوهرته والثاني هو مجال فخره. أما قلبه فمشدود على الدوام الى مكان واحد في هذا العالم: فلسطين.

## الفلسطينيون حول العالم... كم نحن؟

في ٢٠١١ حقق طلال أبوغزاله الحلم الذي راوده وهو على متن باخرة التهجير في العام ١٩٤٨، فأنشاء والدكتور صبري صيدم، وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات الفلسطيني الاسبق، جمعية في باريس بإسم "كلنا لفلسطين"، وهي جمعية لا تبغي الربح ولا السياسة، هدفها فقط تسليط الضوء على الابداع الفلسطيني والانجازات التي حققها الفلسطينيون، نساءً ورجالاً، في كل انحاء العالم، وفي مختلف الميادين، ما يعكس اصالة الفلسطينيين، سواء الذين هم تحت الاحتلال او الذين هم في الشتات. وجرى تسجيل هذه الجمعية في الاردن، واتخذت من عمان مركزها الاقليمي، وتزامن تسجيلها بصورة رسمية مع قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بقبول فلسطين دولة مراقب غير عضو في الامم المتحدة في تشرين الثاني ٢٠١٢.

اتخذ مجلس امناء الجمعية اولى مبادراته تحت عنوان "الفلسطينيون حول العالم... كم نحن؟"، وكلفوا خبراء مختصين لمعرفة العدد التقريبي للفلسطينيين المنتشرين في العالم والتعرف على المبدعين منهم، والاضاءة على أدوارهم ومساهماتهم في المجتمعات التي يقيمون فيها. فوجىء الجميع بالنتيجة عندما بينت الاحصاءات بأن عدد الفلسطينيين والمتحدرين من اصول فلسطينية يناهز ٢٥ مليون نسمة، رقم ما كان يتصوره أحد!

كانت الارقام المتداول بها حينذاك حول عدد الفلسطينيين تتراوح بين ٥ الى ٦ ملايين، فشجع رقم ٢٥ مليون المسؤولين عن الجمعية على توسيع دائرة عملهم ومساعيهم للتعرف والتعريف على المبدعين الفلسطينيين الذين حازوا على جوائز أو شهادات عالمية، سواء كانوا في عداد الشخصيات السياسية او الاقتصادية أو المالية او الاجتماعية، او كانوا في عداد المفكرين والادباء والشعراء والفلاسفة والأكاديميين والفنانين والممثلين والرياضيين.

على الصعيد الشخصي خاض أبوغزاله معركة قضائية مع موقع غوغل الذي كان يعرّف بمكان ولادته في تل ابيب ولا ذكر لمدينة يافا ولا لفلسطين. فتقدم أبوغزاله بكل المستندات التي تثبت انه ولد في يافا وليس في تل ابيب، وفي فلسطين قبل قيام اسرائيل. فاستبدل غوغل تل ابيب بيافا لكنه لم يستبدل اسرائيل بفلسطين، والسبب ان برنامج غوغل يستبدل تلقائياً اسم فلسطين بإسم اسرائيل؟!

وفرت جمعية "كلنا لفلسطين" قاعدة بيانات على موقعها الالكتروني يمكن من خلاله الاطلاع على اسماء الفلسطينيين وابداعاتهم وتأثيرهم في محيطهم، نذكر قلة قليلة منهم بدءاً بقادة المقاومة الفلسطينية الذين يتصدرهم ياسر عرفات الذي أدار المقاومة بوجه الاسرائيليين لفترة طويلة ثم فاوضهم في اوسلو وعقد اتفاقاً معهم قضى بإقامة سلطة فلسطينية عاصمتها رام الله. لكن الاسرائيليين حاصروه ودسوا له السم في طعامه فاستشهد، وحلّ محله محمود عباس المعروف بأبو مازن في رئاسة حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، وهو يخوض معركة التفاوض السياسي طريقاً لحل القضية الفلسطينية لكن دونما جدوى لتاريخه. كما حفلت المقاومة بمجموعة من المجاهدين الذين اغتالتهم اسرائيل كأبو جهاد وأبو أياد وابو حسن سلامه الذي لقب بـ "الامير الاحمر" بعد ان ارتبط اسمه بعملية خطف وقتل الرياضيين الاسرائيليين في ميونيخ.

والى جانب قيادات المقاومة الفلسطينية تبرز قيادات فلسطينية فكرية واقتصادية كادوار سعيد وهو وجه العرب الثقافي في العالم، وعبد الحميد شومان الذي بدأ حياته في الولايات المتحدة كمتجول يبيع الاقمشة والاجهزة في الشوارع فنجح في اقامة مصنع للملابس في منطقة مانهاتن غير انه عاد الى القدس حيث اسس عام ١٩٣٠ البنك العربي الذي يصنف من اهم البنوك في المنطقة، عصام النمر الذي عمل في وكالة الفضاء الاميركية وشغل موقعاً داخل الفريق الذي يُعطي الاشارة النهائية لاطلاق مركبات الفضاء الاميركية، محمود درويش وهو من أبرز الشعراء العرب في القرن العشرين، غسان كنفاني من كبار الصحفيين العرب وعضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اغتاله جهاز المخابرات الاسرائيلية في بيروت عام ١٩٧٢، منيب المصري الذي لم

يكن يملك ٣٠٠ دينار لدفع جمرك سيارته عام ١٩٥٦ بات يحتل موقعاً متقدماً في خانة الاثرياء العرب وقد اطلقت عليه صحيفة بريطانية لقب "ملك الضفة الغربية" لشدة ثرائه، ناجي العلي من اكبر رسامي الكاريكاتور في العالم العربي وله اكثر من أربعين الف رسم اغتيل في لندن عام ١٩٨٧، الصحافي سمير قصير الذي اغتيل أيضاً في بيروت، الشاعر سميح القاسم، الكوميدي عبد الناصر درويش، احمد العريان صاحب الكليبات الاكثر رواجاً، المغنية العالمية شادية منصور، طوني قطان الذي استحق لقب "مطرب الشباب"، واشرف برهوم الممثل الهوليودي المعروف واللائحة تطول.

أما طلال أبوغزاله فهو الابرز في دعم الفلسطينيين في داخل فلسطين وخارجها على الاصعدة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، ومن اهم مانحي الجوائز للمبدعين والمتفوقين، ونذكر على سبيل المثال: منحة ديبلوم طلال أبوغزاله لمهارات تقنية المعلومات لجرحى غزة وأُسَرِهم وأُسَر الشهداء، منحة أبوغزاله للحصول على مؤهل محاسب مهني عربي معتمد للمحاسبين من ابناء الضفة الغربية وغزة، جائزة طلال أبوغزاله للمعرفة التي تقدم منحاً مدرسية لابناء فلسطين المتفوقين في الدراسة، منحة لدراسة الماجيستر في كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا لاوائل الخريجين في الاردن بالتعاون مع شركة أمنية للهواتف النقالة.

لا تفارق أبوغزاله هموم فلسطين، ويجهد على الدوام في سبيل صمود شعبه، فيطرح المشروع تلو المشروع من دون كلل او ملل لايمانه ان الحق الفلسطيني لن يضيع ووراءَه مطالب. أطلق في العام ٢٠١٢ مشروع "سوق فلسطين الالكتروني" الذي يهدف الى ربط رجال الاعمال الفلسطينيين في الداخل مع اقرانهم في الخارج، وخصّ القدس بمشروع " سوق القدس الالكتروني" الذي يتيح لاي شخص الدخول الكترونياً الى القدس والتجوال في شوارعها واسواقها وكنائسها والمساجد وشراء ما يريده من بضائع وهدايا على الرغم من الحصار الذي تفرضه اسرائيل على المدينة.

أسس طلال في العام ١٩٨٤ هيئة مهنية لا تبغي الربح في لندن، وجرى تسجيلها في العام ١٩٩٤ في عمان تحت اسم "المجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين" (IASCA)، ويهدف هذا المجمع الى رفد العالم العربي بالمحاسبين العرب ذوي المؤهلات للارتقاء بعلم المحاسبة والتدقيق العربي الى المستوى الدولي. كما قام طلال بإطلاق موسوعة طلال أبوغزاله الالكترونية-العربية في العام ٢٠١٣ تحت اسم "تاجيبيديا" (TAGEPEDIA) لمواجهة موسوعة "ويكيبيديا" (WIKIPEDIA) التي تتعمد نشر معلومات مغلوطة عن العرب بتوجيه ضمني من الصهيونية العالمية. ويشدد طلال على ان "تاجيبيديا" مشروع

علمي لا يقبل اي تمويل او تبرعات حفاظاً على استقلاليته، أما باب تقديم المعلومات والدراسات فمفتوح لجميع العرب لتصبح الموسوعة العربية الاضخم والاشمل على الانترنت، والمرجع الالكتروني الاول باللغة العربية في شتى المجالات وتغطي خمسة حقول رئيسة هي: المعرفة، المراجع العلمية والمهنية، الدول والمؤسسات، الشخصيات، الاحداث والانجازات. ويجهد أبوغزاله الى مساعدة ملايين العرب لمحو الامية المعلوماتية في العالم العربي عن طريق توفير جهاز كمبيوتر محمول ومتطور ومصنوع باحدث المواصفات الفنية وبثمن مقبول وبالتعاون مع شركة "سامسونج".

كرّس طلال أبوغزاله منذ السبعينات من القرن العشرين طاقماً من موظفيه لملاحقة مبادراته الانسانية والاجتماعية تجاه الفلسطينيين والعرب. وأصبحت هذه المبادرات سلوك حياة، وهاجساً يقضّ مضجعه، فهو يدرك معنى الحرمان والفقر، ويستذكر بداياته القاسية، ولا تفارقه صورة اللاجئ الفقير والمحروم اينما وجد في هذا العالم. وعلى الرغم من حصول طلال على أكثر من دكتوراه فخرية الا انه يعتز بالدكتوراه الفخرية في العلوم الانسانية التي حصل عليها من جامعة بيت لحم كونها صادرة عن بلدة فلسطينية يحنّ اليها كما يحنّ الى يافا.

راهن طلال في كل الحالات والازمنة على الشباب العربي، وبخاصة على الشباب الفلسطيني الذين يخاطبهم دائماً ويبث فيهم روح المقاومة: "ان الاحباط هو الهزيمة بعينها، فلا تسمح لعدوك ان يهزمك من الداخل، وهذا ما يسعى اليه العدو الصهيوني.... اننا امة عظيمة، ولنا حضارة عاشت آلاف السنين، ولدينا قدرات بشرية واقتصادية وطبيعية وخلقية هائلة. فعلى الشباب العربي ان يحذو حذو كل انسان ناجح، وعليهم تقع مسؤولية خدمة الوطن والعِلم والمعرفة، وانا واثق ان ما يُخيف اعداءَنا ان تعود الامة العربية قائدة العالم كما كانت".

## "إسرائيل" مشروع منتهي الصلاحية

أكد أبوغزاله في أكثر من مناسبة ان الصهيونية لا تراث لها، وأنها تسرق التراث الفلسطيني: "سرقت الحرم الابراهيمي، وسور عكا، ولم تكتف بسرقة التراث بل سرقت حتى التقاليد والعادات ومنها صناعة الفخار والأكلات الشعبية. ووصل بها تزوير التاريخ الى حد انها استولت على الثوب الفلسطيني المطرز، وما زالت تسوقه كصناعة اسرائيلية،

وترتديه مضيفات الطيران الاسرائيلي ظناً منها ان الثوب يصنع الهوية. ولم يقف النهب عند هذا الحدّ، بل سرقت اسرائيل الكوفية الفلسطينية ورسمت عليها النجمة السداسية".

وخلافاً لما هو سائد، لم يصدق طلال يوماً ان جيش العدو الاسرائيلي هو أقوى جيوش الشرق الاوسط، ولا يوافق على ان القوة تتأتى من العسكر، بل هي تتأتى في ظنه من الحقوق الشرعية والاقتصاد القوي.

ويرى في هذا السياق ان اسرائيل دولة تغتصب الحقوق العربية والفلسطينية وتعيش على المساعدات والدعم الاميركي والاوروبي، ويشبهها "بالمريض الموصول بالمصل، فإذا فصلتَ عنه الانابيب الخارجية مات على الفور". ويردد على كل السامعين: "لا تملك اسرائيل مقومات الدولة، فهي تسجن نفسها داخل جدار أمني، وتحيط نفسها بسور. ان دولة تحيط نفسها بسور لا يمكن ان تعيش، كما لا يوجد لها مكان ولا حدود على الخريطة، ولا وجود لها تاريخياً ولا جغرافياً".

ويحلو لطلال ان يستشهد بقول الرئيس الفرنسي الاسبق الجنرال شارل ديغول بأن "اليهود شعب توسعي ومتغطرس"، ويضيف: "يخيل لهم انهم شعب الله المختار، وانهم في مصاف المتفوقين دون باقي البشر، وانه يحق لهم ما لا يحق لسواهم، فيقيمون كيانهم على أرض الآخرين وعلى ما ليس لهم، ويجتمعون على كره العرب ورفض التعايش معهم وعدم اعترافهم بحق العودة وبحق الفلسطينيين باقامة دولة فلسطينية مستقلة على أرض فلسطين".

في وجدان طلال أبوغزاله قناعات لا تتزحزح وهي ان مشروع اسرائيل "منتهي الصلاحية"، و"لا سلام بين سلطة احتلال وشعب محتل"، ويؤكد بهذا المعنى: "انا لا أؤمن بالسلام الذي يأتي بالمفاوضات... ومطلبي الاهم ان نحفظ الثوابت الاساسية، فهنالك حقوق تاريخية غير قابلة للتنازل".

لا يخوض طلال في موضوع المناصب والمسؤوليات السياسية، من هذا المنطلق لا يستغربن أحد أني لم اتسلم أي موقع في منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تفهم موقفي قائد الثورة الفلسطينية الصديق العزيز ابو عمار الذي كان يرد على كل من يحاول ان يشوش عليّ: ان طلال يخدمنا خارج المنظمة أكثر مما يخدمنا داخلها".

في هذا السياق التقى طلال ياسر عرفات بعد توقيعه على اتفاقية اوسلو عام ١٩٩٣ وقال له: "لن أدخل فلسطين الا عندما يعلو العلم الفلسطيني على أرض وطني، ويصبح

من يصدّر تأشيرة الدخول فلسطينياً. آمل أنك تتفهم موقفي. عندما تبدأون بإصدار التأشيرات، سأكون أول شخص يذهب الى هناك. غير ان الموافقة على تأشيرتي من جانب الاشخاص أنفسهم الذين طردوني وطردوا أُسرتي فهذا ما لا اطيقه، وانا مستعد لتقديم اي خدمة لشعبي من دون الحاجة الى العودة في ظل الاحتلال".

يتمسك طلال بموقفه، وهو يصنف هذا الموقف في خانة الخيار الشخصي، ولا يطرحه على الآخرين كفرض واجب ويقول: "أنا أتفهم الناس الذين يعودون لاسباب نبيلة، وانا معجب أكثر بأولئك الذين بقوا تحت الاحتلال. غير أني لا اقبل ان يختم المحتلون على جواز سفري... الكثير من المنتصرين حكموا بلادي، الا أنى لن اعود الا عندما يكون الوطن حراً".

هذه الكلمات البسيطة على بديهيتها تختزل رؤية طلال أبوغزاله للقضية الفلسطينية بكل ابعادها. فطالما ان اسرائيل تتمتع بصلاحية التأشير على جواز سفر الفلسطينيين لتسمح لهم بالدخول الى فلسطين او الخروج منها، فهذا يعني ان الفلسطينيين اعترفوا بصورة احادية بدولة اسرائيل في حين ان الاسرائيليين لم يعترفوا بحق العودة ولا بحق الفلسطينيين بإقامة دولتهم على أرضهم. تأشيرة على جواز سفر تشكل الفارق بين حل قضية فلسطين حلاً عادلاً وحل القضية الفلسطينية على قاعدة انتداب اسرائيل على الفلسطينين ومنحهم دولة منقوصة السيادة والاستقلال والحرية.

يستفيض طلال في شرح موقفه من السياسة في عمله المهني، فيجاهر ان نظام شركاته يتضمن نصاً صريحاً يحظر فيه على اي موظف ان يكون عضواً في اي تنظيم سياسي او ان يبدي رأياً سياسياً في مكان عام او في احدى وسائل الاعلام. وهذا الحظر لا يمنع الموظف بأن يتمتع بخياراته السياسية كاملة، ولكن إذا تكلم علناً يخشى ان يُفهم خطأ انه ينطق بإسم المؤسسة. بناء عليه، جاء الحظر صريحاً في نظام الشركات، ويوضح طلال الصورة قائلاً: "هذا الحظر اعطانا القدرة على ان نظهر في كل انحاء العالم بإننا شركة وطنية في البلد الذي نعمل فيه، وليس لدينا اي موقف سياسي لا مع ولا ضد اي دولة. هذا موضوع في غاية الأهمية".

ويبرر طلال موقفه على طريقته فيقول: "انا أتحدى ان يكون صدر مني او من اي مؤسسة اترأسها اي موقف سياسي. وقد كسبنا ثقة كل الدول العربية ايماناً منا بأن أفضل طريق لخدمة امتنا هو التخصص، يعني ان نترك الطبيب يمارس الطب، والمهندس يمارس الهندسة، ولا نطلب من الشاعر ان يكون عسكرياً ويدير حروباً، ولنترك السياسة

للسياسيين. وإذا أبدع كل انسان في مجاله يتقدم المجتمع حتماً". ويخلص طلال الى "ان همنا الاول يتركز على بناء قدراتنا الذاتية، ومن ثم قدرات مجتمعاتنا العربية، وأن نحظى على احترام مواطنينا واحترام العالم". ويختصر أبوغزاله كلامه بالقول: "نحن نحرص على سمعتنا المطلقة في النظافة والنزاهة لخدمة رسالتنا، وكل من يحمل رسالة عليه ان يحافظ على نقاوتها ونقاوته كي ينجح في أدائها".

صحيح ان طلال يميز بين السياسة والمهنة، لكنه لا يخطو خطوة، ولا يطلق فكرة بعيداً عن قضيته فلسطين، ويقول في شأنها: "فلسطين باقية وموجودة على الخريطة، ولا يُمحى التاريخ ولو بمئة قرار واتفاقية، واقول للمشككين اننا امام واقع تاريخي وجغرافي واخلاقي، والآن بدأت مرحلة الخير المبشرة بالعودة".

كرّم اتحاد رجال الاعمال الفلسطينيين في تركيا طلال أبوغزاله في اسطنبول في كانون الاول ٢٠١٥ كافضل شخصية في الابداع الاقتصادي للعام ٢٠١٥ ضمن حفل خاص تحت عنوان "رجل بهمة تساوي أمة"، برعاية وحضور مستشار الرئيس التركي عبد الله غول، وقال فيه وزير فلسطيني سابق في الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات صبري صيدم: "نواجه جميعاً الكثير من محطات البؤس في حياتنا، ولكن بوجود قامة من القامات الفلسطينية مثل الدكتور طلال أبوغزاله نتأكد ونتحقق بأنه لا يمكن للشعب الفلسطيني ان يركع يوماً من الايام". وختم رئيس الاتحاد المضيف مازن الحساسنة الحفل بالقول: "بتاريخه وببصماته وبمساره المعرفي والأكاديمي والاقتصادي والاجتماعي أصبح (أبوغزاله) من أكثر المؤثرين في المنطقة، والاكثر ابداعاً في علوم المعرفة، والمقاتل الشرس عن حقوقه الوطنية، فهو علامة وطنية مسجلة حقوقها ملك للشعب الفلسطيني الذي يفخر ويباهى العالم به كاحد الملهمين الفلسطينيين".

كتب صديقه محمد السماك مقالاً جاء فيه: "صحيح ان القضية الفلسطينية في لبنان تسببت بالحاق الخراب والدمار في كثير من المرافق اللبنانية. ولكن هذا فلسطيني، يدعى طلال أبوغزاله، يفضل ان يُنير شمعة فلسطينية في لبنان بدلاً من ان يشتم ظلام المأساة التي عانى منها اللبنانيون والفلسطينيون على حد سواء...".

سئل طلال أبوغزاله مرة عن أحب الاماكن الى قلبه فأجاب: "أحب الاماكن الى قلبي هي منطقة الجاردنز التي سكنتها وعائلتي في أول شقة سكنية لي في الاردن، كذلك منزلي الحالي الذي يطل في يوم صاف على وطني الغالي فلسطين... وأول ما أقوم به عند استقبال ضيوفي هو اصطحابهم الى شرفة المنزل لأريهم جمال فلسطين وسمائها الرائعة".

## جمانه وعدوى عشق فلسطين حد الخطر

يعشق فلسطين الى حد أنه وافق على ذهاب ابنته جمانه الى يافا رغم كل المخاطر. وفي لقائي معها في عمان سألتُها عن الاسباب التي حملَتها لزيارة فلسطين، فقالت لي: ''أنا فلسطينية، اقرأ وأكتب وأحكي عن فلسطين، واساعد جمعيات فلسطينية ناشطة، ولكن كل ذلك عن بعد. شعرت في داخلي أنى لا أعمل بكل طاقاتي إذا بقيت المسألة مجرد خطاب وجداني او سياسي، ولا يكفي ان أَفهم القضية فكرياً، بل عليّ أن ارى بعيني واسمع بأذني، وأتنشق هواء فلسطين''.

توقفت جمانة هنيهة وكأنها تفتش عن فكرة فلا تجدها وأَضافت: ''أنا اشعر في داخلي ما لا أعرف ان اعبر عنه للخارج''. وأخبرتني انها أكملت دراستها في نيويورك، وعملت في احدى الشركات، وسرعان ما استقلت في عملها، وتملكها شعور بأن قرارها بات بيدها: ''شعرت بأني تطورت من حال الى حال: من الدراسة الى العمل، ومن العمل في شركة الى العمل لحسابي، وصرت مستقلة في اتخاذ قراراتي بنفسي وبحرية، وكان أول قرار اتخذته ان أزور فلسطين. وسرعان ما أصبح قراري بزيارة وطني غير قابل للنقاش في العام ٢٠٠٤: اما الآن وإما ابداً. ولم يعد الامر مجرد قرار، بل صار في ذهني أمراً قيد التنفيذ لا يحق لي الرجوع عنه، وكأني لست انا الذي قررت، بل قوة داخلية أكبر مني دفعتني الى القيام بهذه الزيارة''.

اعتادت جمانه مفاتحة والدتها في معظم شؤونها والاخذ بنصائحها، لكنها للمرة الاولى تكلمت مع امها بلهجة حاسمة، وشعرت الام ان ابنتها اتخذت قراراً صعباً، فخافت عليها، وأطلعت طلال، رغم انها في موضوع فلسطين ''فلسطينية أكثر منا'' تقول جمانه.

اما مع الوالد فقد اتخذ الحديث منحى آخر فقالت له جمانه: ''اريد ان افعل ذلك واعتقد أنك تريد مني ان افعل ذلك، واطلب منك ان تطمئن والدتي لانها خائفة علي''. فسألها طلال: ''هل قرارك نهائي؟'' أجابت بالايجاب، فأعاد السؤال بشكل آخر: ''هل فكرتي بالمخاطر؟'' فكان جوابها على الفور بنعم قاطعة. عند ذاك قال لها: ''سأتكلم مع والدتك. وأنا موافق على ذهابكِ الى هناك بالنيابة عني وبدلاً مني''.

تطرق الحديث مع الوالد الى اسوأ الحالات ومنها احتمال توقيف ابنته، واحتمال مطالبته بدفع فدية لاطلاق سراحها، لكن جمانه كانت على يقين ان والدها لن يوافق على التفاوض مع اسرائيل، وتعلق بقولها: ''انتابني شعور غريب: صرت احترم والدي أكثر وأحبه

أكثر". اما طلال فيعلن جهاراً: "اتوق الى يافا وشوارعها وحيطان المنازل واشجار الزيتون، واحلم ان أصلي في المسجد الاقصى واضيء شمعة في كنيسة القيامة في القدس واخرى في كنيسة المهد في بيت لحم. جمانه كسرت الحاجز النفسي وخاضت غمار الذهاب الى يافا، اما انا فيستحيل على ان اطلب اذناً من دولة الاحتلال حتى أزور بيت والدي".

تداولت جمانه مع اصحابها حول الاساليب التي تسمح لها بالدخول الى فلسطين، وماذا يمكن لأمن مطار اللدّ ان يسألها؟ وكان أحد معارفها، وهو انكليزي، ابدى استعداده للذهاب معها، وقاما بالحجوزات اللازمة، ووضعت جمانه على صدرها صليباً، ودخلت بجواز سفرها الكندي، فلم تواجه اي صعوبة ولم تتعرض لاي سؤال، وتستغرب جمانه الامر: "اسمي لم يلفت نظر امن المطار، ويمكن لان شكلي لا يوحي أنى عربية أو فلسطينية، ولهجتي بالانكليزية لا تشير الى اصولي. كان الدخول أسهل بكثير مما توقعت، وأحسستُ كم ان الشكل يغش، فقد اجتزتُ كل حواجز الامن الاسرائيلي من دون ان يُطرح عليّ اي سؤال".

انضّمت جمانه الى فريق من السواح زارت معهم جدار العار الذي بناه الاسرائيليون والذي يفصل بين الضفة الغربية والمستعمرات الاسرائيلية. بعدها راحت تتحرى عن حالة الفلسطينيين بعد بناء الجدار وقبله، وتنقلت من قرية الى قرية، وافترشت الارض احياناً لتنام عند عائلة فلسطينية أو على سطح كنيسة.

بعد ايام قررت جمانة التوجه الى يافا، وروت لي ما حدث معها، وقد ظهرت معالم التأثر على محياها، فقالت: "كنت منفعلة كثيراً الى درجة أنى بكيت عند دخولي المدينة من دون اي سبب. كنت أفتش عن منزل العائلة، ولكن كنت أخشى ألا اجده. كنت في حال ضياع. سألت المارة عن مكان المنزل، فكان البعض يتذكر لكن لا يعرف ان يدلني الى المكان بالتحديد، الى ان وقعت على شيخ جالس في أحد الجوامع فدلني على المنزل الذي قصدته وقلبي يخفق، ورأيت بأم العين اسم توفيق أبوغزاله محفوراً بالحجر فوق عتبة المدخل. التقطتُ صورة لي امام المنزل مع الاسم والتاريخ، وقرعت الباب، لكن لم يفتح لي أحد. وقفتُ خارج المنزل العائلي، وازدحمت الافكار في ذهني وتساءَلت: ما علاقتي بهذا البيت وبهذه المدينة؟ فقد هجرها اهلي قسراً منذ العام ١٩٤٨، وما حدث مع عائلتي حدث مع الالوف من العائلات الفلسطينية. انا كبرت في الكويت وامي لبنانية، وتعلمت في مدارس أجنبية، وجواز سفري أردني ولم اسكن في الاردن، واعمل في نيويورك،

واسافر بجواز سفر كندي، وليس لدي هوية وأشعر أني بلا اساس وبلا انتماء. لكن عندما ألقيت النظرة الاولى على المنزل في يافا وقرأت اسم جدي المحفور على حجارته، شعرت ان هويتي عادت اليّ عبر هذا البيت".

توقفت جمانه عن الحديث وكأن فكرها شرد صوب يافا والمنزل العائلي، ثم قالت وقد علت وجهها ابتسامة شوق: يافا "بتجنن" (مدهشة) لمستُ انها مدينة الثقافة، بيوتها قديمة مثل بيتنا، وقد تعمدت سلطات الاحتلال عدم منح اي ترخيص لاهالي يافا لترميم بيوتهم أو تصليحها او طرشها أو مجرد تركيب حمام فيها. ومن الواضح ان الاسرائيليين يمارسون سياسة منع صيانة المنازل لتنهار على اصحابها ويضطر الاهالي الصامدون الى مغادرتها. لهذه الاسباب تبدو يافا مدينة مهملة وقديمة وكأن اصحابها مقصرون في حين انهم مقيدون، وتبدو بالمقارنة تل أبيب مدينة عصرية وناهضة".

أكملت جمانه حديثها عن تلك السفرة التي شكلت حلماً وحققته، لكنها تعترف ان اسوأ ما شاهدته كان في مدينة الخليل حيث رأت الفلسطينيين الشباب جالسين في المقاهي عاطلين عن العمل. واثناء تجوالها، أخبرها بعض الناشطين الفلسطينيين كيف يتم قمع تحركاتهم بالمياه والرصاص المطاط والغاز الذي يخنقهم، وانه محظور عليهم دخول المستوطنات الاسرائيلية. غير ان جمانة دخلت تلك المستوطنات وشاركت في بعض التحركات، وهرّبت بعض المعلومات وحتى بعض المواد، وأرسلتها بالبريد العادي الى نيويورك، وتعلق قائلة: "غريب ماذا يمكنك ان ترسل من دولة الاحتلال بواسطة البريد؟ فقد وضعت في مغلف بقايا الرصاص المطاط التي يطلقها الجيش الاسرائيلي على المتظاهرين الفلسطينيين وارسلتها الى الولايات المتحدة فوصلت قبل عودتي الى نيويورك!".

وتنهي جمانه روايتها حول زيارة فلسطين: "كان الخروج أصعب بكثير من الدخول، فقد أُخضعت لتفتيش دقيق جداً، حتى ان احدى الشرطيات لم تفارقني ولا لحظة ولو عند دخولي الى الحمام. وبقيتُ تحت الرقابة المشددة الى حين صعودي الى الطائرة".

عودة جمانه الى يافا وتيقنها من ان منزل العائلة ما زال موجوداً يرمزان الى عدة امور، وفي مقدمها ان عودة الفلسطينيين الى ارضهم واقعة حتماً مهما طال الزمن.

# ثالثاً
# احداث وعبر

## الربح ليس مادياً دائماً

في كل مرة يدور الحديث مع طلال أبوغزاله حول شركاته والنجاحات التي حققتها، يكرر على مسمع محدثه "بان نجاح هذه الشركات مرده انها لم تُؤسس للربح، بل تأسست لتظهر ان الانسان الفلسطيني والعربي قادر ان ينجح على مستوى العالم"، ويجزم: "يمكنني التأكيد ان شركاتنا تنحو الى العالمية، كما هي حال شركة الملكية الفكرية التي اصبحت من أكبر خمس شركات عالمية في اختصاصها حتى لا اقول الاولى، وهذا الامر ليس موضوعاً عابراً، فالملكية الفكرية هي في اساس الاختراع والابداع والتقدم البشري".

وبمناسبة تكريم أبوغزاله من قبل جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين في العام ٢٠١٦ لمرور خمس واربعين سنة على انطلاقته، قامت مجموعة طلال أبوغزاله (TAG-Org) بتعداد اهم المناصب التي تبوأها رئيسها: ترأس اربعة عشر فريق عمل تابعاً للامم المتحدة، عُين نائب رئيس الاتفاق العالمي للامم المتحدة بالاشتراك مع كوفي عنان وبان كي مون، ترأس فريق عمل الامم المتحدة المختص بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ترأس التحالف العالمي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتنمية في الامم المتحدة، ترأس فريق عمل الامم المتحدة المعني بمواءمة المؤهلات المهنية، ترأس فريق الخبراء الحكومي الدولي التابع للامم المتحدة في مجال المحاسبة واعداد القوائم المالية، ترأس شبكة التكنولوجيا الرقمية من اجل التحضر المستدام، ترأس مجلس ادارة اكثر من ٥٠ شركة في مختلف الدول، هو رئيس فخري لاكثر من ٢٠ مؤسسة في العالم، ورئيس لاكثر من ٣٠ جمعية معنية

بالمسؤولية الاجتماعية، وهو عضو في المجلس التجاري التابع للمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وفي مجلس خبراء منظمة التجارة العالمية بشأن مستقبل التجارة العالمية. شارك في جميع الهيئات الدولية للمحاسبة، وحَصل على أكثر من اربعين وساماً وجائزة رسمية من مختلف انحاء العالم.

اما الخدمات التي تقدمها طلال أبوغزاله فاونديشن فقد ناهزت ٢٨ خدمة مفصلة كالآتي: امتحانات وشهادات مهنية، خدمات ودورات التدريب المهني، الاصدارات المهنية المترجمة والمناهج المهنية، ادارة محطات المعرفة، عقد ندوات ومؤتمرات ولقاءات محلية واقليمية ودولية، نشر عدة اصدارات وكتب مهنية، خدمات واستشارات حول الوكالات والتراخيص التجارية، التدريب والتوعية وبناء القدرات في مجالات الجودة والادارة وتكنولوجيا الادارة والقيادة، اكبر المزودين بمعلومات حول حياة وانجازات ابرز الشخصيات الفلسطينية في العالم، اكبر مزودي المحتوى العربي الرقمي، خدمات الملكية الفكرية، خدمات قانونية، خدمات استشارية، تطوير وادارة المشاريع،التدريب على التخطيط الاستراتيجي وانشطة المسؤولية الاجتماعية، الاشراف والاعداد لحملات توعية في مجال انشطة المسؤولية الاجتماعية، ابتكار سياسات للمسؤولية الاجتماعية، تنظيم الحفلات الموسيقية والمشاريع المخصصة للموسيقى، اجراء ابحاث ودراسات اقتصادية، استضافة وتنظيم مختلف انواع الفعاليات والتجمعات، منح التاشيرة لجمهورية الصين الشعبية، تعليم اللغة الصينية، خدمات ضمان الجودة للمؤسسات التعليمية، الاعتماد الاكاديمي للمدارس، ربط البنى التحتية العربية للبحث والتعليم، وكالات انباء في مجال الملكية الفكرية وتقنية المعلومات والتعليم، منح درجة الماجيستر بادارة الاعمال عبر الانترنت، تأمين برامج اكاديمية ومهنية معتمدة من خلال الانترنت.

وفي موازاة خدمات طلال أبوغزاله فاونديشن، جرى تأسيس مجموعة طلال أبوغزاله، وهي في الاصل كانت شركة محاسبة وتدقيق، وتطورت بشكل كبير فأصبحت تقدم حوال ٣٦ خدمة: المحاسبة، التدقيق الخارجي، التدقيق الداخلي، حوكمة الشركات، الضرائب، بناء القدرات، الاستشارات التعليمية، الدراسات الاقتصادية والاستراتيجية، خدمات الاستشارات الادارية، التدريب المهني والفني، نقل التقنية وادارة المشاريع، ادارة العقارات، تقديم خدمات واستشارات للمستثمرين، تطوير الموارد البشرية، الحكومة الالكترونية، التجارة الالكترونية، التعليم الالكتروني، تدقيق امن تقنية المعلومات، تطوير وتصميم المواقع، الترجمة الفورية والترجمة المهنية، تعريب المواقع، تسجيل اسماء المجال، التخطيط الاستراتيجي لتقنية المعلومات والاتصالات، الخدمات الاستشارية لتخطيط موارد المشاريع، التدريب على مهارات تقنية المعلومات

والانترنت، وكالة انباء الملكية الفكرية، تقييم اعمال وموجودات الملكية الفكرية وخدمات الاعمال التجارية، تسجيل الملكية الفكرية وحمايتها، تجديدات الملكية الفكرية، حماية وادارة حقوق الملكية، الخدمات القانونية من استشارات ومحاماة، الاكتتابات العامة، الدورات التدريبية والشهادات الاكاديمية، تطوير صناعة الموسيقى والانتاج الموسيقي، الترويج الصحفي والنشر الالكتروني، نشر الفكر والثقافة والتعليم من خلال قناة اذاعية، تصميم العلامة التجارية وتطويرها.

تبقى الاشارة الى ان مجموعة طلال أبوغزاله الدولية تُعّد في طليعة الشركات الرائدة في مجال الملكية الفكرية وبلغ عدد عملائها الذين سجلوا علاماتهم التجارية أكثر من ٤٠٠ ألف عميل من جميع دول العالم، كما هي رائدة في تزويد خدمات التعليم عبر شبكة الانترنت، وقد بلغ عدد الموظفين الاردنيين العاملين في مكتبها الاقليمي في الاردن ٤٤٠ موظفاً يسيرون اعمال ٨٥ مكتباً و١٥٠ ممثلية في مختلف انحاء العالم. وهذه المجموعة هي مزود رئيسي بالعملة الصعبة في المملكة الاردنية من خلال البنك المركزي الاردني. تشكل ايرادات المجموعة من الاردن ما نسبته ٣٪ من ايراداتها العالمية، في حين تبلغ نفقاتها في الاردن ما نسبته ٢٠٪ من نفقات المجموعة ككل.

قدمت مجموعة أبوغزاله خدمات لاكثر من مليون عميل منذ تأسيسها بمعدل زيادة بلغت ٢٥٠٠٠ عميلاً سنوياً. كما اصدرت أكثر من مليون تقرير، ودربت أكثر من نصف مليون موظف، واصدرت أكثر من نصف مليون جائزة، وعقدت أكثر من نصف مليون برنامج تدريبي، ومنحت الجوائز بالآلاف. ولمجموعة أبوغزاله ٦٣ موقعاً الكترونيا يستقبل ما يفوق العشرة ملايين زيارة سنوياً. قامت هذه المجموعة بأرشفة أكثر من ٣٠ مليون وثيقة، وأسست وأدارت اكـثر من ٤٠٠ محطة معرفة، وحصلت على أكثر من ١٠٠٠ درع تكريمي، وتملك أكثر من ١٠٠ براءة اختراع في مجال حلول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

امام هذا الكم الهائل من المناصب التي تبوأها طلال، والخدمات التي تقدمها مجموعاته من اعمال كبيرة ورائدة، يحق له ان يكون معتزاً وفخوراً بما فعل، فيقول بكلام صريح وعالي النبرة: "أتحدى ان يكون في العالم شخص واحد، من اي جنسية كانت، استطاع ان يتولى المهام التي توليتها في الامم المتحدة بقواي الذاتية، ومن دون دعم اي دولة او اي لوبي. ويضيف بجرأة المؤمن: "لم اعمل بدافع شخصي او لمصلحة خاصة، بل عملتُ لاثبت للعالم، وبخاصة للصهاينة ودولة الاحتلال، ان الانسان الفلسطيني يستحق الحياة والاحترام والتقدير. وقد أفصحت منذ البدايات للعاملين معي ان هذه الشركات

والمؤسسات لا تبغي الربح المالي، بل كل عمل نقوم به يجب ان يتضمن خدمة اجتماعية معينة. فعندما نخرّج، على سبيل المثال، محاسباً قانونياً او مدققاً للحسابات، نعلمه بان يعمل في خدمة مجتمعه بشتى الوسائل".

وتطرق أبوغزاله الى أرباح شركاته فقال: "ان مجموعاتنا تجني ارباحاً معقوله، لكن نصف الارباح الصافية يذهب مباشرة الى الاعمال والخدمات الاجتماعية، اما النصف الثاني فلا يُوزع ارباحاً لي ولعائلتي، بل يوظف لفتح فروع ومكاتب جديدة نستثمرها بالكامل لصالح الشركة. وهكذا فان ارباح شركاتنا تذهب مناصفة للخدمات الاجتماعية وللتوظيف في الشركات القائمة او لتأسيس شركات جديدة، ولا نجني انا وعائلتي ارباحاً، بل نأخذ ما نحتاجه للعيش بكرامة وسعادة. قوة مؤسساتنا ونجاحها انها لا تعمل للربح الذاتي، بل لحمل قضية محقة للعالم وانجاز المشاريع ذات الطابع الاجتماعي".

ولطلال نظرية شخصية في موضوع التنافس استخلصها من حديث دار مرة بينه وبين عبد العزيز الصقر، وهو رجل له مكانته واحترامه في الكويت. كان أبوغزاله يشتكي من الحرب الشرسة التي يشنها منافسوه عليه، فقال له الصقر: "انت انسان تعمل وتكد في عملك لتنجح، وهذا حقك. وطالما أنت تعمل بصورة صحيحة، ولا ترتكب اخطاء او اعمالاً مشينة، فكل تهجم عليك يجعلك اقوى، ولا تتوقع ابداً ان يهادنك منافسوك، فما دمت تعمل فسيبقى لك خصوم على الدوام".

حفظ طلال الامثولة، وتبلورت عنده نظرية الصداقات والخصومات التي اوصلته الى استنتاجات غير مألوفة فقال: "يمكن الافادة حتى من الخصم إذا أحسنا التصرف. صحيح ان المحبّ والحريص مستعد للمساعدة. اما الخصم فهو يراقب ويتحرى اي خطأ للانقضاض. فماذا اريد أفضل من هذا الوضع؟ الصديق يساعدني عن محبة، والخصم يراقبني عن حسد او كره لكنه يجعلني أكثر حرصاً كي لا أقع في الخطأ. وقد اعتدت ان انتقم من خصمي بان لا أُخطئ باي شيء. وساعدتني هذه النظرية الى حد كبير في عملي واراحتني نفسياً!". غريب ذكاء طلال: عقلانيته تخترق كل شيء، وتصل الى حدّ توظيف اخصامه لصالحه!

وكما لطلال نظرية خاصة في الصداقات والخصومات، فله فلسفة خاصة في شركاته التي يستعرض البعض منها: " كان همي منذ البدايات الاقتصاد العربي، وسرعان ما تأكد لي ان الشركات ضرورة لتنمية الاقتصاد، ولكن على كل شركة ان تدرك واقع موازنتها وحساباتها فهي بحاجة الى محاسب ومدقق، فأسستُ في آب ١٩٧٢ في بيروت شركة تحت

اسم "الدار لتدقيق الحسابات" والتي تحولت لاحقاً الى ما يعرف بشركة طلال أبوغزاله الدولية، واصبحت من كبريات شركات التدقيق والمحاسبة في العالم. كما على كل شركة ان تحمي اسمها وعلامتها التجارية وملكيتها الفكرية، فأسستُ في شباط ١٩٧٣ في بيروت شركة "أبوغزاله للملكية الفكرية" التي اصبحت من أوائل الشركات في العالم. وتحتاج كل شركة الى دراسة أو استشارة حول الخدمات التي هي عازمة على تقديمها، فأسستُ شركة "طلال أبوغزاله وشركاه للاستشارات". ويلزم الاقتصاد والشركات ذراعاً قانونية فاسستُ شركة "طلال أبوغزاله القانونية" التي مارست نظاماً مختلفاً عن كل شركات المحاماة في العالم. تعمدتُ التمييز بين المحامين الذين يقدمون المشورة القانونية من داخل الشركة، والمحامين الذين يتولون المقاضاة امام المحاكم من خارجها. المحامون الاستشاريون يجمعون الوقائع والمعلومات والبينات برسم المحامين في الخارج الذين اعتادوا الدفاع والمرافعة امام محاكم بلادهم وفق قوانين كل بلد، وسرعان ما اصبحت لدينا أكبر شبكة محاماة في العالم، ما يؤكد اعتقادي انه في حال اردتَ ان تلج مضماراً سبقك عليه الاخرون كالمحاماة مثلاً، فعليك ان تدخل فيه فكرة جديدة أو نهجاً جديداً".

استرسل طلال بسرد قصة تأسيس شركاته وتكاملها بعضها مع بعض: "اقتنعت باكراً بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فأسستُ شركة "طلال أبوغزاله لتقنيات المعلومات الدولية"، وتعد هذه الشركة من أكبر الشركات في المنطقة العربية والعالم في مجال عملها. وبحكم عملنا في العالم العربي اضطررنا الى ترجمة بيانات الشركات الاجنبية الى العربية فأسسنا شركة "طلال أبوغزاله للترجمة والتوزيع والنشر"، وسرعان ما صارت تلك الشركة رائدة في العالم العربي في مجال الترجمة والنشر: تترجم ٢٥٪ من وثائق الملكية الفكرية في ٢٢ دولة عربية بالاضافة الى تقديم خدماتها لعملاء كل مكاتب مجموعة طلال أبوغزاله ولمعظم هيئات الامم المتحدة".

اكتفى طلال بهذا القدر في الحديث عن بعض شركاته للدلالة على انه أنشأها بقصد خدمة الاقتصاد العربي، وأنهى حديثه حول الشركات التي تناولها في الشرح والتي لم يتناولها فأعلن: "نحن لا نريد ان ننافس اصحاب الشركات ورجال الاعمال، بل ان نتعاون معهم لبناء قدراتهم الذاتية، ونقدم لهم الخدمات التي تساعدهم على انجاح مشاريعهم على اختلافها. وقد اتخذتُ قراراً حاسماً، على الرغم من الاغراءات والعروضات الكثيرة، بان لا أستثمر دولاراً واحداً في اي شركة خارج مجموعتنا، وأن لا العب بالبورصة، وان لا اوظف ديناراً واحداً في اي مشروع تجاري، مع العلم اننا نقدم الاستشارات لمختلف المستثمرين والمضاربين والمنتجين في كل المجالات الاقتصادية والمالية والعقارية، ونحن على معرفة واسعة باسواق المال والاعمال والعقارات، غير اني تعمدت عدم خوض غمارها بما فيها غمار العقارات التي لا نملك منها سوى ما تحتاجه مكاتبنا لادراة اعمالها".

## مدرسة طلال في "كيف تكون موظفاً ناجحاً"

يستعين أبوغزاله بالخبراء الكفوئين من مختلف الجنسيات والقادرين على معالجة مختلف المشاكل ومساعدة الافراد والشركات على اتخاذ القرارات الصائبة ولو كانت صعبة. ويساهم هؤلاء الخبراء في التنمية المستدامة في العالم العربي التي تحتاج الى الكثير من المهنية والعقول الخلاقة. ويطيب لطلال الحوار والنقاش مع الخبراء والموظفين والشركاء وكبار الموظفين فيما يطلق على تسميته "العصف الذهني".

وما كان لطلال ان يحقق هذه النجاحات التي حققها لولا طوقه الى كل ما هو جديد، وقدرته على مواكبة التطورات والمتغيرات العالمية نتيجة علاقاته الوثيقة والمستديمة مع منظمة التجارة الدولية، والبنك الدولي، وهيئات مالية وتنموية منتشرة في انحاء العالم، وقد عرف أبوغزاله ان يقدم شركاته والعالم العربي بالصورة الأفضل: "عالم مهني وعادل ومعتد بنفسه". المهنية شرط النجاح، والشفافية ضمانة للافرقاء، والاعتداد بالنفس دليل ثقة وفعالية.

وما يميّز في رأيي "مجموعة طلال أبوغزاله" (TAG-Org) عن سواها انها تقدم سلة متكاملة من الخدمات المهنية والتعليمية وفق اعلى معايير الجودة الدولية، وتساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حيث تعمل. ولا نجاح من دون الجودة، ولا جودة من دون موظفين محترفين، ولا موظفين محترفين من دون تدريب مستمر، والتدريب يتناول كل ما هو جديد. التجديد الدائم سمة العصر، وهو سبب رئيسي لنجاح أبوغزاله الذي عرف ان يماشي المتغيرات والمستجدات، ومن لا يواكب التغيير يتجمد ويتخلف ويبتلعه التغيير ويصبح مصيره الغرق او الاغلاق.

عاين أبوغزاله ما حققه فقال: "ما حققناه من انجازات هو ثمرة ما صنعه موظفونا المحترفون والمتفانون، وهم أغلى ما نملك"، وأردف: "من جهتنا نحرص على تعزيز قدرات موظفينا، ونوفر لهم التدريب المهني باستمرار، ونهيء لهم بيئة تشجع على المبادرة والالتزام والتمايز".

لعب أبوغزاله ورقة رابحة تمثلت باستخدام أفضل الموظفين وتعويدهم على المبادرة ومواكبة الابحاث والدراسات، والاطلاع على كل ما هو جديد ومستجد. وفي اعتقادي ان طلال مقتنع كل الاقتناع ان العنصر البشري هو الاساس لكل مشروع، فعندما يكون الاساس قوياً يمكن للمشروع ان يتصدى للعواصف، اما عندما يكون الاساس مهتزاً

فالبناء يتهاوى امام اول هبة ريح. وأعرب طلال في هذا السياق عن تصوره بالآتي: "يتمحور تركيزنا دائماً وفي كل شيء على تطوير القدرات البشرية، بدءًا من موظفينا ذوي التخصصات المهنية، بهدف رفع مستوى خبراتهم لاثراء المجتمع العربي. ولقد اعتمدنا مبدأ توفير "الموظف المعرفي" وسعينا لتمكين موظفينا وغيرهم في العالم العربي بأن يحلموا ويتخيلوا ويبدعوا".

اعتمد طلال أبوغزاله باكراً على الشباب والمرأة، وهما ثابتتان في كل تفكيره وكل مشاريعه. وتشكل المرأة نسبة ٥٠٪ من اجمالي الكادر الوظيفي في مجموعته، ويحرص على ان تظل هذه النسبة بمعدل ٥٠٪. ينظر طلال الى المرأة على انها شريكة ناجحة، وقد تبوأت مناصب ومواقع متقدمة في شركاته ومجموعاته، وهو على قناعة كاملة ان دورها لا يقل أهمية عن نظيرها الرجل، ولا يتوانى عن إطلاق الحملات المتلاحقة لتحفيز الشركات والمؤسسات على اعتماد فكرة المناصفة في العمل بين الرجل والمرأة.

أطلق أبوغزاله فريقاً متخصصاً تابعاً لمجموعته الدولية لصياغة مشروع يتضمن اهم التعديلات في التشريعات والقوانين لاتاحة المجال أمام المرأة لتقوم بدور رئيسي في المجتمع، وهو ينادي بالمناصفة بين المرأة والرجل ليس على مستوى العمل فحسب، بل على كل المستويات السياسية، لتشمل قاعدة المناصفة الحكومات ومجالس النواب والبلديات والادارات والمؤسسات العامة على اختلافها.

وفي موضوع حقوق المرأة ومعاناتها في الحياة، يحمّل طلال المجتمع الذكوري مسؤولية عدم تفعيل دور المرأة فيقول: "يستخدم الرجال المدافعون عن المرأة كلمة "تمكينها"، اما انا فأقول يجب "تمكين" الرجل ليقبل بالمرأة، فهي لا تحتاج الى تمكين، وهي قادرة وقديرة، وتجربتي مع والدتي وزوجتي وبناتي وزميلاتي في العمل تثبت ان المشكلة ليست في المرأة بل المشكلة في قناعات الرجل بقدرات المرأة على الإنتاج".

على صعيد آخر، يتطلع طلال الى استقطاب الخريجين الشباب والشابات الذين يسهل غرس السياسات والاساليب الجديدة فيهم، على خلاف اهل الخبرة القديمة الذين لا يستطيعون بسهولة استبدال المفاهيم التي نشأوا عليها، وان يعملوا بالمفاهيم العصرية الجديدة عليهم. وتزداد قناعة أبوغزاله بضرورة منح التدريب والتأهيل المكثفيْن لكل الموظفين، الجدد منهم والقدامى، بصورة مستديمة كي تتمكن اي مؤسسة على التنافس في عالم متغير وسريع الحركة والتطور. ان التدريب المستديم ضرورة، ومن لايعمل به سرعان ما يتخلف ويتراجع.

اهتمام أبوغزاله بموظفيه وصل الى حد الحرص على مظهرهم اللائق واسلوب العمل الموحد داخل الشركة ومع الزبائن. وفي هذا الإطار، يخضع الموظفون الى التدريب المستدام لتوحيد اسلوب التعامل مع الناس وفيما بينهم، وتوحيد كتابة الرسائل الموجهة الى خارج الشركة، كما الرسائل المتبادلة داخلها. وتجدر الاشارة الى ان أبوغزاله مدّ موظفيه بعشرة وصايا حول حسن تصرفهم في الاجتماعات، هي عصارة تجربته الطويلة.

إحضرْ الى الاجتماع في الموعد المحدد، ومن المستحسن ان تصل قبل عدة دقائق من بدئه احتراماً للمشاركين ولزملائك، وضماناً ايضاً لحصولك على مكان جيد للجلوس في القاعة او على الطاولة. ولا اسوأ من صورة الموظف الذي يصل متأخراً فيظهر على الفور بأنه غير منظم أو غير مؤهل.

إقرأْ جدول الاعمال والاوراق الواردة قبل انعقاد الاجتماع، وفكّر بالاسئلة التي تريد ان تطرحها او بالمداخلات التي ترغب بتقديمها في شأن المواضيع المطروحة، ومن المستحسن عدم ارتجال ما تريد قوله.

احترمْ البروتوكول الذي يقضي باعطاء الكلام أولاً للشخصيات الحاضرة، وعند الانتهاء مما في جعبتهم بادرْ الى توضيح نقاطك باختصار. لا تتكلم بكسل، ولا توحي بأنك مضطر الى الكلام، فإن لم يكن لديك اي أمر مفيد تقوله لا تتدخل.

استخدمْ عبارات دقيقة وواضحة إذا قررتَ الكلام، وتحاشى الاكثار من التساؤلات خشية ان تختلط الامور على الحضور فلا تصلهم وجهة نظرك واضحة، فيتخذون منك موقفاً سلبياً، أو يقتبسون عنك افكارك ويصيغونها بشكل مفيد فيضيع عليك الفضل بطرحها.

حاولْ ان تتحرى قبل الاجتماع او ان تستنتج خلاله هواجس المشاركين واهتماماتهم. استمعْ جيداً الى ما يقولونه او ما يوحون به، وعليك ان تصيغ اقتراحاتك في سياق إهتماماتهم او طمأنة لهواجسهم. وفي حال شعرتَ ان اقتراحاتك غير ملائمة او غير مرحب بها، فمن المستحسن ان تمتنع عن طرحها واحتفظ بها لمرحلة لاحقة.

إبتعدْ عن الخوض في مناقشات تتخذ طابع تصفية الحسابات الشخصية بين المشاركين، وتحويل الاجتماع الى ساحة معركة. وإذا ما اضطررت، بصفتك موظفاً، معنياً بالموضوع، حافظْ على هدوئك وموضوعيتك ولا تتصرف كأنك جزء من الخلافات المطروحة.

اجلسْ على الطاولة بصورة الشخص المتابع لكل الامور والذي يدوّن مجريات ما يجري، وأَظهرْ بمظهر من لا تفوته اي شاردة أو واردة. إمتنعْ عن مضغ العلكة اثناء الجلسات فهو أمر وقح وغير مهني.

إطفىءْ الجهاز الخليوي قبل الدخول الى الاجتماع، فرنين الهاتف يشتت انتباه المشاركين، وفي مطلق الاحوال لا يجوز الرد على مكالمة هاتفية اثناء الاجتماع.

تقيدْ بجدول الاعمال، وركّزْ على ما تريد اقتراحه أو انجازه، وان كان لا بدّ من الاستطراد الى مواضيع اخرى لم تكن واردة على جدول الاعمال، تأكدْ مسبقاً من ان الحاضرين لا يمانعون شرط ان لا تطغى الاستطرادات على المواضيع الأساسية.

شاركْ في كل الاجتماعات ولو بعضها مضيعة للوقت، لكن حضورك ضروري ومفيد للتعريف بنفسك والتعرف على الآخرين، فالاجتماعات لا تقاس فقط بمقياس الانتاجية، بل تشكل مناسبة لتحسين صورتك وبناء علاقات مهنية ناجحة.

لا يكتفي أبوغزاله بإعطاء النصائح لموظفيه، بل يكرمهم ويثمّن طاقاتهم والتضحيات، كأن يقدم خاتماً فضياً رمزياً مطبوعاً عليه شعار المجموعة لمن خدم خمس سنوات، وخاتماً من الذهب لمن خدم عشر سنوات، وخاتم من الذهب لمن تجاوزت خدمته الخمسة والعشرين سنة، ناهيك عن شهادات التقدير ودورات التدريب والتأهيل والتواصل الشخصي معهم. اعتاد أبوغزاله مساعدة الموظفين الذين يتعرضون للظلم أو لمعاملة غير مألوفة. اعاد، على سبيل المثال، موظفاً كان يعمل من قبل في إحدى شركاته بعد ان تنامى له ان صاحب العمل الجديد طرده اثر حادث نزل به. وسدد مرة من جيبه الخاص بعض المال لاعانة زوجة موظف وأولاده اثر وفاته المفاجىء. يتصرف طلال مع العاملين معه من منطق الاب، وهو مدرك ان أهم ما يحتاجه الموظف هو الشعور بالامان، وبأن له مرجعية تقيه تقلبات الدهر.

## تعلمت كيف يتصرف الكبار في موقع السلطة؟

صحيح ان طلال نأى بنفسه منذ ايام الجامعة الاميركية عن السياسة، غير انه يتابع تفاصيلها باهتمام ودقة لاضطراره الى التعاطي مع القادة والسياسيين عندما تضطره في بعض الاحيان ضرورات العمل الى القيام بمراجعات سياسية.

اصدرت دولة الامارات العربية المتحدة ذات مرة قانوناً ألزم فيه كل من يرغب ان يؤسس شركة او ان يعمل في الامارات، ولا يحمل الجنسية الاماراتية، ان يساهم معه شريك اماراتي بما نسبته ٥١٪ من أسهم الشركة. تبين لأبوغزاله ان هذا القانون يخالف مهنة المحاسبة والتدقيق بمعنى ان شريكه الاماراتي المفروض قانوناً أصبح بمقدوره الاطلاع على اسرار التجار الآخرين المنافسين له عبر شركة أبوغزاله، وهذا الامر يخالف اخلاقيات مهنة المحاسبة والتدقيق.

طلب أبوغزاله موعداً للقاء رئيس دولة الامارات الشيخ زايد آل نهيان الذي لم يكن طلال يعرفه من قبل، فجاءَه الموعد في يوم في ايام رمضان. عند بدء اللقاء قال أبوغزاله: "جئت استأذنكم لمغادرة الامارات واغلاق مكاتبي فيها". سأله الشيخ زايد: "ما السبب؟"، أخبره طلال: "ان اصول المحاسبة والتدقيق لا تسمح بان يطلع اي اماراتي على حسابات شركات اماراتية اخرى، وبحكم القانون الذي صدر مؤخراً صار بمقدور الشريك الاماراتي الذي يملك اكثرية الشركة ان يطلع على ما يريد، وهذا الامر يتعارض وسر المهنة".

اقتنع الشيخ زايد بما سمع، وأمر أحدهم ان يعمل "بروة". لم يفهم طلال بداية ما معنى تلك الكلمة، وعلم لاحقاً انها تعني "براءة". وبالفعل تسلم رئيس البلدية بعد فترة قصيرة من الزمن أمراً باستثناء شركة طلال أبوغزاله من القانون الصادر مؤخراً، وعلّق أبوغزاله: "لا زلنا نعمل بنجاح في الامارات، وهو ثاني فرع من فروع مؤسستي بفضل استيعاب الشيخ زايد المشكلة بسرعة، واتخاذه القرار المناسب على الفور".

يعمل طلال ليل نهار الى حدّ ان الشيخ علي صباح السالم الصباح، اتصل به ذات يوم ليسأله: "سمعت أنك مريض، فهل انت مريض فعلاً؟"، أجابه طلال: "نعم، انا مريض"، فقال الشيخ: "الحمد لله"! دهش طلال لسماع الجواب، ورد مستغرباً: "أتقول الحمد لله؟"، علق الشيخ ممازحاً: "الحمد لله أنك بشر وتمرض مثلنا، لانه خيل الي أنك آلة لا تتوقف عن العمل ابدا".

ما لاحظه الشيخ علي صباح السالم الصباح هو صحيح، فنجاح طلال يعود الى انه يعمل بلا هوادة. لا يضيع دقيقة واحدة من وقته. يستقيظ صباحاً عند الساعة السادسة وينام عند العاشرة مساءً. يعمل كل ايام الاسبوع بما فيه ايام العطلة، كما يعمل في اليوم الواحد حوالي أربع عشرة ساعة من دون انقطاع او توقف يخصص منها أربع ساعات يومياً للقراءَة. ويقتنص ساعات القراءَة اقتناصاً، سواء على متن طائرة، او بانتظار الحقائب

في مطار، او في السيارة التي تقله من اجتماع الى اجتماع، ففي جيبه على الدوام ورقة يسجل عليها الافكار التي ترده اثناء القراءة خشية ان تضيع في ذاكرته، فالذاكرة غدارة.

وكثيراً ما لا يتوجه الى منزله لتناول الغداء، ويختصر هذه الوجبة في مكتبه لنصف ساعة. وهو يشتكي على الدوام من ان وقت العمل قصير، وهو يحتاج الى اضعاف ذلك الوقت ليحقق مشاريعه ويثقف نفسه.

لا يفهم "مصطلح العطلة" ويفسره بأنه تعطيل للمصالح والاعمال والانتاج، ويقول: "لا يجوز للانسان ان يستريح، والعقل لا يحتاج الى راحة، والعينان ترتاحان لمجرد تغيير المنظر"، ويعتمد في رأيه على طبيب العيون الذي أخبره، وهو فتى، "ان العيون لا تتعب كالقلب تماماً، فالقلب ان توقف مات الانسان".

استلهم أبوغزاله التعامل مع زملائه الموظفين من زيارة قام بها في السبعينات من القرن العشريني التقى خلالها رئيس وزراء البحرين خليفة بن سلمان آل خليفة الذي سأله: "كيف الأمور؟" اجابه طلال: "هناك امور كثيرة جيدة، لكن أموراً اخرى تحتاج الى معالجة". انتفض رئيس الوزراء: "هذه اول مرة أسمع فيها شخص يقول لي فيها ان هناك أخطاء!"، أجابه طلال: "أعطني الامان لاعدد لسموكم الاخطاء التي تحصل". وافق سموه وجلس يستمع بكل انتباه الى الانتقادات التي ساقها طلال الى أن انتهى، فأجابه رئيس الوزراء بجملة حفرت في وجدانه: "انت تفرحني لانك تكدرني... أغلب من يأتون اليّ يقولون لي أن كل شيء ممتاز، ولا أحد يقول لي أن هناك مشاكل تحتاج الى معالجة، وهذا ما اريد سماعه".

استنتج طلال انه إذا صارحتَ الحاكم بمعلومات صحيحة وبروحية ايجابية لا يسخط مهما تكن هذه المعلومات مزعجة. فالمسؤول يجب ان يعرف الحقيقة، ولكن ليس من باب النميمة او الانتقام بل بنية الاصلاح والانصاف، واستطرد أبوغزاله: "لا اذكر ان حاكماً عربياً صارحته وغضب عليّ، ولم أجد اي مشكلة مع الحكام العرب عندما أكون صريحاً معهم وصادقاً. أنا التقيت، على سبيل المثال، العديد من المسؤولين اللبنانيين منذ ان انطلقت في العمل، وافخر أنى تعرفت عليهم وتكلمت معهم من منطلق الحرص والصدق، فوجدت عندهم التفهم اللازم رغم اختلاف شخصياتهم وسياساتهم. كل رئيس أو مسوؤل في لبنان مختلف عن الآخر، وأحياناً الى حد التعارض التام، لكن شيئاً واحداً يجمعهم ان لا أحد بينهم رفض او يرفض سماع معلومة صحيحة او نصيحة موضوعية".

رأى طلال في عبارة "انت تفرحني لانك تكدرني" المفتاح الذهبي لادارة كل الاعمال على اختلافها، وانعكست هذه العبارة على الطريقة التي يدير فيها مؤسساته وشركاته، وكثيراً ما كرر في هذا المجال: "لا أغضب إذا وضع موظف أمامي حقيقة لا تعجبني او فاتحني بخطأ ما... تعلمتُ أن أكون منفتحاً للاستماع بعناية الى اي انتقاد، وأن أكون في قرارة نفسي مستعداً للتغيير. فإذا فُرضت عليّ معطيات اليوم أقوم بتغيير قرار الأمس. أنا مدين بهذا الامر لرئيس حكومة البحرين فقد تعلمت منه فنون الادارة اضافة الى ما اظهره لي من تفهم ورعاية، وما أحاطني به من تفهم وعناية".

زار طلال أبوغزاله مرة السعودية عام ١٩٧٨من ضمن وفد كويتي كمستشار لكبار رجالات الاعمال الكويتيين، فلفت نظر الامير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض حينذاك، والذي أصبح لاحقاً خادم الحرمين الشريفين، فاستدعاه منفرداً، واقام معه علاقات مميزة استمرت الى أيامنا.

روى أبوغزاله: "منذ المقابلة الاولى معه، لفت نظر الامير شيء في شخصي، فاستدعاني وطلب مني ان اجلس معه في مكتبه. شدّ انتباهي كيف يتعامل هذا الرجل، وهو في قمة السلطة، مع الناس من صغيرهم الى كبيرهم، وكان عندما يدخل شخص عليه يهتم بالاستماع اليه رغم انه كثيراً ما كان يعرف مسبقاً القضية التي سيتم طرحها. اخذتُ عنه الكثير ومنها أهمية القراءة. كان يقرأ كثيراً، ولا ينام قبل ان يطلّع على كل التقارير والاخبار المحلية والعربية والدولية. فاجأني مرة بقوله "محمد السماك أنصفك" في اشارة منه الى مقال كتبه محمد السماك في مجلة لبنانية. وكنت لم اطلع بعد على هذا المقال، ما يدل على حجم القراءات اليومية التي يقدم عليها فهو توقف عند مقال حول شخص لا يعمل في السياسة مثلي نشر في مجلة لبنانية واضاف طلال: "علمني خادم الحرمين الشريفين أهمية القراءَة، وكثيراً ما كان يأخذ بريده معه الى المنزل واعتاد ان يقرأ وهو يحمل بيده قلماً يضع به خطاً تحت الكلمات والعبارات التي تثير اهتمامه. على مثاله صرت كثيراً ما احمل بريدي الى المنزل، أقرأ يومياً أربع ساعات على الاقل للتعلم مثل اي تلميذ في مدرسة، فالعالم والعلم يتطوران بسرعة هائلة وبالتالي عليّ أن أبقي عارفاً بما يحصل في مجال اختصاصاتي. أُراجع ما قرأت، أَقوم بتلخيصه، وأُدون المعلومات من مصادرها. ومع الوقت اعتدت ان أزود المسؤولين في شركاتي خلاصة ما اقرأ واقول لهم: "أنتم صرتم خبراء فلا تحتاجون الى القراءَة، اما انا فما زلت تلميذاً أقرأ وأتعلم".

واثناء عمله في الكويت حدثت مع طلال أبوغزاله قصة غريبة يمكن ان يكون عنوانها "الايمان والقدر". فقد اتصل به في أواخر السبعينات من القرن المنصرم السفير الاميركي

في الكويت ليسأله: "هل لديك خطط لزيارة الولايات المتحدة؟". استفسر طلال عن دواعي السؤال، فأجابه السفير: "أن نيلسون روكفلر، حاكم ولاية نيويورك والمرشح لرئاسة الجمهورية عن الحزب الجمهوري، يرغب بمقابلتك". ضحك طلال وقال له: "لا بدّ ان ثمة خطأ". غير ان جواب السفير كان قاطعاً: "متى تستطيع السفر؟"، أجابه طلال: "على الفور، وليحدد هو المكان والزمان".

جرى تحديد الموعد على الغداء في نيويورك مع الحاكم الذي اظهر اثناء الحديث أنه مطلع على تفاصيل حياة طلال، وفاتحه مباشرة بموضوع الاجتماع وقال له: "عندما التقيت (الرئيس المصري انور السادات) تناقشنا حول مشكلة الديمقراطية والبيروقراطية في مصر، وقررنا اقامة سفينة ضخمة على نهر النيل في مكان من القاهرة خارج نطاق القانون المصري، تكون بمنزلة المنطقة الحرة التي لا تخضع للروتين الاداري وتكفل تصحيح البيروقراطية السائدة، وتوقف انتشار الفساد، وتقدم الخدمات في كل المجالات المالية والادارية على انواعها، لتصبح النموذج الافضل للإصلاح".

ابتسم أبوغزاله وسأله: "حسناً ما هو المطلوب؟"، أجابه روكفلر: "مطلوب أن تنظم دراسة حول كيفية إطلاق المشروع، وان تكون مديره حالما يبدأ بالعمل به". ردّ أبوغزاله: "هل تسمح لي ان اجيب بأني غير مقتنع بهذا المشروع ولن يحقق المبتغى منه".

حدّق روكفلر بطلال مستغرباً ردة فعله فواصل أبوغزاله كلامه: "اليكم ما سوف يحدث. ان البيروقراطية مهما جاهدتم للتخلص منها ستلاحق هذا المشروع وهو على ظهر تلك السفينة. وعلى سبيل المثال: هل من الممكن منح تاشيرة سفر لاي شخص من دون الرجوع الى وزارة الداخلية؟ بالطبع لا. وهل يمكن للسفينة استيراد اي تجهيزات من دون المرور عبر الجمارك؟ لا. وهل من الممكن منح رخصة عمل من دون أخذ موافقة وزارة العمل؟ لا اعتقد".

اعترض روكفلر على كلام طلال وقال له: "انت مخطىء، شاركني في هذا المشروع وسترى!". ضحك أبوغزاله وأجابه: "لم اسمع في حياتي عن بعوضة تشارك فيلاً (والفيل هو رمز الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة)، فكيف لي انا الشخص الضعيف ان اشارك نيلسون روكفلر فهذا امر غير منطقي؟". علق روكفلر: "دعني اقول لك ان البعوضة اقوى من الفيل... ضعهما معاً في غرفة واحدة مغلقة: البعوضة ستطير وتلهو وتدور حول رأس الفيل، وتوخزه في اذنه او عينه، والفيل لن يستطيع فعل شيء سوى تحريك رأسه انزعاجاً يمنة ويسرة...".

رغم جواب روكفلر الذي ينّم عن حنكة كبيرة، أومأ أبوغزاله برأسه اشارة برفض عرض الشراكة لعدم اقتناعه بواقعية المشروع، وشرح موقفه من حلّ مشكلة البيروقراطية في مصر التي تستوجب تطوير النظام الاداري، وايجاد الاشخاص الاصلاحيين، ولا يحل المشكلة مجرد قيام سوق حرة في نهر النيل على متن باخرة. ردّ عليه روكفلر: "انا غير متفق معك، على اي حال سنلتقي انا وانت بعد عشرين سنة"، ونظر الى من حوله وأضاف: "هؤلاء لن يكونوا موجودين لسبب بسيط أنى راجعت ملفك فوجدت ان والدك عاش ١٠٧ سنوات، ووالدي عمّر ٩٧ سنة، فمن الناحية الوراثية كلانا حصل على شريان حياة طويل وسنلتقي بعد عشرين سنة".

لم يطب كلام روكفلر لطلال فأجابه: "انا انسان مؤمن، وقد توافينا المنية بأي لحظة، ان الله حدد لكل انسان ساعته، وان الاعمار بيده". وانتهى الاجتماع من دون اي اتفاق.

غادر طلال نيويورك الى الكويت عن طريق لندن، وهاتف زوجته صباح اليوم التالي وطلب منها ان تُعلم السفارة الاميركية في الكويت انه سيحضر العشاء المعدّ على شرف دافيد روكفلر، شقيق نيلسون روكفلر ورئيس مجلس ادارة تشيز مانهاتن بنك ففاجأته زوجته بالقول: "ألم تعلم ان نيلسون روكفلر قد توفي وأُلغي العشاء؟". لم يصدق طلال ما سمع، وقال لزوجته: "كنت معه على الغداء عصر أمس"، فاجابته نهى: "توفي بجلطة دماغية ليلة أمس". أغلق أبوغزاله خط التلفون، وراح يتأمل بكلام نيلسون روكفلر الذي كان يحدثه عن لقاء بينهما بعد عشرين سنة!

وعلى الرغم من فشل اللقاء مع مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة الاميركية، فإن طلال تعلم درسين: الدرس الاول، ان معتقداته الدينية صحيحة وهي أهم من علم الوراثة الذي ينادي به روكفلر، والدرس الثاني، ان البعوضة يمكنها ان تتغلب على الفيل. وقد ساعده الدرس الاخير في العديد من الحالات على مواجهة شركات أكبر منه شرط أن يتحرك وينكز ويهاجم ويدور في كل الاتجاهات، وقال طلال في سره: "عليّ أن أكون بعوضة تتحدى الفيلة".

وطالما ان الشخص بالشخص يُذكر، فقد اجتمع طلال أبوغزاله بأميركي آخر هو رئيس الولايات المتحدة الاميركية السابق جيمي كارتر الذي ترك في ذاكرته صورة مختلفة عما تركه نيلسون روكفلر، وقد حفظ عنه قولاً واحداً: "إذا استعملتَ القوة انتهى مفعولها". ويعلق أبوغزاله على هذا القول: "تعلمت من جيمي كارتر حكمة مهمة وهي ان عظمة القوة تكمن بإظهارها من دون استخدامها... وان القوي الحقيقي هو الذي يملك القوة ولا يلجأ اليها".

وفي موضوع استخدام القوة، تلقى طلال خبر غزو العراق للكويت في ٢ آب ١٩٩٠ وهو في سالزبورغ في اجازة مع عائلته وصديقه عبد اللطيف الحمد، رئيس الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الكويت. أثار هذا الغزو في نفس طلال وصديقه الحزن والقلق: الحزن بأن تجتاح دولة عربية عسكرياً دولة عربية اخرى، والقلق من ان يفسح هذا الاجتياح للدول الكبرى ان تتدخل في كل الشؤون العربية، فيقع العرب تحت قبضة الخارج، ويصابون بالعجز نتيجة الاقتتال فيما بينهم.

في ضوء الاجتياح العراقي اضطر طلال ان ينقل مقر عمله الرئيسي ومقر سكن عائلته من الكويت الى مصر، لكنه لم ينقطع عن الكويت وهي على حد قوله "بمثابة القلب في المؤسسة"، ويشعر وكأنه "مقيم فيها روحياً".

حمّل طلال الغرب مسؤولية ما أصاب الكويت من هذا العدوان، وقال: "إننا لا نريد ابداً ان نجد الاعذار للجرم الذي حصل، ولكن كان بالامكان تجنب هذا الاجتياح لو برزت ارادة دولية حقيقية مانعة بصورة واضحة. وفي المحصلة، نحن دفعنا ثمناً غالياً لن ننساه".

لم يقدر طلال وعائلته على العودة الى الكويت الا بعد ان تشكل ائتلاف دولي وعربي اخرج الجيش العراقي من الكويت بقوة السلاح. ذهل طلال عندما اكتشف ان الجيش العراقي احتل منزله، كالعديد من المنازل الاخرى، وحوّله الى مركز للتعذيب. ولكن المفاجأة الاكبر تمثلت بتصرف شريكه الكويتي الذي استولى على كل ما كان يملكه طلال الذي قرر مواجهته بدل الخنوع امام التسلط. أقام دعوى على شريكه أمام المحاكم الكويتية على الرغم من أن اصدقاءَه نصحوه بأن لا يضيع الوقت والمال لانه لن يحصل على أي نتيجة بواسطة المحاكم بالنظر الى نفوذ شريكه السياسي.

إلّا ان القضاء الكويتي أنصفه ونال ترضية معنوية بالسماح له بأن يفتح مكتباً جديداً بإسمه منفرداً من دون شريك كويتي. رأى طلال بأن هذا الحكم لم ينصفه، لكنه حافظ على ماء وجه المحاكم الكويتية.

## قضية مبدأ وليس قضية ربح وخسارة

قرر أبوغزاله اتخاذ الاردن مقراً دائماً له، واستحصل على التراخيص القانونية، وباشر ببناء مجمع من اربعة ابنية لاقامة شركاته. لكن الاوامر صدرت بوقف البناء بحجة ان المنطقة يجري وضعها "تحت الدراسة". بعدها جاءَه امين مدينة عمان مع ممثلين

عن شركة العبدلي، وهي شركة مساهمة يرأسها بهاء الحريري ابن رفيق الحريري، ليعرضوا عليه بيع عقارات العبدلي متذرعين برغبتهم إقامة مشروع ضخم يخدم المدينة ويتألف من أبراج ومجمعات واسواق وقاعات ومعارض ومراكز تسوق ومسارح.

رفض طلال العروض المتكررة فأسمعوه بأنه سيتم استملاك العقارات بذريعة المنفعة العامة، وجاءَه موفد من الحريري يسأله الى اي حد هو مستعد للرفض، فأجابه طلال: "الى السماء". وشرح موقفه بأن الامر مسألة مبدأ ولا تنفع معه الضغوطات. ورفع بهذا الشأن عدة مذكرات الى المسؤولين الاردنيين يصر فيها على ان الملكية الفردية هي حق مقدس، وهي في حمى القانون، ولا يجوز اجبار اي شخص على التخلي عن ملكيته للآخرين، وان شركة العبدلي لا تنفذ مشروعاً للمنفعة العامة بل هي شركة خاصة تعمل لمنافع خاصة بدعم من تكتل اصحاب الاموال والسلطة.

على الرغم من كل التحذيرات والاتصالات، قررت حكومة معروف البخيت مصادرة اراضي طلال بأبخس الاثمان، فوصف طلال ما حصل بأنه "خطأ فظيع وغير قانوني"، وتقدم بثلاث دعاوى على التوالي لابطال قرار المصادرة لكنه خسرها جميعها.

صحيح ان طلال خسر امام القضاء، وكانت الكلفة المالية كبيرة، غير انه ربح المعركة الشعبية لمجرد انه أقام الدعاوى ودافع عن حقه بوجه اخصام يتمتعون بالمال والنفوذ والحمايات، فكسب عطف الناس واحترامهم. ولا يغيب عن ذهنه رجل الشرطة الذي أوقفه امام الديوان الملكي ليسأله: "هل أنت طلال أبوغزاله؟"، أجابه طلال بالايجاب، فقال له الشرطي: "اسمح لي فقط ان أُسلم عليك وأَشد على يدك". يذكر أبوغزاله هذه القصة ليخلص: "ان مصافحة الشرطي تساوي بالنسبة لي أكثر من كل المال الذي خسرته، انها تعني لي الكثير. ان يكون الانسان محبوباً أهم من ان يكون غنياً او عظيماً".

تخطت قضية أبوغزاله مسألة الاراضي لتسلك منحى سياسياً واخلاقياً. وخاض الاعلام معركة شرسة ليس دفاعاً عن طلال كشخص، بل عن طلال الذي لم يخضع للاكراه وقال أبوغزاله في هذا الشأن: "دافعتُ عن مبادئي واكتسبتُ سمعة الرجل الذي لا يمكن ارهابه او ابتزازه. وكوفئت في ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١٠ عندما صدرت ارادة ملكية بتعييني عضواً في مجلس الاعيان الاردني، غير أنى قدمت استقالتي في تشرين الاول ٢٠١١ احتراماً للتعديلات القانونية التي اشترطت بعضو مجلس الاعيان ان لا يحمل جنسية اخرى في حين أنى احمل الجنسية الكندية تسهيلاً لاعمالي".

وعلى الرغم من استقالتي أصرّ العاهل الاردني على تعيني في ٨ كانون الاول ٢٠١٢ في هيئة العدل والنزاهة مع مجموعة من المهنيين لوضع معايير لضمان الانصاف والحكم الشفاف في البلاد. في المقابل أُعتقل عمر معاني ومدير مشروع العبدلي بملف لا علاقة له بقضيتي وكلاهما في السجن يحاكمان، وأنا اتمتع بالحرية.

بعد مصادرة مكاتبه في منطقة العبدلي في عمان، انتقل أبوغزاله الى منطقة الشميساني حيث مركز الشركة الاقليمي، ويقول في هذا الشأن: ''يأسرني هذا المكان الذي اعتقد انه استوحى اسمه من الشمس الجميلة، فسماؤه دائماً مشمسة وفاتنة توحي بالفرح والسعادة، وهو المكان المناسب لعمل الاقتصاديين والمستثمرين ورجال الاعمال''.

عند ولوج مركز أبوغزاله في منطقة الشميساني يجذب الزائر رقي المكتب وجماله، فلا ضخامة بشعة ولا بريقاً مصطنعاً. تحكي جدران المداخل والقاعات قصة نجاح غير عادية عبر ١٩٠٠ صورة ترسم مسيرة طلال: الطفولة والشباب والرشد والانجازات. كما تظهر الصور شبكة علاقاته مع الملوك والرؤساء والشخصيات الوطنية والسياسية والاقتصادية والمالية الرفيعة في دنيا العرب والعالم. ومن اللافت ان شعار المجموعة TAG-Org مطبوع على بدلات الموظفين الرسمية، واجهزة الكمبيوتر المحمولة، مروراً بسماعات الهواتف الارضية، انتهاءً بفناجين الشاي والقهوة، ما يدل على مدى رغبة أبوغزاله بإبراز صورة المؤسسة العربية الناجحة في كل جوانبها وبكل الاشكال.

يتذمر أبوغزاله من ''الصورة الغالبة في الاذهان بأن الشركات العائلية منتشرة في العالم العربي اكثر من انتشارها في العالم الغربي، غير ان الواقع يثبت وبالارقام ان ثلث الشركات الخمسماية الاكبر في العالم والمدرجة اسهمها في بورصة نيويورك هي شركات عائلية كمثل شركة فورد وهينكل وميرك''، ويستطرد: ''ان الشركات العائلية ممكن ان تكون انجح من الشركات الاخرى شرط ان يعرف اصحابها ان يختاروا الاحسن فيما بينهم لادارتها، وان يعين الشخص المختار موظفين اكفاء من خارج اطار العائلة يسلمهم مقدرات الشركة بمنطق السوق وليس بمنطق العائلة، فلا تقع الشركة ضحية نزوات أصحابها''. لكن طلال يلحظ بأسف ان ٧٠٪ من الشركات العائلية لا تستمر مع الجيل الثاني وحوالي ١٥٪ فقط يستمر مع الجيل الثالث.

وفي الاردن ساهم أبوغزاله بتأسيس ''جمعية الشركات العائلية '' و''مركز حوكمة الشركات العائلية''، ويعد العدة لاطلاقهما خارج الحدود الاردنية بقصد نشر الوعي حول اهمية الدور الذي تلعبه الشركات العائلية في الاقتصاد الدولي، وينصح هذه الشركات

ان تحرص على بناء قدراتها عبر الدراسات والبحوث المتخصصة والورش الفكرية والتدريب المستديم والمثابرة على التجديد.

شكلت الاردن بالنسبة لطلال المحطة الثالثة في حياته بعد لبنان والكويت. ويسجل أبوغزاله: ''ان المحطات الثلاث كانت نعماً علي وأعطتني الكثير وعلمتني الكثير''.

في الاردن كانت تربط طلال بجلالة الملك حسين علاقة خاصة، وكان الملك يستشيره من وقت لآخر. ففي أحد الايام اتصل الديوان الملكي بطلال يطلب منه الحضور على الفور، فغادر مكتبه بسرعة لكنه لم يجد سيارته فوقع نظره على أحد العاملين في الشركة فطلب منه ان ينقله بسيارته، وهي سيارة صينية قديمة وبالكاد تسير. عند باب القصر نظر الحرس الى السيارة مستغربين وتأكدوا ان في داخلها طلال أبوغزاله شخصياً. وقبل ان يدخل مكتب جلالته كان في استقباله مدير التشريفات الذي بادره بالقول: ''واللهِ إنك ذكي هذا أحسن طريقة للامن''، أجابه طلال: ''لا علاقة للسيارة بالامن، هذه أحسن طريقة للوصول فوراً عند جلالته''، فأجابه مدير التشريفات: ''شو هالحكي انت لم تجد الا هذه السيارة؟''.

عندما دخل طلال عند جلالته أخبره بقصة السيارة، فاستغرب الملك حسين ردة فعل مدير التشريفات وقال: ''يعني إذا وصلت بمثل هذه السيارة لن تعود طلال أبوغزاله؟''. فهم طلال قصد الملك بأن الانسان قيمته فيه وليس في السيارة التي يستخدمها، وتعلم درساً بليغاً مفاده ان قيمة الانسان ليست في ماله او منصبه او قصوره، فالانسان قيمة بحد ذاتها، وأضاف طلال: ''اقعدني جلالته الى جانبه، وهو ملك البلاد وانا مواطن عادي، فتعلمت درساً آخر اسمه التواضع. فكل كبير يتواضع يكبر أكثر ويحبه الناس أكثر''. وزاد تعلق طلال بجلالته الذي قال له: ''نحن عارفين ضيق وقتك وأنك مشغول، ولكن نحن لنا حق عليك ان نراك ونأخذ برأيك كلما سنحت ظروفك''. أجابه طلال: ''انا كل وقتي لجلالتكم، وانا مستعد للحضور في اي وقت تشاؤون''، علق جلالته: ''نحن نقدرك ونحب ان نستمع اليك''.

عندما خرج طلال من هذا الاجتماع تأكد له ان العاهل الاردني هو قمة في المحبة والخلق الرفيع، وتعلم منه فضيلة التواضع وقال: ''ان جلالته يحمل الانسان الجالس الى جانبه الى الظن بأنه مساوٍ له، وهو سيد البلاد والعباد، وتعلمت منه ان أحترم كل انسان مهما كان. وانا بطبيعتي اشعر أنى أقرب الى الناس العاديين مني الى أهل السلطة والمال، وافرح عندما أسلم عليهم في الشارع. ويردون لي التحية بمثلها''.

أما في العمل فإن أبوغزاله حاسم وصارم والعاملون معه الابعدون منهم كالأقربين يطلقون عليه تسمية ''المعلم''، والحقيقة ان طلال أبوغزاله يرى في هذه التسمية دوره الحقيقي، فهو لا يدير الشركات مباشرة، بل يترك الامر الى المديرين من ابنائه أو غير ابنائه على قاعدة الاستقلالية الادارية، وتتم المحاسبة لاحقاً على النتائج. اما دوره فيقتصر على الرؤية والتوجيهات والاقتراحات، وهو بالضبط دور ''المعلم''، ولا مبرر في ظنه بأن يحل ''المعلم'' محل الادارة او تصبح الادارة ''بلا معلم''.

يدرك أبوغزاله انه بقدر ما تتعدد شركاته وتتوسع، بقدر ما يصبح دور ''المعلم'' لزوم ما يلزم، ودور الادارة المستقلة ضرورة لنجاح المشاريع. صحيح ان الكل يطيعون قرار ''المعلم'' لكنه كثيراً ما ينتدب صلاحياته لاصحاب الكفاءَة من العاملين معه. ان حركة اسفاره المستمرة من بلد الى بلد، بحيث يقضي أحياناً بضع ساعات فقط في البلد الواحد، لا تسمح له بمتابعة تفاصيل شركاته ومشاكلها، فبرنامج يومه يحتسب بالدقائق. لا يتدخل في تفاصيل الشؤون الادارية لشركاته الا حين يكون الامر ذات اهمية قصوى او بناء على طلب العاملين فيها. جلّ سعادته ان يعمل على الدوام، وأحلى ما في العمل بالنسبة له هو الانتاج والابداع والتفوق وحل المشاكل المستعصية.

وليس مستغرباً ان يقول فيه أحد القادة العرب: ''انت تمثل منفرداً الجامعة العربية مجتمعة لانك موجود في كل قطر عربي وكل مدينة عربية''. ومن المعروف ان طلال أبوغزاله يعامل وكأنه ابن البلد الذي يزوره. فهو مصري عندما يزور مكتبه في ''القرية الذكية'' في مصر، وكل العاملين لديه مصريون، وكذلك في مكاتبه بلبنان وتونس واليمن والسعودية والكويت وقطر وغيرها من الدول العربية. لا يشعر بالغربة، فهو عروبي وتربى على الاخلاق العربية، ويرى ارتباطه بأمته العربية نعمة عظيمة.

والتزاماً بعروبته ينظم أبوغزاله احتفالية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية الذي يصادف في ١٨ كانون الاول من كل سنة، وهو اليوم الذي اتخذت فيه الجمعية العمومية للامم المتحدة قراراً بادخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية، وباتت احدى لغات العمل في الامم المتحدة.

لفت طلال في ٢١ كانون الاول ٢٠١٥ الى ''اننا امام هجمة كبيرة ضد اللغة العربية بقصد تشويهها''، وأطلق حملة ''لغتي العربية'' التي ترمي الى ''مواجهة المخاطر التي تهدد اللغة العربية على الانترنت، ودعا الى الامتناع عن استخدام ''العربيزي'' مشدداً على ان اللغة العربية عاشت وبقيت لانها لغة القرآن الكريم... وان لغتنا هي هويتنا''.

واتخذ أبوغزاله موقفاً مميزاً ازاء ما سُمي بـ "الربيع العربي" فقال: "ان ما نمر به الآن مرت به اوروبا في عصر الانحطاط، وما نراه الآن من قطع الرؤوس رأيناه سابقاً في فرنسا ايام الثورة الفرنسية حين كانت تستخدم المقصلة لقطع الرؤوس، والفارق ليس كبيراً بين السكين والمقصلة. فلا يزاود أحد علينا ويدعي ان هذه نهاية الوطن العربي، وانما نحن على مشارف نهضة جديدة، والوطن العربي سيتخطى هذا الانحطاط، وسيبزغ فجر عربي جديد".

وفي لقاء له في أبو ظبي في تشرين الثاني ٢٠١١، أعلن طلال أبوغزاله ان ما تشهده بعض البلاد العربية هو "نهضة عربية وليس ربيعاً كما يسوق الاعلام الغربي لان الربيع قد ينتقل الى ضده او اسوأ منه"، وشرح وجهة نظره: "نحن امام مرحلة تحول حقيقية تبدأ بفترة من المعاناة القاسية ندفع خلالها اثماناً كثيرة وكبيرة، فقد استمرت فرنسا تعاني طوال ثلاثين سنة من حروب اهلية مدمرة بعد اندلاع الثورة الفرنسية. كما بقيت المانيا مقسمة الى دويلات متقاتلة لسنوات طويلة وبين ليلة وضحاها توحدت. وعانت اميركا حرب المئة عام قبل ان تصبح الولايات المتحدة الأميركية. ولا اتصور ان ما يحدث عربياً سيستغرق ثلاثين او مئة سنة".

يعدد أبوغزاله الاسباب التي أدت وتؤدي الى الثورات مثل "الشعور بالمهانة والاضطهاد والظلم والفساد المالي والفوارق الاقتصادية والاجتماعية، والفساد هو من اهم اسباب الثورات، سواء كانت الدولة غنية أو فقيرة، فأن مطلب المواطن في كل ارجاء العالم ان تتم مكافحة الفساد والتخفيف منه الى الحد الأدنى".

واشار أبوغزاله الى "وجود جهات ما زالت تعمل للعودة بالامور الى الوراء لصالح الانظمة المنتهية، كما تعمل دول أجنبية لتوظيف هذه الثورات لصالحها، اضافة الى البعد الاسوأ وهو أن دولة الاحتلال تعمل لتصب كل سياسات الغرب في مصلحتها".

تعهد أبوغزاله بأن كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في ادارة الاعمال ستطرح قريباً "برنامجاً أكاديمياً لكيفية محاربة الفساد ووضع اجراءات استباقية لمنعه". وأكد: "ان التحول في مصر هو مؤشر هام، ومصر هي المقياس، وما يحصل الان صحي جداً وسيفيد كل الدول العربية، لان التغيير عملية عضوية معقدة وطويلة المدى لكنها تصل بنا في المحصلة الى النهضة العربية المرجوة، كما نهضت اوروبا وقضت على حقبتها السوداء".

ولاحظ أبوغزاله: "ان كل المطالبات تبدو في ظاهرها سياسية، مع أن المطلوب هو إيلاء الاهمية القصوى للبعد الاقتصادي، واستغرب مواقف قادة الفكر الذين لم يوجهوا اهتمامهم بالقدر الكافي الى الاقتصاد، مع العلم ان مصر ستكون من اهم اقتصادات المنطقة، وتمتلك قدرات واعدة لم تتم الاستفادة منها نتيجة الفساد الذي يغذي العنف ويتسبب بمعظم مشاكل المواطنين".

لفت طلال الى بعض الدراسات التي صدرت عن صندوق النقد الدولي والتي تشير الى "ان المستقبل هو للدول الاكثر سكاناً"، وقد دخل العالم في عصر المعرفة، والاقتصادات الصاعدة هي الهند والبرازيل والصين وروسيا. وقد احتلت الصين موقع ثالث أكبر اقتصاد في العالم، وروسيا ثاني أكبر منتج للنفط، وعلى صعيد اقليمي تطمح تركيا لتصبح رقم ١٦ عالمياً لما لديها من كثافة سكانية".

وعن الاولويات قال أبوغزاله: "علينا ان نركز على التعليم"، وثمّن قرارات قادة دول مجلس التعاون الخليجي الذين خصصوا في موازنات دولهم ٢٠ في المئة من الدخل القومي للتعليم والتأهيل وبناء القدرات، وقال: "اننا ننظر الى هذه القرارات الحكيمة بكثير من التفاؤل".

وتقدم أبوغزاله بمداخلة اساسية في مؤتمر "المنظمة العربية للتنمية الادارية" الذي انعقد في القاهرة ما بين ١٥ و١٧ كانون الاول ٢٠١٥ تحت عنوان: "رؤية عربية في اعقاب الاضطرابات في المنطقة"، أشار فيها الى ان الاضطرابات التي شهدتها السنوات الخمس الاخيرة فيما سمي بـ "الربيع العربي" ناتجة عن "حدة الازمات التي تعانيها الاقتصادات العربية وتداعياتها على الاوضاع الاجتماعية والسياسية"، ودعا الى "كشف مواطن القصور والخلل التي ادت الى نشوب هذه الاضطرابات"، وتساءل: "هل كانت هذه الاحداث فرصة ام نقمة؟".

تمسك طلال بنظرته المتفائلة ونادى "بجدوى التفكير بكتلة اقتصادية عربية قائمة على التكامل بين اقطارنا، تخرجنا من حالة الانكفاء القطري والتفكك الى افق نهضة نوعية... وتكوين كيان قيادي عربي مؤثر في العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية، وقادر على المنافسة الندية وسط عالم تغطي قاراته تكتلات اقتصادية دولية قوية".

وتوسع أبوغزاله في الكلام عن مقومات التكامل العربي، فاشار: "ان هذا التكامل قد لا يتوافر لمجتمعات اخرى في العالم بمثل ما يتوافر لدينا". وشدد على ان الشعوب العربية تجمعها "وحدة اللغة والتاريخ والبيئة الاجتماعية والجغرافية المتصلة"، ويشكل العالم العربي ١٠,٢٪ من مساحة العالم، ويقيم فيه ٥٪ من سكان العالم، وتمتلك اقطاره موارد وثروات طبيعية متنوعة فضلاً من رؤوس اموال بشرية ومادية كبيرة. وأكد طلال على انه لا بدّ من "رؤية واضحة تحفظ الحرية الاقتصادية للمجتمعات، وتحقق العدالة، وتلبي الحاجات الاساسية للافراد، وتنعكس حتماً على رفع مستوى المعيشة وزيادة معدلات النمو".

وتوقف أبوغزاله عند مشكلتي الفقر والبطالة ووصفهما بـ"القنابل الموقوتة"، "والتحديات الخطيرة في الحاضر والمستقبل"، ولحظ ان الدول العربية هي بين الدول الاعلى في ارتفاع معدلات البطالة التي بلغت فيها ١٧,٥٠٠,٠٠٠ (سبعة عشر مليون وخمسماية الف) شخص عام ٢٠١٢، ما يعادل ثلاثة اضعاف متوسط معدل البطالة في العالم الذي يبلغ ٥,٩ ٪، ناهيك عن "ضغوطات التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية من الخارج، ما يعمق السلبيات في اداء الاقتصاد العربي".

واستعرض طلال شروط التنمية المستدامة فأكد على رؤيته بضرورة التخطيط لمشاريع عربية كبيرة وتنفيذها، والاعتماد على منظومة الطاقة البديلة كالشمس والرياح والصخر الزيتي وتحلية المياه، وانشاء السدود والخزانات، وربط التنمية المستدامة بتطوير وتعزيز الامن الغذائي، والتعاون في مجال الاستثمار الزراعي، واستصلاح الاراضي للزراعة، وتقليل الاعتماد على الاسواق الخارجية.

ووصل طلال الى بيت القصيد وهو حث الدول العربية على اعتماد اقتصاد المعرفة والبيانات كركيزة للتطوير، والاهتمام الجدي والدائم بتأمين المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية في كل دولة عربية، وتوحيد العمل الاحصائي فيها وتطويره ليحاكي الواقع كما هو، فيشير الرقم المتداول به الى حقيقة قائمة ولا يبقى مجرد وجهة نظر.

ومن دون مقدمات انتقل أبوغزاله في حديثه في مؤتمر القاهرة الى قطاع التجارة الالكترونية وكأنه من البديهيات، فأشار الى ان هذا القطاع نما في العام ٢٠١٢ بمعدل ٣٠٠٪ في دول الخليج العربي و١٩٠٪ في منطقة الشرق الاوسط، ما يقتضي اصدار حزمة من التشريعات والقوانين الناظمة له، وايجاد منظومة متجانسة الكترونياً بين الدول العربية. كما يقتضي ادخال جملة من الاصلاحات التطويرية في القطاع الصحي، واصلاح الانظمة التعليمية، وايجاد سياسات تعليم عربية مشتركة تلائم بين التعليم واسواق العمل، والاقلاع عن التعليم التقليدي والتوجه الى التعليم الالكتروني، اضافة الى اجراء اصلاح ضريبي يدفع بعجلة النمو الاقتصادي مع مراعاة الفئات الاجتماعية الاكثر حاجة احقاقاً للعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للدخل الوطني، والتقليل من تمركز الثروات في ايدي قلة وحرمان الكثرة منها. وخلص أبوغزاله الى القول: "ان ايجاد آليات ملائمة لحماية الفئات الفقيرة والمتضررة من السياسات الاقتصادية هو من الاولويات لحل جزء كبير من مشكلتي الفقر والبطالة".

هذه معالم الرؤية التي قدمها أبوغزاله في مؤتمر القاهرة عام ٢٠١٥ لتجاوز تداعيات الربيع العربي عن طريق "تحقيق فرص التنمية والتشغيل للاجيال القادمة، وتوزيع ثمار التنمية على جميع البلدان العربية وكافة فئات المجتمع داخل كل دولة، واعتماد استراتيجية عربية لضمان تحقيق معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي فيفوق معدل النمو السكّاني، وإنشاء بنك عربيّ يمول مختلف المشاريع الكبيرة داخل كل دولة عربية والمشاريع المشتركة فيما بينها، ووضع خطط على المدى القصير والطويل لتوفير فرص العمل، وتخفيض معدلات البطالة المقنعة، وضبط استقرار الاسعار وميزان المدفوعات الخارجية، فضلاً عن حماية البيئة والحفاظ على نوعية الحياة لاجيالنا القادمة".

ويذكر طلال انه شارك في الثمانينات من القرن الماضي بندوة في واشنطن حول تعريف مفهوم القوة، وكانت النتيجة ان القوة الحقيقية هي الاقتصادية وليس العسكرية، وتبين لاحقاً صحة هذه المقولة بانهيار الاتحاد السوفياتي، الذي كان ضحية لعبة امريكية ذكية أَوحت له بأن من يملك السلاح يملك القوة، فوجهت موسكو قدراتها المالية لانتاج السلاح وكدست كميّات هائلة منه، بينما اقتصادها كان ينهار فسقطت في المصيدة.

من جهتها تعلمت الصين درس الاتحاد السوفياتي فلم تدخل في سباق التسلح. اما روسيا فاحتلت من جديد موقعاً متقدماً حين تحولت الى الدولة الاولى المصدّرة للنفط واصبحت الى جانب الولايات المتحدة واليابان والبرازيل والهند والصين في طليعة الدول التي ستدير العالم في المستقبل المنظور. وقد شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية مرحلتين: مرحلة الحرب الباردة في ظل الثنائية الاميركية -السوفياتية وانتهت مع سقوط الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٩، ومرحلة الاحادية الاميركية التي انتهت بدورها مع شن واشنطن الحرب على العراق واندلاع ما سمي بـ "الربيع العربي" وبروز الحركات التكفيرية في العقد الاول من القرن الواحد والعشرين. وبات العالم على مشارف مرحلة ثالثة يتشكل خلالها نظام عالمي تعددي جديد هو أكثر توازناً، وأكثر احتراماً لخصوصيات الشعوب ومصالحها، وأكثر تقبلاً لتوق شعوب المنطقة والعالم الى الحريات والعدالة.

وفي كل مرة يدور الحديث امامه عن "الربيع العربي" يرد أبوغزاله بالتأكيد اننا على مشارف "نهضة عربية" خلافاً لما يسوقه الاعلام الغربي بأننا "امة تافهة وارهابية وغير صالحة" متناسيين ما حصل في الغرب من اقتتال وتطاحن وحروب". ويرى أبوغزاله ان حقيقة ما حصل ويحصل في المنطقة العربية مرده الى "ان قوى الاستعمار اقامت ما أسمته بـ "دولة اسرائيل" في فلسطين وهي في الواقع "دولة احتلال"، وتواطأ العالم باسره للاعتراف بها وشرعنتها في الامم المتحدة لصالح جماعة مغتصبة على

حساب جماعة تعيش على ارض وطنها. قيام "دولة الاحتلال" على ارض فلسطين هو السبب الرئيسي لكل الغضب والثورات والعنف والارهاب الذي يَشهده الشرق الاوسط والعالم. ويؤكد طلال: "كل من يقول ان ما يحدث حالياً في العالم العربي لا علاقة له باحتلال فلسطين هو ظالم او جاهل".

أخبرني طلال انه اطلع على بعض التقارير الاميركية التي تشير بوضوح "ان اتفاقاً جرى بين العدو الصهيوني والمنظمات الارهابية الاسلامية برعاية خارجية لتفجير الاوضاع العربية بتخطيط مسبق، سواء بصورة مباشرة أو عن طريق الوسطاء".

ووسع طلال بحثه فقال: "من وجهة نظري ان "دولة الاحتلال" تعمدت تحطيم قدرات الامة العربية ومعنوياتها، واشعارها بالضياع واليأس ليصبح اهلها ناقمين ومحبطين ويائسين فيخرج منهم ارهابيون. وما تمر به الامة في الوقت الحاضر بدأ مع احتلال فلسطين، وكل محاولة للقفز عن هذه الحقيقة او تناسيها او نسيانها والادعاء بأن العرب يعانون من مشكلة فيما بينهم لا علاقة لاسرائيل بها هو محض تجنٍ على الحق والحقيقة. ان قرار انشاء دولة الاحتلال كان الغرض منه ان نصل الى ما وصلنا اليه. واقصد ان اجهزة خارجية عملت مع بعض دول المنطقة بتخطيط اسرائيلي للوصول الى حالات الفوضى والتطرف التي تشهدها المنطقة العربية والتي لا صلة لها بالعقل العربي ولا بالتاريخ العربي ولا بالحضارة العربية".

يتذكر طلال أبوغزاله في هذا السياق انه شارك في نهاية الثمانينات في القرن العشرين بمؤتمر البنك الدولي السنوي الذي انعقد في مدينة ليون الفرنسية. وتكلم قبله في ختام المؤتمر رئيس المؤتمر وكان بالطبع فرنسياً بحكم ان المؤتمر معقود في فرنسا، وقارن بين الحضارتين الغربية والعربية، ورأى ان الفارق بينهما هو ان الحضارة الغربية هي "حضارة براغماتية" في حين ان الحضارة العربية هي "حضارة شمّ"، وليست حضارة عملية ولا واقعية.

ثارت ثائرة الوفود العربية وكادوا ان ينسحبوا من المؤتمر، فرجوتهم ان يبقوا ويسمعوا ردي، وإذا لم يفِ بالغرض بمقدورهم ان ينسحبوا بعده. وكان طلال آخر المتكلمين فخاطب المؤتمرين بقوله: "انا اؤيد كلام من سبقني بأن الحضارة الاوروبية هي حضارة براغماتية ويفتخر الغرب بهذه الصفة لانه يعني الواقعية. اما حضارتنا العربية فهي فعلاً "حضارة شمّ" بمعنى انها حضارة فيها احساس وشعور، وأنها حضارة تستوحي المبادىء والقيم. ومن يدعي ان الحضارة العربية هي اقل شأناً او مرتبة من الحضارة

الغربية اجيبه على الفور: "نحن نفتخر بأن حضارتنا ليست براغماتية. نحن نميز بين ما هو تقدم وما هو تطور، الحضارة الغربية هي حضارة واقعية تفتش عن التطور وعما هو جديد ولا تأخذ بالاعتبار الا الواقع مهما تكن الانعكاسات، اما حضارتنا فهي حضارة تسعى وراء ما هو أفضل وأحسن اخلاقياً وليس ما هو جديد فحسب".

وتوجه طلال مباشرة الى رئيس المؤتمر الذي سبقه في الكلام فقال له: "بالنيابة عن الوفود العربية المشاركة، ارجو ان تدرك جوهر هذه المقارنة، وأن تُقارب حضارتنا باحترام وتقدير وتعطيها قيمتها الحقيقية، لا سيما وأنها اساس حضارتكم التي تحولت الى حضارة براغماتية. فمن يتكلم عن حضارتنا يجب ان يتذكر اننا نحن الذين أسسنا العلوم والفنون والثقافة والآداب الراقية على اختلافها".

ما ان انتهى طلال من الكلام حتى أعلن رئيس المؤتمر بأنه سيسمح لنفسه بأن يعلق على كلام أبوغزاله من خارج جدول الاعمال وقال: "اقرّ امامكم بأني تعلمت اليوم درساً جديداً، وأشكر أبوغزاله على هذا الدرس الذي اعطاني اياه، وأرى ان كل ما قاله هو صحيح، واطلب من الوفود العربية ان تعذرني عن الخطأ الذي ارتكبته عن غير قصد".

بعد هذا الاستطراد عاد طلال الى موضوع "الربيع العربي" فقال: "ما اريد ان اشدد عليه ان كل الدول العربية ومن دون اي استثناء هي ضحية ولم تكن متواطئة. فالاجتهادات كثيرة في هذا المجال انما رأيي ان بعض الدول العربية وُرطت من قبل مراكز الاستخبارات والعملاء الذين اشتغلوا لصالح "دولة الاحتلال"، وأعلن بقناعة تامة: "لا اصدق ان دولة عربية تقوم عن سوء نية بالاساءة الى دولة عربية اخرى، ولكن ما اصدقه ان الدول العربية تؤخذ أحياناً بمعطيات وتحاليل وحجج تأتيها من الخارج وتقنعها بأمر ما، كما حصل مع صدام حسين قبل اجتياحه الكويت. ولا مجال لان ندافع عن صدام حسين او نؤيده، لكنه أُقنع كما أُقنع الطرف الكويتي بنظريات متناقضة اثارت الحرب بينهما فذهبا الطرفان ضحيتها. كل الدول العربية ضحية، وكل الشعوب العربية ضحية ايضاً. وليس هناك انسان عربي يكره انساناً عربياً لمجرد انه عربي، وانما لانه خضع لايحاءات ومعلومات خاطئة، وصُور له ان العربي الآخر هو عدوه وانه يرغب بالقضاء عليه او الاساءة إليه. هذه المؤامرة تستهدف كل الدول العربية من شمال افريقيا الى اليمن، وقد خُطط لها اسرائيلياً ونفذتها الاجهزة الغربية العالمية. وليس عندي أدنى شك في هذا الموضوع، وانا لا اسيق اقوالي على قاعدة الاجتهادات والتحاليل، بل اسندها الى ما كتب في مراكز التحاليل الغربية".

أخبرني طلال انه زار واشنطن في ايلول ٢٠١١، وكان لم يمضِ على الاضطرابات العربية سوى بضعة أشهر، والتقى خبيرة تابعة "لمجلس الشؤون الخارجية" فقالت له: "أليس الحل الافضل هو تقسيم العراق؟ وأليس من الافضل تقسيم الدول العربية فتهتم كل دولة بطائفتها ومجتمعها؟". كما أخبرني انه اطلع على دراسة اميركية تطرح سؤالاً محورياً: "لماذا لا نعطي الفرصة " للاسلاموقراطية" اي "الديمقراطية الاسلامية"؟ وأردف طلال: "هل من باب الصدف ان نسمع بعد ذلك من يريد ان يقيم ما يسمى بـ "الدولة الاسلامية"؟ ويجيب: "انا اقول ان كل هؤلاء هم ضحايا مخطط اسرائيلي موجه ضدهم جميعاً. انا لا الوم الولايات المتحدة ولا فرنسا ولا بريطانيا ولا أحد، ولا أفقد البوصلة. انا ليس عندي في العالم سوى عدو واحد هو اسرائيل، فهي السبب في كل ما يجري، وهذا العدو استخدم كل ما يملك من ادوات واساليب بقصد تدمير هذه المنطقة".

لم يأخذ طلال برهة للتنفس وتابع بثقة: "لا يقلقني التدمير، ولا يقلقني القتل. انا عمري ٨٠ سنة، يمكن غداً ان انام ولا استفيق. القضية لا علاقة لها بشخصي، انها تتعلق بالتاريخ والمستقبل. في الشرق الاوسط الكثير من الدول والقليل من الحضارات: مصر، العراق، إيران هي حضارات تاريخية لا يمكن تناسيها كما لا يمكن القضاء عليها. قد تمر احياناً بمصائب ونكسات لكنها تستمر وتنتصر. انا مؤمن بأننا سننهض لا بل سنقود العالم من جديد. ويدرك الصهاينة انه عندما يصحو العرب من غيبوبتهم فانهم قادرون ان يسترجعوا في سنين ما سلب منهم في قرون".

وكي لا يبدو كلامه أقرب الى الاحلام منه الى الواقع استطرد طلال شارحاً: "فرصتنا التاريخية اننا نعيش عصر المعرفة. وطالما انا والاميركي والالماني والياباني متساوون وما عندي عقدة من أحد، انا قادر ان اتفوق كانسان عربي حَكَمَ العالم. ولا يجوز ان يغيب عن ذهننا اننا قدنا العالم طوال خمسماية سنة. وأعجب لان أحداً لا يتطرق لهذا الموضوع رغم انه الاساس والمحرك، والجميع لا يركزون إلا على موضوع الدولة الاسلامية!".

ويظهر الغضب على محيا طلال: "عيب ان نستخدم عبارة "الدولة الاسلامية"، ولماذا لا نقول صراحة: "الدولة الارهابية"؟ ولماذا نستخدم عبارة صنعتها دولة الاحتلال وروجت لها على اساس ان "الدولة اسلامية" تعني "الدولة الارهابية"؟ لقد تعمدت دولة الاحتلال الخلط بين الاسلام والارهاب، واظهار الاسلام بمظهر الارهاب. فاذا سميتُ نفسي امبراطور الامة العربية، فهل تعطيني لقب امبراطور ام تقول عني أنى مجنون؟ لماذا نوافق على ما تدعي به دولة الاحتلال ونسوق لها الاسم الذي اختارته؟ هذا جزء من المؤامرة، والاسرائيليون سباقون في اللعب على الكلمات والتعابير واللغة".

عند هذا الحد يتذكر طلال انه كان مجتمعاً يوماً مع ياسر عرفات في تونس، وكانت المفاوضات جارية مع الاسرائيليين في اوسلو عندما تلقى الرئيس الفلسطيني مخابرة من الوفد الفلسطيني مفادها ان اتفاقية اوسلو متوقفة على كلمة، فسألهم ياسر عرفات: ''ما هي هذه الكلمة؟'' أجابوه: ''الكلمة هي القول بالسلطة الفلسطينية ام بالسلطة الوطنية الفلسطينية؟ والجانب الاسرائيلي مصر على عبارة ''السلطة الفلسطينية''، ونحن مصرون على عبارة ''السلطة الوطنية الفلسطينية''. وكان جواب ابو عمار عن حسن نية: ''فليقولوا ما يريدون، نحن سلطة وطنية غصباً عنهم''.

استنتج طلال: ''الاسرائيليون يهتمون بالكلمة. فهم لا يقولون ابداً ''الدولة الفلسطينية'' او ''الشعب الفلسطيني''، ولا يستخدمون هذه العبارات بل يصرون على تعابير أخرى: ''الفلسطينيون''، أو ''الارهابيون الفلسطينيون'' او ''المجرمون الفلسطينيون''. فهم لا يقبلون بتصنيفاتنا، أما نحن فوافقنا على عبارة ''دولة اسرائيل''، في حين انا أصر على عبارة ''دولة الاحتلال''، والاحتلال يجب ان يزول. وفي الواقع ليس هناك ''دولة اسرائيل''، ولا يمكن ان تسمى دولة وهي لا تملك دستوراً، ولا تملك حدوداً، ولا تملك تعريفاً للمواطن. من المعيب ان نسميها في الاصل ''دولة'' فهذه التسمية منافية للعلم والمنطق والقانون. إذا كان هناك دولة فاين خارطتها؟ واين دستورها؟ هناك قانون واحد يعملون به: حق عودة يهود العالم الى اسرائيل. ولا تعريف للمواطن لأنهم يريدون في المحصلة ''دولة يهودية''. أما من جهتنا فنحن نسوق لما يريدون، وهم يزورون التاريخ والحقائق. لقد بدلوا كل اسماء الطرق والمدن في فلسطين وأطلقوا عليها اسماء عبرية. ونحن نستخدم الاسماء التي اختلقوها!''.

بعد هذا الشرح رأى طلال انه لا بدّ من عودة الى البدء فأكد: ''نحن لدينا عدو واحد. واللهِ، لو لم يقم الاحتلال الاسرائيلي لما كنا اليوم على ما نحن فيه! المؤامرة بدأت مع اعلان الدولة الاسرائيلية، وما يجري في العالم العربي في الحاضر هو تخطيط اسرائيلي. هذا ليس كلامي، بل هذا كلام مراكز الدراسات والمخابرات العالمية التي تديرها اسرائيل ومنها كلام وزيرة الخارجية الاميركية السابقة كونداليزا رايس حول ''الفوضى الخلاقة''، وتصريحات الادارة الاميركية بأن ''اميركا ليست متأكدة ان سوريا

قادرة ان تستمر كدولة واحدة"، اضافة الى هذه المواقف فقد منحت الولايات المتحدة اسرائيل عام ٢٠١٦ مبلغ ٦٨ مليار دولار لفترة العشر سنوات المقبلة، والاهم ان الدولتين وقعا اتفاق "تعاون تكنولوجي" يتيح للعدو ان يستخدم الاختراعات الاميركية من دون اخلال بحقوق الملكية الفكرية، فكل ما يتم اختراعه في الولايات المتحدة يمكن لاسرائيل ان تأخذه وتستخدمه من دون مقابل وتدعي انها ابدعته. والحقيقة ان هذا الامر لا ابداع فيه، بل هو تزوير لحقوق الملكية الفكرية. وقد صدر مؤخراً تقرير عن البيت الابيض يتكلم عن " قرصنة" الدول العربية، ولا يتطرق الى "القرصنة الاسرائيلية المستدامة".

وختم طلال حديثه الطويل بالتأكيد مجدداً على "ان كل مشاكلنا في العالم العربي بدأت باحتلال فلسطين، وكل ما يحصل في الوقت الراهن سببه استمرار هذا الاحتلال. وكل ما نعيشه من ويلات هي صناعة اسرائيلية، وسننتصر على مشاكلنا عندما ننتصر على الاحتلال الذي يعمل بكل قواه لتدمير كل قوانا الذاتية. الولايات المتحدة ليست عدوتنا، ولا بريطانيا، ولا فرنسا، ولا إيران، ولا تركيا، ولا باقي دول العالم. عدوي الاوحد هو اسرائيل. بالطبع لا ابرىء الغرب من افعاله، لكن الغرب ليس عدوي فهو ضحية التضليل الاسرائيلي، وعليّ ان احاوره وأدله الى الحقائق. بالنسبة لي السعودي واللبناني والمصري وكل عربي هو كالفلسطيني".

وانتهى طلال على عادته متفائلاً: "اتكلم عن مؤامرة واقعية وليس عن نظرية المؤامرة. ولكن ليس لدي أدني شك بأننا سننتصر على هذه المؤامرة، وسننتصر على العدو، فننتقل الى عصر النهضة العربية الذي يشكل نهاية إسرائيل".

صحيح ان طلال أبوغزاله هو رجل تسكنه المعرفة وصاحب رؤية مستقبلية، لكن الصحيح ايضاً انه مؤمن ايماناً لا يتزحزح ان العرب لمنتصرون وان دولة الاحتلال الى زوال مهما طال الزمن.

# الخاتمة

# قالوا في طلال أبوغزاله

## حين تُكرَّم وأنت على قيد الحياة... تابع العمل!

على مشارف الثمانين يبدو طلال أبوغزاله كأنه في الستين من العمر، ينشط في ميادين عديدة، ويعمل على مدار الساعة، ويجد متعته في الابداع اليومي والانتاج المستمر، وهو على سفر دائم. يذكرني طلال بقول الفيلسوف الروماني لوسيوس سيناك: "احياناً لا يقدم المرء على بعض الامور لانها تبدو له صعبة، لكن الامور تبدو صعبة لان المرء لم يقدم عليها". اما طلال فانه يقدم على كل شيء، ولا شيء عنده صعب.

واجه الصعوبات على صغر، وهانت عليه على كبر. فالحياة في نظره، عمل مستمر، والعمل بحاجة الى القدرة الجسدية التي تنمي القدرات العقلية على قاعدة العقل السليم في الجسم السليم وصولاً الى المعرفة. وبالاذن من الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، أقول في خطى طلال: انت تعرف اذن انت موجود، وانت موجود بقدر ما انت تعرف.

وفي سياق الكلام عن الفلسفة، يذكر طلال في هذا المجال ان أحد اساتذة الفلسفة في الجامعة الاميركية طرح مرة ما اسماه الجملة التي تناقض نفسها، واعطى المثل التالي: "لنفترض ان الكريتيين كذابون، فاذا جاء كريتي وقال ان الكريتيين كذابون فهذا يعني ان الكريتيين صادقون لان كريتيا قال فيهم انهم كذابون وهو كذاب، فهذه الجملة تناقض نفسها بنفسها".

استفز هذا الطرح طلال الذي قام بمراجعات وابحاث توصل عبرها الى ان الجملة المطروحة ليست متناقضة، وسلّم بحثه الى استاذ الفلسفة الذي فوجئ بمبادرة طلال وقال له: "انى تكن نتائجك ستنال في آخر الفصل علامة ٩٠ على ١٠٠ لانك بادرت على امر لم يُطلب منك ومبادرتك تستحق التقدير". ويعلق طلال: "صحيح ان الفلسفة هي ام العلوم، كما قال الاغريق، ولكن الصحيح ايضاً ان المبادرة هي الطريق الى النجاح".

هو ثري بأفكار ثورية، وعربي باهتمامات فلسطينية، وعالمي بتطلعات مستقبلية. يبدو في الظاهر هادئاً، لكنه في الداخل ينبض بغليان المشاعر والافكار. عندما يغضب لا يصرخ بل يكتم غضبه، ويمتنع عن اتخاذ اي قرار في ظل الانفعال. صحيح أنه عاطفي الى اقصى الحدود لكن عقلانيته تسيطر على عواطفه فيواجه التحديات والمصاعب بروية واتزان. حقق نجاحات غير متوقعة، ونال الشهادات والمناصب والاوسمة ودروع التقدير من مختلف المراجع والدول، وترأس الكثير من الهيئات والمجالس، ورعى العديد من المبادرات المهنية والاجتماعية والفنية.

من الصعب حتى لا اقول من المستحيل الاحاطة بشخص طلال أبوغزاله والامساك بكل جوانب شخصيته، ولكن أكثر ما لفتني هو قدرته على الانصات والاستماع الى الآخر، والتوقف عند كل فكرة او اقتراح، مما يدل على مدى انفتاحه ومدى احترامه للعقل ومدى حبه لكل ما هو جديد.

يعدّ أبوغزاله من رواد النهضة في ميادين المحاسبة والتدقيق والتعليم والتكنولوجيا والمعرفة، ومن أوفرهم انتاجاً وفعالية، والعالمية هي السمة الغالبة على مسيرته. لم يكن من السهل على عربي من أصل فلسطيني ان يرقى بشركاته الى المراتب العالمية، لا سيما وانه طرق بابها عبر مهنتي المحاسبة والتدقيق والملكية الفكرية البعيدين كل البعد عن المهارات العربية والفلسطينية المتعارف عليها.

امتهن فن حل المشاكل مهما كانت معقدة، وتمتع برؤية تتعامل مع الاضداد، يقرب دوائر الخلاف ويوسع مساحات التفاهم. يحلو له ان يفكر بالعالم الآتي الذي يراه مختلفاً كل الاختلاف عن عالمنا الحاضر، ويدعو بصورة خاصة الى ادخال تعديلات جذرية في برامج التعليم في الوطن العربي لتتلاءم والمرحلة المقبلة في العشرين سنة القادمة. ولا يمكن فهم عملية النهوض التي نادى بها وحققها إذا لم نستوعب نظرته الى المستقبل والعصرنة والحداثة والعروبة والإسلام.

مستقيم الرأي، مستقل القرار، يتحمل المسؤوليات مهما كانت كبيرة وثقيلة الحمل، ويجرؤ على الاقدام حيث لا يُقدم الكثيرون، ويسبق على الدوام منافسيه بخطوة او بفكرة،

وهذا سر نجاحه. رغم التزاماته الوطنية والقومية والعالمية، يحرص أبوغزاله على ان يبقى بعيداً عن السياسة بمعناها التقليدي لجهة احتلال موقع نيابي او وزاري او رئاسي، وهو قادر عليه إذا اراد. لكن طموحه يتعدى هذا الإطار الضيق، ويتطلع الى تغيير المنطقة العربية بأكملها وادخالها في عصر المعرفة الجديد. القرن الواحد والعشرون يكون قرن المعرفة او لا يكون، والبديل عن المعرفة هي الفوضى التي تفكك الكيانات القائمة وتحولها الى مكونات عصية ومتعصبة تتقاتل فيما بينها.

المشهد العربي منذ العام ٢٠١١ هو الدليل في رأيي على صحة ما نادى وينادي به طلال أبوغزاله. فقد حلت التنظيمات الاسلامية المتطرفة، والاسلام منها براء، محل القومية العربية التي تنادي بالتضامن والوحدة والعدالة، واستغلت اسرائيل الفجوة الفكرية المزروعة والتي زرعتها في عقول الاسلاميين المتطرفين لتحويل العالم العربي الى ساحة فتنة بين الاديان والطوائف والمذاهب.

يؤكد أبوغزاله ان مشكلتي الفقر والجهل هما من أخطر التحديات التي تواجه عصرنا. الفقر يولد الجهل، والجهل يدفع الى العنف، والعنف الى الفوضى، والفوضى لا يمكن ان تكون خلاقة على ما ادعى بعض المفكرين الغربيين، وبخاصة الاميركيين منهم. الفوضى تدفع الى الفتنة، والفتنة مدمرة مهما سمت غاياتها، وكثيراً ما تخرج عن السيطرة.

ان معالجة مثلث الفقر والجهل والعنف لا تتم الا في المزيد من الحرية والتعليم والتنمية. الحرية هي التي تتيح لكل مواطن ان يعتمد على نفسه للخروج من دائرة الفقر التي ورثها، والتعليم يقضي على الجهل وهو التوظيف الاكثر مردودية لبناء المستقبل والطريق الصحيح الى التنمية، والتنمية هي الجامع بين المواطن والسلطة بدونها يصبح المواطن فرداً خاملاً او متمرداً وتصبح السلطة في غربة عن الوطن والمواطن. وأكثر ما شدني في قصة طلال انه لم ينجر الى العنف والفوضى والفتنة نتيجة الفقر الذي عانى منه اثر خروجه القسري من يافا، فجاهد وقاوم وعمل دون هوادة، فحوّل معاناته حافزاً الى الحلم والأمل والمعرفة.

يذهب أبوغزاله الى ابعد، فلا يدعو كمعظم الفلاسفة من افلاطون الى الفارابي الى التفتيش عن السعادة في "المدينة الفاضلة"، بل يدعو الى مقاربة مغايرة فيعرّف السعادة بقوله: "تعلمتُ ان السعادة لا تتحقق في غياب المشاكل في حياتنا، لكنها تتحقق في التغلب على هذه المشاكل". فالسعادة لا تعني، بالنسبة لطلال، حياة بلا مشاكل، كما يتصور معظم الناس، بل تعني مشاكل يتم حلّها. وقناعته ان المدينة تكون على صورة المجتمع، والمجتمع على صورة الجامعة، والجامعة هي مركز العلم، والعلم هو الطريق الى الارتقاء والتقدم والاستقرار والازدهار والسعادة.

يتميز طلال بشخصية قوية وصلبة، وقلما يصاب بالاحباط واليأس. يتمتع بميزة الصبر لتحقيق اهدافه، ويتقن كل عمل يقوم به، ويبذل اقصى الجهود للنجاح في عمله بالصورة الامثل. يتمتع بجاذبية خاصة، فهو رصين ومؤدب ومرن ويتحمل كل المسؤوليات بواقعية. اما في الحب فصادق، ولا يبوح بمشاعره، ويهمه اسعاد العائلة والاحباء، فيبدو في تلك الحالات رومانسياً يجذبه في المرأة ما فيها من مشاعر غامضة وعميقة. لاتفارقه الابتسامة ويضحك مطولاً عندما يسمع نكتة حلوة او قصة لطيفة.

في الممارسة يظهر بمظهر الشخص العنيد والمشاكس، ويحلو له ان يفرض رأيه، لكنه متماسك الى اقصى الحدود، إذا غضب، وقلما يغضب، فانه ينفجر كالبركان، فيصبح عصبي المزاج، ومن المستحسن تحاشي التعامل معه في مثل تلك الأوقات.

لا يجد طلال السعادة في تجميع الثروات. ولو أراد المال لكان بمقدوره ان يكون أغنى مما هو عليه بكثير، ولكان يعيش في يخوت فاخرة او طائرات خاصة يجوب فيها العالم من دون هموم ولا مسؤوليات، ولكان اكتفى بادارة شركات المحاسبة والتدقيق والملكية الفكرية وعاش ميسوراً ومرتاحاً، ولكان أخذ من الدهر ما صفا، ومن العيش ما كفى. غير ان المال، بالنسبة له، ليس أكثر من وسيلة الضرورة لتحقيق تطلعاته المستقبلية بعالم عربي أفضل، لا بل بعالم أفضل، فالمال اداة من ادوات تنفيذ الحلم، وحلم المرء خير من ذهبه.

يركن أبوغزاله الى اصدقائه واصحاب الدرب في الحياة والمهنة، ويحذر من خصومه ومنافسيه ويعمل بالمثل الشائع: "ليس للامور بصاحب من لم ينظر الى العواقب". وقد انعم الله عليه بإناس قدّروا مواهبه وأحبوه وناصروه وتبعوه حيثما ذهب، وأفضل مثال على هذا الامر هو التضامن الذي لاقاه من موظفي شركة سابا عندما قرر مغادرة الشركة فغادروا معه. فرب أخ لم تلده أمك.

وإذا أردنا اختزال مسار طلال أبوغزاله لقلنا فيه انه صاحب مشروع محوره الانسان- الشخص المنخرط في المجتمع، واول خطوة على طريق هذا المشروع تتمثل بتأهيل الانسان، بدءاً بالانسان الفلسطيني مروراً بالانسان العربي وانتهاء بالانسان في كل ارجاء الكون. فكما يكون الانسان يكون العالم، والانسان هو صانع الحروب والسلام والشر والخير.

يرى أبوغزاله في الانسان الخيّر المدماك الاول لبناء المواطن الصالح. والمواطنية الصالحة هي هدف أبوغزاله، ومن دونها لا يرى تقدماً، ولا استقراراً، ولا تنمية، ولا

حريات. وستشهد السنوات العشر القادمة، من وجهة نظره، ازدهاراً اقتصادياً غير مسبوق في العالم بعامة وفي الشرق الاوسط بخاصة، فهو متفائل بالمستقبل رغم كل كوارث الحاضر ومصائبه. "ولا مفرّ، في رأيه، من انتشار المعرفة على اوسع نطاق لا سيما بانتشار الانترنت الذي ألغى المسافات وقرّب الناس من بعضهم البعض، وسهّل التبادل والتعامل والتكامل على كل المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية".

يشهد عالمنا تكاملاً وشراكة بين القطاع العام والشركات الخاصة، كما يشهد قيام التكتلات العالمية، والتعامل بين المحيطات، والتبادل بين الثقافات والمعارف واللغات، كما هي الحال مع معهد طلال أبوغزاله كونفوشيوس. ويلحظ طلال بان "الشراكة العالمية لم تعد خياراً، بل باتت واقعاً يقتضي التعامل معه بايجابية وذكاء بحيث يستفاد من القدرات والطاقات المبتكرة في كل مكان من دون تذويب خصوصياتنا الوطنية وشخصيتنا القومية".

طلال أبوغزاله من طينة الرجال الذين لا ظلال حولهم، وهو عقل لا يتوقف عن الانجاز والابداع، وصاحب احلام كبيرة حقق البعض منها، وما زال البعض الآخر في طور التحقيق. ميزته انه لا يحلم فقط، بل يحقق احلامه في أصعب الاوقات وفي عالم عربي يتخبط بازمات وجودية ومصيرية.

نظرة أبوغزاله لنفسه ومسيرته تدل على نعمة الوعي التي يتمتع بها لتقييم الذات والآخر. ومن اهم صفاته انه يجمع ما بين الرؤية والتنفيذ، فكل فكرة لديه هي مشروع عمل، وكل عمل هو نتاج فكرة، واني على يقين ان الجمع بين الفكر والعمل شكل في داخلية طلال قوة الدفع اللازمة الى النجاح. انه مؤمن بالحق، وإذا ارتكب خطأ يعود عنه، ولا يسكت عن الباطل، ويعمل بقول علي بن ابي طالب: "حين سكت اهل الحق عن الباطل توهم أهل الباطل انهم على حق".

## العائلة هي الظهير الأول... والآخر

صحيح ان أبوغزاله يرى الحياة نعمة على الرغم من المصائب والمصاعب، لكنه يرى في بعض من جوانب الحياة حلاوة من دون مرارة كأن يقع الانسان في حب الآخر من اول نظرة وابتسامة وكلمة.

التقى طلال بنهى سلامه، وهي لبنانية، في الجامعة الاميركية ببيروت، وشعر في داخله منذ لقائهما الاول انها المرأة التي يفتش عنها، وسرعان ما فاتحها بالامر وقال لها: "اننا

سنتزوج". ويضيف طلال: "لبنان هو نعمة في حياتي، اعطاني الكثير: الاستضافة في الغازية، والعلم في صيدا ومن ثم في بيروت، والشهادة من الجامعة الاميركية، كما اعطاني نعمة اللقاء مع نهى والزواج منها سنة ١٩٦٣، وانعم الله علينا باربعة اولاد: صبيان لؤي وقصي، وصبيتان مي وجمانه".

يحلو لطلال الكلام عن زوجته نهى سلامه أولاً ويقول فيها: "هي نصيري الاول. وقد مضى على زواجنا نصف قرن ونيف، وهي تعتمد معي اسلوب الانتقاد الدائم. تنتقدني في العديد من الاعمال التي اقوم بها، سواء في علاقاتي او قراراتي واحياناً فيما يعود الى ثيابي!" سألتها مرة: "كل ما تقولينه على رأسي، ولكن هل عملتُ خلال خمس وخمسين سنة امراً واحداً أُهنأ عليه؟" فأجابتني ضاحكة: "عندما تعمل هذا الشيء اخبرك!".

في الواقع تفخر ام لؤي بزوجها وتدافع عنه على الدوام، وهو يعرف ذلك، لكنها لا تكيل له المديح وتستفزه ليحقق الاحسن. وأخبرني طلال على سبيل المثال انه يوم منحه العاهل الاردني وساماً من الدرجة الاولى سأل طلال نهى: "ما رأيك؟"، اجابته: "انا لم افهم الترتيب الذي اتبعوه عندما دخلتم وعندما خرجتم من القاعة؟". ضحك طلال وقال لها: "انا أسألك عني ولا اسألك عن ترتيبات الاحتفال"، فاجابته مجدداً: لن اقول شيئاً جيداً عنك". ويعلق طلال: "انا اعرف انها تحبني كما أحبها، لكنها تريدني ان اذهب الى ابعد، ويعود لها الفضل الكبير فيما حققتُ، حضورها الى جانبي ساعدني على الدوام".

يصر طلال على القول انه يتعامل مع اولاده وكأنهم اصدقاؤه ويستخدم معهم لغة التفاهم والتحاور وليس لغة الامر. ويذكر ان لؤي، وهو الابن البكر، طلب منه اقتناء دراجة نارية، وكانت معشوقته، فسأله طلال: "لماذا؟" اجابه لؤي: "اصحابي عندهم دراجة نارية"، فعلق طلال: "إذا كل واحد من اصحابك عنده شيء وانت تريد مثله ستتعب كثيراً". غير ان لؤي كان يلح على هذا الموضوع يومياً ويحمل في كل مرة حجة اضافية كمثل تحاشي زحمة السير او استخدام الدراجة بسهولة كلما دعت الحاجة، وكان طلال يرد على الحجة بالحجة الى ان عيل صبر الوالدة فقالت لطلال: "احسمْ الموضوع وصارحه باننا لن نشتري له دراجة نارية وانتهى الامر". وبقي الجدل قائماً حول الدراجة النارية الى ان جاء لؤي في أحد الايام وهو حزين فقبّل وجنتي والده وقال له: "لقد توفي صاحبي في حادث وهو على دراجته النارية. الآن فهمت لماذا لم تلبِ طلبي، وآسف لاحراجك في هذا الموضوع كما فعلت، أعدك بأني لن اركب دراجة نارية طوال حياتي"، علق طلال: "كان همي ان ادفع باولادي ان يتخذوا القرار المناسب بأنفسهم، فلا اتخذ القرار بنفسي واجبرهم عليه".

توقف طلال عند جانب آخر من علاقته باولاده الذين درسوا جميعهم في الولايات المتحدة الاميركية. وكان خصص لكل واحد منهم مصروفاً شهرياً يكفيه لاقامته بشكل معقول. عاد طلال في أحد الايام الى المنزل فرأى زوجته نهى في حالة بلبلة على غير عادتها، وقالت له: ”لؤي جوعان ما عنده يأكل وما عنده ما يشتري به سندويشاً“. اجابها طلال: ”جيد، آخر مرة التقيته كان زائد وزنه فاذا بقي طوال يومين بلا أكل يخف وزنه قليلاً. ولا اريد ان ترسلي له دولاراً واحداً. اتركيه يتعلم ان ينظم مصروفه ليكفيه لنهاية الشهر. المصروف الذي يصله كافٍ، وهذه نعمة من الله. اتركيه يشعر بالجوع، فكثير من الناس في العالم يجوعون فيصير يشعر مع هؤلاء الجوعانين“. واضاف طلال: ”هذا كان اسلوبي مع الاولاد حوار دائم لكنه حازم. واشكر الله ان اولادي اعتادوا ان يتحملوا مسؤولياتهم. ولا اخجل باي واحد منهم، بل اعتز بهم جميعاً“.

تولى الابن البكر لؤي موقع مدير تنفيذي وشريك في أبوغزاله للملكية الفكرية (AGIP)، كما تبوأ مركز نائب الرئيس في طلال أبوغزاله وشركاه الدولية (TAGI)، ونائب الرئيس في مجموعة طلال أبوغزاله (TAG-Org)، وهو يتحمل كل هذه المسؤوليات بجدارة وكفاءَة، ويصفه الوالد بانه ”رجل مميز في العلاقات العامة، والتواصل مع الاعلام، وبناء الصداقات المتينة“.

ويصف طلال ابنه قصي ”بالمهني الصرف“، يحمل شهادة محاسب قانوني من الولايات المتحدة الاميركية، وقد حصل على عضوية جمعية المحاسبين الاميركية، وهو مسؤول داخل شركات أبوغزاله عن الرقابة المهنية، ويتعمد حصر دوره في الشؤون الداخلية، ولا يحب ان يظهر في الاعلام أو المناسبات العلنية فيقول فيه طلال: ”انه المسؤول التقني بامتياز عن اعمال الشركات. ولؤي وقصي يكملان بعضهما البعض“.

من ناحيتها انخرطت مي في العمل الاجتماعي. وعلى الرغم من انها متزوجة ولها اولاد، فقد قررت ان تقوم بمشروع أسمته ”الحكواتي“. رمى هذا المشروع الى ايجاد مكتبة للاطفال يأتون اليها مع امهاتهم اللواتي تقوم كل واحدة منهن بقراءة حكاية من حكايات الاطفال على مسمع الاولاد الحاضرين.ويصف طلال هذا المشروع بأنه: ”خدمة اجتماعية صرفتْ عليها مي الكثير من وقتها ومالها“. ويسهب طلال في الحديث: ”لمي بنت اسمها سلمى عزمت ان تؤلف كتاباً عن الاطفال وهي في الثانية عشرة من العمر“، فسألتني مرة: ”كيف كان اهلك ينادونك تحبباً؟“، فقلت لها: ”طلول“، فتابعتْ: ”ما اسم والدتك؟“ اجبتها: ”اديبة“، قالت لي: الكتاب سيكون اسمه ”طلول“ وأمه سيكون اسمها ”اديبة“.

اما جمانه فتختلف عن الجميع. تشبه والدها الى حد كبير وتتضارب في الرأي معه الى حد كبير. جمانه طموحة كوالدها وقد قررت ان تكمل دراساتها في كاليفورنيا، غير ان طلال اشترط عليها ان تتسجل في جامعة هارفرد وفي قسم ادارة الاعمال، فوافقت واستحصلت على الشهادة وبدأت تفتش عن عمل، فقال لها طلال: "لدي علاقات مع عدة مؤسسات تفتش عن شخص مثلك: خريج هارفرد ومن عائلة معروفة"، غير انها رفضت عرضه، كما رفضت عروض بعض اصدقاء والدها الذين كان طلال يشجعهم على الكلام مع ابنته. بقيت حوالي الستة أشهر من دون عمل الى ان تواصلت على الانترنت مع أحد خريجي هارفرد، وهو يرأس شركة اعلانات فالتحقت بشركته، لكن بعد وقت ليس بطويل أسست جمانه شركتها الخاصة، وأُنتخبت في عداد اهم السيدات العاملات في الولايات المتحدة واللواتي تجاوزت أعمارهن الاربعين عاماً. باشرت مؤخراً بالعمل في مشروع طموح جداً. في كل الاحوال تمتنع عن استخدام اسم والدها. يختصر طلال شخصية جمانه بقوله: "ترفض ان يتم التعامل معها على انها بنت طلال أبوغزاله، فهي تريد ان تكون طلال أبوغزاله الثاني". هذا ما قاله طلال أبوغزاله بزوجته واولاده، ولكن الاحلى ان نستعرض ما قاله فيه الآخرون من معارفه واصدقائه وزوجته وأولاده.

## السيدة نهى: طلال... لا وقت للوقت!

اشاد الابعدون بشخصية طلال أبوغزاله ومواقفه وانجازاته، أما الاقربون فكانوا أكثر افصاحاً معي عن شخصية الزوج والأب. لم تغرق زوجة طلال، ام لؤي، بالرومنسية بل اظهرت الكثير من الموضوعية والثقة بالذات والاعجاب بطلال. كما اظهر الاولاد معرفة حميمة بشخصية والدهم وعبروا عنها كل على طريقته وبعيداً عن المحاباة والسطحية.

تعمدت ام لؤي، في مطلع حديثها معي اخباري عن قصة جرت مع طلال مقدمة للكلام عنه. فأطلعتني انها كانت تتوجه كل سنة الى لبنان مع الاولاد لقضاء العطلة الصيفية، وكانت تلح على زوجها ان يأخذ قسطاً من الراحة. في ذات مرة تجاوب طلال مع زوجته وتوجه معها ومع الاولاد الى لندن.

يوم وصولهم الى العاصمة البريطانية ذهبوا الى الهايد بارك، وفي اليوم الثاني الى حديقة الحيوانات، وعند عودتهم الى الفندق شعر طلال بضيق في نفسه، فجرى استدعاء الطبيب الذي عاينه فوجده في حال جيدة. سأله عن نشاطه اليومي، فأخبره طلال انه يعمل من الصبح الى المساء، فأردف الطبيب: "وماذا تفعل في عطلة الاسبوع؟"، أجابه

طلال: ”أعمل“. هزّ الطبيب برأسه وقال: ”حالتك لا تدعو الى القلق، وما تشعر به هو مجرد ردة فعل جسمك على الاجازة“. وما ان خرج الطبيب من الغرفة حتى سارع طلال الى مخاطبة زوجته قائلاً لها: ”هل سمعتِ ما قاله الطبيب ان الاجازة لا تنفعني على العكس هي تضرني؟“.

تعلق ام لؤي على هذه القصة بأنها تختصر الى حد كبير ذهنية طلال: ”الشغل عنده مقدس وطالما ان النهار أربع وعشرون ساعة فلا يجوز ان يضيع دقيقة واحدة منه، ولو كان ثمان واربعين ساعة لكان الامر سيان، هكذا خلقه الله“.

قلتُ لها: ”لو لم يعمل هكذا ما كان وصل الى ما وصل اليه“، أجابتني: ”هذا ما يقوله لي طلال، وجوابي له ان أمراً واحداً في الحياة لا يجوز أن يطغى على باقي الامور. انا والاولاد تأقلمنا، والحمدالله، وكل الامور سارت على ما يرام، مع العلم ان طلال كان على الدوام حاضراً الى جانب العائلة عندما يكون حضوره ضرورياً“.

وتتذكر ام لؤي انها كثيراً ما سافرت مع طلال في إطار عمله. وصلت معه للمرة الاولى الى نيويورك في الستينات من القرن العشرين، انتظرته في الفندق طوال النهار فعاد من العمل متأخراً جداً. في اليوم التالي استحصلت على خريطة المدينة، وسألت مكتب المعلومات في شأن الاماكن الآمنة لان نيويورك لم تكن كلها آمنه في حينه، وراحت تسوح منفردة.

تصف ام لؤي حضور طلال بأنه ”طاغ“، فعندما كانت تسافر معه كانت تطبع له على الآلة بعض المراسلات لكنه عندما يرفع وتيرة الشغل كانت تذكره باستمرار: ”انا عندي فقط يدان، ولا أقدر ان اقوم مقام المكتب“، وتضيف: ”الحياة مع طلال حركة دائمة وضاغطة“. لكنها تستدرك فتبوح: ”ان أصعب شيء في حياتي كان غياب طلال، وكنت أقلق عليه من كثرة السفر. وعندما كنت اسافر معه كنت اقول له: ”خلينا كل واحد يسافر بطائرة. وفي غيابه اشعر بمسؤولية الاولاد الأربعة“. وتخلص الى انه ”على الرغم من كل مخاوفي، اكتشفت مع طلال انه من المستحسن ان يكون لكل واحد من الزوجين متنفس خاص به“.

وتتابع الزوجة بكل ثقة: ”قلما يغضب طلال، لكنه إذا غضب يَتوتر الى حد كبير ويُوتر الجميع معه. وأكثر ما يضايقه هو التأخير. أعمل ما تريد ولكن لا تؤخره او تتأخر عن موعد معه. اطعمه ما تشاء شرط ان يكون الطعام جاهزاً. لا يطيق ضياع الوقت. فإذا قال له الطبيب تناول حبتين من الدواء فإنه يتناول اربعاً ظناً منه ان الشفاء يتحقق بسرعة أكبر!“.

الوقت عنده هو الاهم، وهو في سباق دائم مع الزمن يستيقظ في السادسة صباحاً ولا يوقف عمله حتى ينهي كل ما عليه عمله وكل ما يريد انهاءه. لا ينتظر اليوم التالي، فلكل يوم برنامجه ولا يرجئ امراً الى الغد.

وأخيراً تصف ام لؤي طلال بكلمة: "انه صاحب رؤيا، ينظر الى البعيد. يحلم لكنه يحقق احلامه. إذا فشل لا يتوقف بل يكمل العمل في الاتجاه عينه الى ان يصل الى ما يريد. ما ان يباشر بعمل معين حتى يبدأ بالتفكير بالعمل الذي يليه. وبقدر ما يعطيه الله من عمر فإنه سيستمر بالتطلع الى أهداف جديدة يحققها".

وعلى هدى ما قالت زوجته اقول بدوري: "كان حلمه ان ينجح في المحاسبة والتدقيق فنجح، بعدها انتقل الى العلامة التجارية ومن بعدها الى الملكية الفكرية، ومن ثمّ الى التعليم الرقمي والجامعة بلا اسوار، ويصح كلام زوجته فيه بانه "رؤيوي". وتتبع رؤياه من المعرفة، فمن يملك المعرفة يتفوق: قوة العصر هي المعرفة، لا بل في المعرفة قوة لا تضاهيها اي قوة الا قوة الخالق. صحيح ان لكل عالم هفوة، لكن طلال يعرف كيف يصحح هفواته، ويعلم من اين تؤكل الكتف.

## هل الابن ذراع أبيه، أم ظله؟

أما الابن البكر لؤي فينطلق في الحديث عن والده من دون مقدمات: "اي شخص غير طلال أبوغزاله ما كان بمقدوره ان يستمر لو لاقى المشاكل والصعوبات التي اعترضت مسيرة الوالد، طموحه هو الذي أنقذه، انه طموح بصورة غير طبيعية". ويضيف: "بدأت العمل مع والدي في سن مبكرة كمتدرب، وكان يعاملني كباقي العاملين، وأحياناً يحملني أكثر مما يحملهم وأكثر مما أحتمل. لكني أدركت الحكمة من هذه المعاملة لاحقاً وأشكره عليها، وقد تعلمت منه كل شيء. وكان يتعمد ان يقدمني منذ صغري على أنى صديق له، وأنا ممتن له، وما أزال لتاريخه لا انا ديه اثناء العمل بصفته "والدي" بل بصفته "معلمي".

ويسترسل لؤي في الكلام فيشير الى انه في كل مرة يُعرض عليّ جدول اعمال لاجتماع سيحضره والدي أقول للمعدين: "اتركوا جدول الاعمال جانباً، ان والدي لا يمشي على اجندة أحد، فهو يسير وفق ما يفكر به، ويطرح افكاراً لا تخطر على بال أحد".

يستخدم لؤي نفس الوصف الذي استخدمته ام لؤي فيقول: ”هو رؤيوي. يرى ما لا نراه، ويقدم طروحات غير متوقعة، وإذا لاقت تلك الطروحات معارضة فإنه يبقى مصراً عليها الى ان يتقبلها المعارضون، وكثيراً ما تكون اقتراحاته صائبة وتنجح، وإذا تبين له انها فاشلة فهو قادر ان يعيد حياكتها لتنجح لاحقاً. قوته انه يتمتع بطموح خارق ورؤيا مستقبلية بعيدة المدى“.

يلفت لؤي الى عامل مهم جداً يتميز به والده عن باقي منافسيه وهو: ”ان المال ليس همه الاول، في حين ان منافسيه يهمهم تحقيق الارباح، اما هو فيهمه الانجاز أولاً ولو لم يكسبه مالاً“، ويستطرد الابن البكر: ”لوالدي سر آخر لا يعرفه سوى الاقربين، فالحياة في نظره هي العمل. لا يأخذ اجازة، يعمل سبعة ايام في الاسبوع بما فيه الجمعة والسبت والأحد. عندما يسافر يشتغل من باب الطائرة الى باب المطار. انا في الخمسين من العمر ونيف وهو يقارب الثمانين نجتمع في المؤسسة على سبيل المثال عند الساعة الثامنة صباحاً الى المساء فأصل في نهاية النهار منهكاً. اما هو فيعُلمنا بعد الاجتماع الطويل انه ما زال هناك مشكلة عالقة في السعودية فيطلب انعقاد اجتماع مصغر على الفور. وفي اليوم التالي يستقيظ كعادته عند الساعة السادسة وكله نشاط لمعاودة العمل. الراحة عنده ليست بوقف العمل بل بالمزيد منه. الاجازة لا تدخل في حساباته“. يستطرد لؤي: ”اذكر أنى ذهبت مرة مع زوجتي وأولادي الى تايلندا بمناسبة اعياد رأس السنة لمدة اسبوع، بقي الوالد لسنوات كلما تكلمتُ معه في موضوع الاجازة يذكرني بتايلندا، فاستحي ان ابوح له بأني اريد اجازة اخرى وان سفرة تايلندا تمت قبل سنوات ولاسبوع واحد، فهو لا يهتم بالجواب ويكرر: تايلندا“.

يكمل لؤي الصورة فيقول: ”صحيح اننا لم نعتد على الاجازة على كبر، لكن الاهل لم يقصروا معنا في الصغر، فقد اصطحبونا ايام العطل الصيفية الى المتاحف والمعارض واماكن العلوم، فاكتسبنا ثقافة واسعة، وكنا نذهب للاستماع الى الاوبرا والموسيقى الكلاسيكية، وكان عمري عشر سنوات. بعد انتهاء الحفلة او العشاء نذهب الى النوم، اما الوالد فيذهب الى المكتب ليطلع على ”الفاكسات“ التي وصلت اثناء غيابه، وكان ”الفاكس“ في تلك الايام هو الوسيلة الاكثر تطوراً“.

وبالسؤال إذا كان طلال أبوغزاله سلّم في الواقع الشركات الى ابنه البكر بعد ان عينه في عدة مواقع، يجيب لؤي ببساطة: ”لا يقدر ان يسلمني، وانا ”مش زعلان“، فكل يوم اتعلم منه شيئاً جديداً. فهو يطلع على كل شاردة وواردة. ولا يقدر ان يتوقف عن العمل، وإذا توقف معناه ان حياته انتهت، مع العلم انه ترك لي هامشاً واسعاً من الحركة، لكن يهمه في آخر النهار ان

يكون على بينة بكل الامور، ويعطي التوجيهات التي يراها مناسبة. كما تهمه صياغة محضر لكل اجتماع، وفي غياب المحضر يصبح الاجتماع في نظره مضيعة للوقت وكأنه لم يكن. وقد سارت بيننا نكتة في هذا الشأن انه اعتدنا الاولاد والاحفاد ان نتغدى كل يوم جمعه في منزل الوالدين، فنمزح قائلين: "إذا تغدينا وما كان في محضر للغداء يصبح الغداء وكأنه لم يكن".

تلمع عيون لؤي فرحاً عندما يتكلم عن والدته، وتبدو علامات الارتياح على وجهه: "علاقتنا كلنا مع والدتنا ممتازة. هي أحسن ام في العالم، ولا مثيل لها. تحتضن كل العائلة، وتتحمل كل العائلة بدءاً بوالدي الذي ليس بالرجل السهل، وبسبب انشغالاته التي لا تنتهي، هي مرجعنا في كل امورنا. نمازحها ونتكل عليها، وهي تعتني بنا وبأولادنا. انها حاضرة الى جانبنا في كل الأوقات".

قبل ختام الحديث طلبت من لؤي ان نتحدث بصراحة عن والده، فضحك على عادته، وكان سؤالي الأول: "لماذا طلال أبوغزاله اسس هذا الكم الكبير من الشركات؟" اجابني لؤي: "لانه طموح، هو يقول اننا أحسن من الشركات الاوروبية والاميركية، ولا يقبل ان يقال ان العرب هم من العالم الثالث، ويكرر على مسمعنا: "نحن أحسن العالم".

طرحت على لؤي السؤال الثاني الادق: "ما هي عيوب طلال أبوغزاله؟" اجابني على الطريقة المصرية: "بدك تخدنا بداهية"، ثم أجاب: "عيوبه عكس حسناته. هذه "الفوكسة" (التركيز) على الشغل مئة في المئة امر متعب. فلا نقدر ان نحكي معه في اي موضوع الا في موضوع الشغل، ودائماً يكون رأيه هو الغالب".

وتعليقاً على كلام لؤي بان لا موضوع مع طلال سوى الشغل، سألتُهُ: "هل يتكلم معكم طلال عندما يكون هناك، على سبيل المثال، "مونديال" في كرة القدم ومعظم الناس يتبادلون الحديث بهذا الموضوع اجابني لؤي ببداهة اعجبتني: "يشتري لنا تذاكر لمشاهدة المونديال إذا رغبنا، لكنه لا يذهب معنا"، ويستطرد: "عادة نجلس معه لنشاهد التلفزيون ولا سيما عندما نكون معه على سفر. فهو يشاهد القنوات اللبنانية وقلما يتابع التلفزيونات الفرنسية او الاميركية. اما إذا وقع نظره على وثائقي فإنه يشاهده، ولا سيما إذا كان يتناول احداث الحرب العالمية الثانية. وفي ظني ان آخر مرة دخل الى قاعة سينما كان في السبعينات من القرن الماضي".

يبقى السؤال الاخير: ما رأي والدك بالاحزاب والسياسة؟ وهل يهتم بها؟ يجيب لؤي: "ما يهمه هو فلسطين. وعندما يقع حدث سيء للفلسطينيين يحزن. نحن الابناء والاصدقاء طلبنا منه مراراً ان يزور فلسطين فرفض وكان جوابه: "ان الاسرائيليين سيتعرضون لي، وانا لا اقبل في المبدأ ان يختم اسرائيلي على جواز سفري". لكن لؤي يرى سبباً

آخر لرفض والده زيارة فلسطين فيقول: ”أظن ان والدي غير مستعد عاطفياً ووجدانياً ان يذهب الى فلسطين. حبه لفلسطين يحول دون ان يذهب اليها وهي تحت الاحتلال. أتصور انه لا يتحمل ان يرى بيت أهله في يافا والذي ترعرع فيه يسكنه اسرائيليون. كما أعرفه، لن يذهب الى فلسطين الا عندما تتحرر يافا“.

## الأب صاحب القلب الحنون والكلمة الأخيرة!

عندما التقيتُ مي لمستُ اللطف يعلو عندها على كل شيء، وبالسؤال عن طلال أبوغزاله قالت: ”هو انسان-أب، ومزيج من الشخصية القوية والحنان الكبير. كأب هو منصف الى آخر حدود الانصاف، ويحاول ان ينظر الى الجانب الايجابي في اولاده مهما كانت الظروف والتطورات، وقد اعتاد في حياته ان يحل كل المشاكل التي تواجهه. لم يفرق ابداً بين الصبيان والبنات، وعلى الرغم من سفره المستديم وشغله المتواصل، لم اشعر انه الاب الغائب، واتذكره معنا على الغداء والعشاء نتحاور معه، وبالتأكيد كانت الكلمة الاخيرة له في كل الشؤون“.

حول طبعه تقول مي: ”كتير حساس وبقدر ما هو ايجابي معنا، بقدر ما لا يتقبل منا اي انتقاد. وبقدر ما هو حساس هو مسامح ايضاً، وإذا اكتشف انه أخطأ في شيء يقرّ بالخطأ ولو بصعوبة ويصحح الأمور“.

حول أهدافه تميز مي بين المال والعمل المفيد فتقول: ”لم يحدد لحياته المال كهدف مع العلم انه يعيش بصورة مرتاحة جداً، اما هدفه الحقيقي فهو القيام بعمل مفيد، سواء كان لاهله أو لمجتمعه أو لبلده أو للعالم. عندما نلت شهادتي كان يفضل ان اشتغل معه في شركاته، غير أنى كنت أحب ان اعمل في التربية وعلم النفس مع الاطفال. استغرب الامر بداية، ولكن عندما رآني مصرة رغم خجلي منه، افسح لي في المجال لأعمل ما اريد. فانشأتُ مكتبة للاطفال وفيها مكان للقراءة اضافة الى نشاطات تقوم بها الامهات مع اولادهن. كانت الكلفة عالية لكنه ساعدني، غير أنى قررت ان اوقف المشروع في العام ٢٠١٤“.

وتكمل مي: ”ينظر اصحابي الى والدي على انه رجل ضحوك وقريب من القلب، وهو يملك موهبة الحوار معهم ومماز‌حتهم ويرون فيه رجلاً متواضعاً ومحباً“. وحول عيوبه تقول: ”اولاً لا يتقبل الانتقاد ويفهمه كأنه موجه اليه شخصياً، ولو كان الانتقاد من باب النصح فهو يتقبله بصعوبة. ثانياً يتمتع بشخصية قوية جداً ويفرض رأيه على من حوله. اكيد عنده خبرة كبيرة تسمح له بان يتمسك برأيه وموقفه ازاء الآخرين“.

تشير مي ان المعاناة التي عاشها والدها في صغره دمَغَتْ بعض جوانب طبعه وطبيعته وتسترسل في الشرح: ”كلاجئ عاش معاناة اللجوء وانطلق من لا شيء، كان عليه ان يفرض حاله على الدوام، ويبني نفسه خطوة خطوة، ويطمح بالتحـــول من شخص غير قادر على شيء الى شخص قادر على كل شيء. هذا ما يبرر تصرفاته، ففي داخله ما زال موجوداً الطفل الذي عرف المعاناة ولو خرج منها فهي ما زالت تؤثر فيه. كما ما زالت فلسطين هي البوصلة التي يحنّ اليها، وهو كفلسطيني لم يعد انساناً نكرة رغم كل الصدمات، وقد اثبت انه قادر ان يقف بعد كل كبوة، وهو على اقتناع انه قادر ان يتخطى كل ما يعترض طريقه. عانى كثيراً في البدايات فصار يستمتع بالمصاعب مهما كبرت“.

وتنتقل مي من الكلام عن الوالد الى الوالدة فتقول: ”والدتي تتميز بشخصية فريدة فرضت نفسها بحنانها وذكائها وانسانيتها وكلنا نلجأ اليها في كل شيء. انا اراجعها على الدوام في عملي وحاجاتي وفي مسائل الاولاد، وهي تحيط بالجميع، وتزرع المحبة بين الجميع بمن فيهم الاحفاد الذين يزورونها على الدوام، ويخشون ان تزعل منهم ”التاتا“ (الجدة). هي حاضرة في كل شيء ومع الجميع“.

وأخيراً سألتها: بما تصفين والدك؟ أجابت مي: ”هو فلسطيني أولاً، ونشارك جميعنا بهذا الشعور. نحن كل يوم نعيش فلسطين، هكذا تربينا وهكذا سنبقى. وقد تعلمنا من الوالد ان ننظر الى المصائب والمعاناة وكأنها امور ايجابية، وهو قادر ان يحول النقمة الى نعمة“.

## أبي طاقة متجددة في حضوره وغيابه

شاءت الظروف عندما زرت الاردن في ايلول ٢٠١٦ ان تكون جمانه أبوغزاله في عمان، وهي التي تتخذ من نيويورك محل اقامة لها، فاغتنمت الفرصة لاسمع منها مباشرة رأيها، وسألتها بداية: ”ما هي الصورة المرتسمة في ذهنك عن طلال أبوغزاله؟“.

اجابت جمانه: ”والدي طاقة غير طبيعية، شغّال كل الوقت. وكلما يخال لك انه استنفذ كل طاقته تراه ينطلق من جديد، فهو يملك احتياطاً من الطاقة لا ينفذ. لا يخاف من شيء، ولا يخاف من أحد. يملأ حياتنا وقلوبنا وعقولنا وأجسادنا، لكنه لا يكتفي فهو حساس الى

آخر الحدود، ويريد منا ان نظهر له كل يوم مدى حبنا له. من الصعب ان تقترب منه الى حد اختراقه، فبقدر ما هو قوي هو حساس. وامتع اللحظات معه عندما يتصرف كطفل كبير يضحك معنا ويداعب الوالدة ويستفزها. انها لحظات قليلة لكنها في غاية المتعة".

تصف جمانه والدها: "انه فلسطيني اولاً، ورجل اعمال ثانياً، وأب ثالثاً. يستغرب لماذا اولاده لا يشبهونه، ولا يملكون الجرأة التي يملكها، ولا يتمتعون مثله بالقوة والرؤية والطموح والثقة بالذات. شخصيته طاغية، اول ما يدخل من الباب يملأ البيت كله. ولا يعود هناك مكان لاحد. انا اعرف انه لا يتوخى هذا الامر، ولكن هذا ما يحدث في الواقع".

وتكمل جمانه: "انتَ سألتني عن صورته في ذهني. اتخيل ان صورته لم تتبدل منذ ان كان في الجامعة الاميركية: حركة دائمة وحيوية لا تنضب، انه يكبر بالعمر لكنه لا يشيخ. الناس يتكلمون عنه كثيراً، والعديد منهم يرون فيه رمزاً يعمل باستمرار ويناضل بعناد في سبيل الوطن العربي والقضية الفلسطينية وللبلد حيث يكون، اضافة الى مسؤوليته عن كل افراد عائلته، فهو يفرض احترامه كأب على الجميع ويرعى الجميع. وعندما يتضايق من شيء يصرخ على اولاده وعلى موظفيه على حد سواء قائلاً لهم: "انا ابوكم". وهو في الواقع "أب" بكل ما للكلمة من ابعاد. كل من يقاربه يحسب حساب ردات فعله، فلا أحد قادر ان يعرف بماذا يفكر وماذا سيقرر. كل من حوله يخاطبونه بحذر وتهيب، لكن الكل يدركون انه حاضر الى جانبهم عندما يحتاجون اليه".

كما قيل فيه الكثير ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الشهادات التالية:

## رجلُ الأعمال العربيّ النّموذج

### سموّ الأمير الحسن بن طلال

تزهو الأممُ والأوطان بأبنائها المبدعين وأصحاب المبادرات الرياديّة. وانطلاقاً من هذا، أثمّن التوجّهَ الإيجابي للأخ طلال أبوغزاله الذي اختار طريق المؤسسات وسخّر إمكانات مؤسسته وخبراتها في اتجاه لقاء العقول في الفضاء الثالث، الحكوميّ والخاصّ والمدنيّ.

إننا بحاجة إلى عمليةٍ استشرافية للتقييم المتبادَل المبنيّ على الخبرات للحقول المعرفية المختلفة، وهذا لا يتمّ فقط عن طريق التَّعلُّم عن بعد، فهنالك حاجة للتلاقي وتبادل الأفكار والآراء. وهذا ما يحاول الأخ أبوغزاله القيام به دائماً عبر عمله.

إن التواصلَ المعرفيّ العربيّ يحتاج إلى تعميق التواصل بين الخبرات في مجالات متعددة في منطقتنا، كالملْكيّة الفكريّة، والإدارة، والمحاسبة، وتقنية المعلومات، والاتصالات.

من هنا فإنّني أدعو الخيّرين من رجال الأعمال العرب، وهم كثُر، إلى تقديم المبادرات في الداخل والخارج، وأنا على يقين من أن قدراتهم قد تفوق قدراتِ حكومات بلدانهم.

إنّ ما يميز مسيرة أبوغزاله إيمانه العميق بالتعليم والتأهيل وبناء القدرات لأبنائنا وبناتنا.

أبارك له نجاحاته ومبادراته، وأشدّ على يدَيه، متمنّياً له الخير والنجاح.

## الطالبُ النجيب

## د. سليم الحُصّ، مفكّر قومي، ورئيس وزراء لبنان سابقاً

إنّني أعتز بأن طلال أبوغزاله كان من طلبتي عندما كنت أستاذاً في الجامعة الأميركية في بيروت. وكان، والحقّ يقال، من الطلبة النّجباء المتميزين، ولم ينقطع عني طوال هذه المدة من الزمن، فتابعتُه في أعماله وقد كان مجلياً بين أترابه، فسجّل نجاحاً مرموقاً جداً على الصعيد المهني، فإذا به اليوم، على رأس مؤسسة طلال أبوغزاله وشركاه، أحد أبرز أولئك الذين احترفوا أعمال المحاسبة وتدقيق الحسابات في لبنان، لا بل في المشرق العربي قاطبة.

مسقطُ رأسه في فلسطين، موطن الجهاد ومحطّ أمل العرب أجمعين. إنها البقعةُ التي أنجبت شعباً مميزاً عُرف بتضحياته وإقدامه ونضاله. وبين أبناء هذا الشعب المميز بعض أبرز رموز النضال العربي في مقارعة الصهيونية المجرمة، والصمودِ في وجه أعتى الظروف التي أحاطت بالأمة العربية.

هو من مواليد تلك الأرض الطيّبة، فكان نصيبُه كما كان نصيبُ سائر أبناء جلدته؛ التهجير على أيدي الصهاينة المجرمين، فنزح إلى لبنان مع أهله، حيث أنهى دراسته الابتدائية وأنجز دراسته الجامعية، فكان مِن أنجب الطلبة وألمَعِهم في كلّ المراحل، وما أغفل يوماً خلال مراحل دراسته، أنه يطمح إلى أن يكون له أثرٌ يُذكر في خدمة أمته العربية. فتجنّد

لخدمة الأمة العربية بطريقته الخاصة، إذ نذر حياته للعمل في مرفق حيويّ ناهض هو المحاسبة وتدقيق الحسابات، فكان له باع طويل في هذا الميدان عبر شركات مهْنيّة فاعلة، تتمتع بطاقة تنافسية مميزة، داخل لبنان وفي عدد من الأقطار العربية.

إنني أفخر بأن طلال كان من طلبتي، وأنا أعدّ تلك الحقبةَ من حياتي، حقبةَ التدريس، من أخصب فترات حياتي إنتاجاً.

يسعدني أن يَصدر هذا الكتاب الأخّاذ: "رجل تسكنه المعرفة" الذي أرجو أن يُنصف هذا الرجلَ المعطاء، فهو جديرٌ بهذه اللفتة الطيبة وأكثر.

تحيّة خالصة للأخ العزيز طلال أبوغزاله، وتحية لجميع إخوانه الخُلَّص الذين انبروا إلى وضعِ هذا الكتاب وشاءوا أن يكرّموه به، وهو أهلٌ لكلِّ تقديرٍ وتكريم.

## رائدٌ في مبادراته ومبادرٌ في ريادته

## طاهر المصري، رئيس وزراء الأردن ورئيس مجلس الأعيان سابقاً

تستحقّ رحلة الأخ والصديق طلال أبوغزاله في هذه الحياة أن تُدَرَّس وأن تَطّلع عليها الأجيالُ، لغاية أخذِ العبرة والاستفادة مما فيها من دروسٍ عن قصة رجلٍ عصاميّ وظَّف الإرادة الصلبة والعزم والتصميم في إحراز المنجزات، وبناء الشخصية الفذّة القادرة على فرض وجودها الفاعل في أكثر من ميدان في وقت واحد.

ذلك هو ابنُ يافا الذي وُلد فيها، شهدَ الهجرة وعاش الحروب والنكبات، غادر فلسطين واختار مهنة المحاسبة، فأبدع في مجال تدقيق الحسابات حتى غدا رائداً في ميدان المال والاقتصاد، وأصبح محْسناً كبيراً على صعيد دعم العلم والتعلُّم، وتبرّع بمبالغ كبيرة للجامعة التي تخرج فيها.

اعترضتْ سبيلَ طلال خلال رحلة كفاحِه العملية تحدّياتٌ كثيرة، لكنه خرج منها أكثرَ قوة وصلابة، فقد واجهَ عملُه إفرازاتِ ما شهدته المنطقة والإقليم من حروبٍ وتقلّبات، لكنه كرجلِ مبادرٍ وذي خبرة ودراية وتصميم، تجاوَز المصاعبَ بنجاح كبير، وأصبح رائداً يُشار إليه بالبنان احتراماً في مجال الملْكيّة الفكريّة، ليس على

مستوى الدول العربية فحسب، وإنما على مستوى عالميّ كذلك، فقد باتت مكانتُه الدولية في هذا المجال معروفةً ومشهوداً بها، وتستعين به هيئةُ الأمم المتحدة، وتحديداً أمينها العام، كثيراً على هذا الصعيد، وذلك تأكيداً على نجاعة علمِه وتميُّزِ عالميته، وهو بذلك يجسّد -في تقديري- شخصيةَ الإنسانِ العربي المتميز، الجديرِ بالتقدير والثناء والاحترام.

وطلال مسكونٌ بهموم أمّته العربية وبقضاياها، وتحديداً قضية فلسطين، وهو صاحبُ فكرٍ عروبيّ قوميّ ناضج، وله نشاطٌ ملحوظ من أجل فلسطين وقضيتها العادلة، وبخاصة في دعم قطاعات الثقافة والصحة والتعليم، وله علاقاتٌ سياسية قوية جداً في أنحاء متفرقة من العالم، وهو لا يتوانى أبداً عن توظيفها في دعم القضية الفلسطينية وقضايا العرب بعامة، ومن الواضح أن سعةَ اطّلاعه وثقافته السياسية العالية تخدمان هذا الهدف السامي بكفاءة ملحوظة، ولا شكّ كذلك في أن بصماتِه الإيجابية هنا، في الأردن، كثيرةٌ وذات أثر مفيد، لا سيما في مجالات التعليم والمحاسبة والمال والاقتصاد والاستثمار، هذا فضلاً عن حضوره الاجتماعي الواسع والمؤثّر.

وعلى الرغم من كثرة مشاغله المحاسبية والأكاديمية والسياسية، فهو مولَعٌ بالموسيقى وبالفن عموماً، وهو لا يتردّد في دعم الفن الراقي وعلى المستويين العربي والأوروبي، وله مساهماتٌ كثيرة في مجال دعم المهرجانات والأعمال الفنية المتطورة، خاصة في النمسا (سالزبورغ).

ذلك هو طلال أبوغزاله الذي أعرفه جيداً من قرب، عصاميٌّ بامتياز، رائدٌ في مبادراته ومبادرٌ في ريادته، عروبيّ مخْلصٌ وفاعلٌ حيث يكون، إنسانٌ مشحونٌ بالإنسانية الرائعة في حركاته وسكناته وسلوكه، وصاحب حسّ مرهف لا تخالطه الضغائن والنكايات والأحقاد، رجلُ عائلةٍ محترم، ومواطنٌ صالح يتفانى في عطائه ومواطنته وإخلاصه للحياة، يدافع عن قناعاته ولا يلغي الرأيَ الآخر من اهتماماته.

هو باختصار إنسانٌ ذو تجربةٍ حَرِيّةٌ بأن تُقرأ، وإنجازاتٍ حَرِيّة بأن تُحترَم.

## التطلّعات إذْ تتحقَّق

### خوزيه ماريا فيغاروس أولسن، رئيس سابق لجمهوريّة كوستاريكا

هنالك ثلاثة أبعاد لمجموعة أبوغزاله الدّوليّة، يتمثّل البعد الأوّل في الأعمال التي أتوقّع لها نموّاً وتقدّماً وتطوّراً، وذلك بناءً على أسس منطقيّة ومعروفة، وخاصّة في قطاع الخدمات التي تقدّمها المجموعة.

أمّا البعد الثّاني والذي يتمثّل في توظيف النموّ والتّقدّم لتحقيق تطلّعات هذا الرّجل نحو العالميّة، فقد بدا واضحاً في نجاح مجموعته على مستوى العالم. ويتمثل البعد الثّالث برؤيتي الشّخصيّة لما تقوم به المجموعة من خدمات وأعمال، إذ أصبحت جزءاً مهمّاً من مكوّنات وتطوّر اقتصاد المنطقة، حيث أسهمت فيه إيجابيّاً؛ تفيده وتستفيد منه. وعملت المجموعة باستمرار على مواكبة كلّ ما هو جديد في مجال الخدمات المهنيّة والمعلومات، مع حرصها الشّديد على الاستفادة من كلّ ما هو جديد ومتطوّر في جميع المجالات والميادين المتعلّقة بعملها في العالم.

## سفيرٌ للعرب

### جيرمي هائلي، وزير الشؤون الخارجية والقوات المسلحة وعضو سابق في مجلس الوزراء البريطاني

طلال أبوغزاله رجلُ مميّز على مستوى العالم، ومعروفٌ بقدرته على التواصل مع العالم الخارجي بكفاءة وتميُّز ملحوظين، حيث يُعَدّ من أبرز وأذكى الشخصيات العربية التي عرفتُها في حياتي أثناء عملي وزيراً للدولة للشؤون الخارجية والقوات المسلحة وعضواً في مجلس الوزراء البريطاني.

طلال برأيي سفيرٌ للعرب، ومعروفٌ في أرجاء العالم كشخصية فلسطينية عصاميّة تؤمن بالقوانين وتحترمها وتلتزم بها، وهو يعمل على تطوير وترسيخ القوانين والمعايير المتعلقة بمهنة المحاسبة والتي تعَدّ من أساسيات ودعائم الاقتصاد والتطور في المجالات كافة.

وفي هذا السياق أودّ أن أشير إلى أنّني تعرفتُ من طلال أبوغزاله على قضايا الشعوب العربية وتطلّعاتها، وأنا أشكره على ذلك، فقد استطاع أن يصف لنا قضايا المنطقة العربية بصورة واضحة وشفافة، خصوصاً تلك القضايا المصيرية التي تتعلّق بكثيرٍ من دول المنطقة، وأذكر هنا القضية الفلسطينية والتي تشكل جزءاً مهماً من حياة سفير العرب طلال أبوغزاله.

## تعلّمتُ منه العملَ الجادّ

## سيرجيو مارشي، وزير سابق للتجارة الخارجية في كندا

عندما يكون لدينا شخصية ذات قدرات مميزة ومتنوعة كالتي يمثلها طلال أبوغزاله، فإن الحديث عنها وعن إنجازاتها يعَدّ مصدرَ فخر واعتزاز، ليس فقط لجهة نجاحها في العمل، بل لكون صاحبها إنساناً عربياً وقائداً في مجال الخدمات والأعمال المهنية.

وأنا لا أبالغ في وصفه بالقائد والرائد؛ فطلال أبوغزاله شخصية استطاعت بكفاحها وإيمانها القوي وعزيمتها الفريدة أن تصنع من مؤسستها هرماً شامخاً تعتز به المنطقة العربية بأسرها.

وتعمل مجموعة طلال أبوغزاله الدولية بقيادة هذا الرجل الذي يعمل من دون كلل أو ملل طوال ساعات النهار، وبقدرة عالية ومميزة على التحمُّل، حرصاً منه على أن تبقى مجموعته في المقدمة.

طلال أبوغزاله يعمل دائماً لوصول خدمات مجموعته إلى مناطق أخرى حول العالم، ولا يتوقف عند نقطة ما أو منطقة معينة، وشعاره الدائم هو "العمل المستمر والمنظَّم" لتحقيق التطور والتقدم في جميع المجالات والحقول، وذلك كي تظل مجموعته في المقدمة بقيادة هذه الشخصية التي أكرر فخري واعتزازي بمعرفتها وصداقتها، والتي أضافت إليّ الكثير وتعلمتُ منها العمل الجاد والمخْلص من أجل منفعة الأمة وتطورها.

## اهتمامٌ بالتعاون الدولي

### عبدالحميد ممدوح، مدير التجارة في الخدمات والاستثمار في منظمة التجارة العالمية

طلال أبوغزاله مهتمّ بأمور التعاون الدولي إلى حدّ كبير جداً، لأن المجالات التي يعمل فيها متعلقة بتطبيق اتفاقيات دولية في مجال حماية الملْكيّة الفكريّة ومقاييس ومعايير دوليّة وطنية في مجال المحاسبة.

إنّ توجّهات طلال أبوغزاله الذي يمثل شخصيّة عامة، لها تأثير مباشر على توجّهات مجموعة طلال أبوغزاله، فقد أنشأ طلال عدداً من المنظمات غير الحكومية المهمّة التي لعبت دوراً في توعية دوائر العمل والدّوائر المهمّة في الدّول العربية بحقوق مختلفة، وفي رفع مستوى الوعي بتكنولوجيا المعلومات وبمجالات كثيرة جداً اهتمّ فيها واهتمّت بها المؤسسة بصفة عامة. كما اهتمت مجموعته بموضوعات التجارة الخارجية وما يتعلق بمنظمة التجارة العالمية، وأنشأت أول موقع إلكتروني باللغة العربية لمنظمة التجارة العالمية التي تُعَد من المنظمات الدولية المهمة جداً ولها تأثير مباشر على السياسات.

## العصاميّ...

### البروفيسور جون سمول، رئيس سابق لجمعية المحاسبين البريطانية

مجموعة طلال أبوغزاله من كبرى الشركات في العالم في مجال الخدمات المهنية، والشخصية التي ترأس هذه المجموعةَ تعمل بجد ونشاط على مدار الساعة؛ فطلال أبوغزاله كشخص أعرفه وأعتز بصداقته هو إنسان ومدير ذكي وباستطاعته أن يقنعك دائماً بتقديم الأعمال النافعة والمفيدة والخدمات المميزة إلى جميع أنحاء العالم، وليس فقط في المنطقة العربية. فطلال أبوغزاله شخصيةٌ عربية معروفة في العالم الغربي، حيث يعكس بإنسانيته السمعةَ الطيبة للعرب، وهو قادر على إيصال الصوت العربي إلى العالم الغربي، وقد عرفتُ عنه إخلاصه لعائلته وعمله وموظفي مجموعته، حيث يعامل موظفيه كأنهم أفراد في العائلة.

بدأت علاقتي الشخصية بطلال منذ عشرين عاماً، وأنا أعتز بهذه الصداقة الطويلة مع هذه الشخصية التي ترفع شعار العمل الجاد والمخْلص طريقاً إلى النجاح والتميّز. وتسعى

مجموعته دائماً إلى تقديم الخدمات المهنية ذات الجودة العالية والمتقنة للعملاء، والعمل باستمرار على تأهيل موظفيها للوصول إلى أعلى المستويات وللمساهمة في التطوير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الوطن العربي ضمن إطار الاقتصاد العالمي.

طلال أبوغزاله من أفضل الشخصيات العربية التي عرفتُها في حياتي، هذا الرجل لا يحب الخوض في المشاكل، ويبتعد عن كلّ ما يسبّب الأذى له أو لغيره، ويتجنب وضع نفسه في أي صراع مع أحد، لذلك لا بد أن تحظى هذه الشخصيّة باحترام الجميع.

لا يمكن حصر الصّفات الجيّدة والإيجابية في شخصيّة أبوغزاله في سطور، فالحديث عن هذا الرجل يطول ويطول، وبخاصة ما يتعلّق بإنسانيته وروعته.

تحية لهذه الشخصية الفريدة، والتي أصبحت بعصاميتها واعتمادها على نفسها وحرصها على تقديم الأفضل لعملائها، رمزاً للكفاح والنجاح.

## شخصية قيادية جذّابة

### د. علي أحمد عتيقة، أمين عام سابق لمنتدى الفكر العربي، وأمين عام سابق لمنظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول

يتمتّع د. طلال أبوغزاله، رجل الأعمال المعروف، بشخصيّة مرحة جذّابة، وبإرادة قوية متفائلة، وبقدرة قيادية ريادية، فهو يجمع بين الجدّ والمرح، وبين الثقة والطموح، ويدرك دور العلاقات العامة، وأهمية العنصر البشري في كلّ ما يقوم به من أعمال ومبادرات ريادية.

تعود معرفتي بالصديق "أبو لؤي" إلى قرابة الأربعين عاماً، عندما قام بزيارة عمل إلى طرابلس، بدأ إعجابي بشخصيّته منذ ذلك الوقت، ثم نَمَت معرفتنا المشتركة وتطورت علاقاتنا العائلية بعد انتقالي مع العائلة إلى الكويت لتولّي منصب أمين عام منظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول (١٩٧٣-١٩٨٧).

تابعتُ وبإعجاب، قدرته على مواجهة التحدّيات التي كان عليه أن يتخطّاها. تابعتُ قدراته في تأسيس مجموعة طلال أبوغزاله كما نعرفها اليوم، وكذلك ارتباطه الإنساني مع الموظفين الذين قرروا الانتقال والعمل معه، وأعجبت بولائهم واستعدادهم أن

يساهموا معه في بناء مؤسسة جديدة في ظروف صعبة وبسيولة محدودة، وثقة رجال الأعمال والاقتصاد بشخصيّته والتعامل مع مؤسسته الجديدة، لثقتهم الكبيرة في قدرته على النجاح والتفوّق.

اليوم نلاحظ أعمال مجموعة طلال أبوغزاله ومبادراتها الريادية في التعليم، وفي تطوير مهارات الشباب العربي في المحاسبة وفي الملْكيّة الفكريّة وفي المعلوماتية وعلم الحاسوب. هو يؤمن بالاستثمار في البشر بالتعلم والتأهيل، ويدعم إيمانه بالعمل الصالح البنّاء بمشاركة من معه من الموظفين والعاملين الذين أتمنى لهم جميعاً كل النجاح والتوفيق في خدمة الوطن العربي الكبير من خلال هذه المؤسسة الرائدة.

## الإيمان بالتعليم

### د. إدوارد غريس، رئيس قسم المحاسبة والتدقيق في جامعة كانيسيوس، بافلو، الولايات المتحدة الأميركية

طلال أبوغزاله يخطو خطواتٍ ثابتة في مجال التعليم الذي يشكّل ركناً مهماً في أولويات هذا الرجل الذي يسعى دائماً إلى تسخير معظم خططه وبرامجه لخدمة التعليم، لهذا فقد عمل على تأسيس مركز طلال أبوغزاله للأبحاث والدراسات في الجامعة التي أعمل فيها أستاذاً للمحاسبة والتدقيق منذ العام ١٩٨٨ في نيويورك، وذلك بهدف المساهمة في تطوير مهنة المحاسبة في الوطن العربي من خلال تزويد القائمين عليها بالأبحاث والمعلومات.

شخصيّة طلال أبوغزاله تؤمن بأهميّة تدعيم وترسيخ مهنة المحاسبة في المنطقة العربية كعامل أساسي نحو النمو والتطور والتقدم، وقد عملنا معاً على تأسيس كليّة طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الأعمال في الأردن، حيث يتم تدريس المواد فيها باللغة الإنجليزية. وستكون هذه الكلية رائدة ومميزة في الشرق الأوسط، ليس فقط في منهاجها، بل بأسلوبها المتطوّر، حيث يتمكّن الطالب الخرّيج من الدخول مباشرة إلى حقل العمل من دون حاجةٍ إلى سنوات الخبرة التي تعدّ العائق الرئيسي في وجه معظم الطلبة حديثي التّخرج.

## سندباد بلا حدود

### غادة فؤاد السّمّان، أديبة لبنانية

كثيرون هم الذين يختزلون تاريخهم بدفتر شيكات. كثيرون هم الذين يعلّقون فوق صدورهم ربطات عنق أنيقة كوسام فخريّ، كثيرون هم الذين يحملون "بايباتهم" كلافتة لعنوانٍ عريض يقرأه فقط قِصارُ النظر.

وإكراماً لخصوصية اللفظ وقدسية التأويل بحسب المصادر الفقهية، أقول: إنها ليست الصدفة هي التي جمعَتني به، وإنما هو قدَرٌ محدَّد مدبَّر بموعد كوني مسبَّق لا ناقة لي فيه ولا جمل، ففي زيارة قصيرة للأردن قبل بضع سنين كان ثمة عنوان بارز "طلال أبوغزاله". لم يكن في نيتي السؤال وقتها عمّن يكون، بل لم يكن في الحسبان أيضاً، لكنّ ذكْره كان ملحاحاً، فلكلِّ شخصٍ عرَفه إضافةٌ وشهادةٌ ومحبةٌ وإكبار.

عجبتُ لأمرهم جميعاً إلى حدّ بلغ فيه الهاجس داخلي مبلَغه، فواحدٌ قال: إنه المُعلّم. وآخر قال: إنه الأستاذ. وثالث قال: إنه الحكيم. ورابع قال: إنه الصديق. وغيرهم قال: إنه اللهوف... وغيرهم قال وقال وقال... فقلت: حسْبكم! ما هذا التفرّد، وهو مفرد فرد، فكيف جمعتموه إلى هذا الحدّ؟! قيل: أعرَفْتِه؟! قلتُ: لا. قيل: إذن لآرائك قليلُ صواب، ولسخطك الدائم بعضُ التجنّي. قلت: أين السبيل؟ قيل: خطوة!

لم أفهم يومها ما الذي يجنيه هذا السندباد من تجواله المتواصل عبر أرجاء الكوكب، ولم أفهم كيف استطاع أن يصير شعلة وهّاجة بحجم خطوط طول المعرفة وعرضها، ولم أُلِمّ بمحوريّته اللافتة في كل محفل ومنبر ومعجم! فقط فهمتُ أنه بفضل نشاطه الزائد هذا يعتاش أكثرُ من ألف موظف وعائلته... فهمتُ أنه يحرص كل الحرص على أن يدعم كل طالب علم ويساعده للتأهيل الدراسي والمعرفي... فهمت أنه رغم كل الشهادات التي غنمها من هنا وهناك لا يعترف إلا بشهادة واحدة، وهي شهادة الحقّ في كل موقف وكل حين... فهمتُ أنه لا يفاخر بغير هويته الفلسطينية جاعلاً إياها فوق كل امتياز، وأنه يوقّع بكبريائه واعتداده يقينَ الأمل، وأنه يرثي بتفاؤله شهداءَ الوطن... فهمت أن عفويته فوق كل بروتوكول، وانحناءه الأسمى لكل بساطة وبسيط.

طلال أبوغزاله يشكّل لديَّ استثناءً خاصاً لاحترامٍ كبير، ولأنّ الاحترام عندي مطلبٌ ومذهبٌ ومنهجٌ ومرتبةٌ واكتراثٌ، فهو حقاً رجلٌ دون كل الأشباه.

## هنيئاً له بما أنجز وهنيئاً لنا به...

## حسن أبو نعمة، عضو في مجلس الأعيان، وسفير سابق للأردن لدى الأمم المتحدة

عرفتُ الأخ، ورفيقَ العمر، طلال أبوغزاله، منذ جلسنا معاً على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية ببيروت في منتصف خمسينيات القرن الماضي، وعندما أقول إن اتصالنا الوثيق لم ينقطع على مدى ما يزيد على نصف قرن، فإنّما لأستند إلى الأسس التي بنى عليها هذا الإنسان الهادئ الوادع المتواضع أعظمَ الإنجازات، ليس فقط في مجالات مهنة الرقابة المحاسبية، بل وفي القدرة الفذّة على استشراف الآفاق الصحيحة للعمل الاقتصادي والسياسي على المستوى الدولي، لدرجة أن أصبحت منظمة الأمم المتحدة، على عظمتها وقدراتها الفائقة، تستفيد من قدراته الفذّة في أداء أدقّ مهامها.

لم يتغير طلال خلال العقود الستة التي ربطَتنا بأوثق العلاقات وأقربها، هو ذاتُه الذي ميزتْ شخصيتَه الفذةَ قدرةٌ فائقة على القيادة وتصميمٌ لا يتبدّد للوصول إلى الهدف، ورؤية واضحة لِما أراد أن يحققه منذ سنين عمره الأولى، وثقةٌ ثابتة بالنفس، وإيمانٌ عميق بمبادئ رسمَها لنفسه تتعلق بوطنه، وبمهنته، وبأسرته، وبمجتمعه، وبأصدقائه؛ وبشجاعة لم تنَلْ منها ظروفٌ قاهرة، وأزماتٌ بالغة القسوة، تعرّضَ لها، وخرج منها كلَّ مرة بأقوى مما كان عليه. في أحسن الأحوال، وفي أحلكها، لم تفارق طلال روحُ المرح والدعابة ومعالجة أصعب القضايا بهدوءٍ تلمسه في نفسه المطمئنة الواثقة.

لقد تميّزت مسيرة طلال الشاقة بصفاتٍ نادرة وقدرات غير مسبوقة على الجمع الناجح بين الأضداد، فلم تكن صلابته في التمسك بالمبادئ الوطنية خاصةً، سبباً لتخلّيه عن الكياسة والمرونة والرفق الودّي في التعامل، ولم تكن متطلبات الالتزام بأقصى درجات الجديّة في المضيّ من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة لَتُفْقِده أجمل ما في شخصيّته من الظرف ومتعة التعامل والأريحية. كما إن البنيان الشامخ الذي شيّده، لم يغيّر في التزامه بقواعد العمل الجادّ ومتابعة كل صغيرة وكبيرة ومواصلة العمل ليلاً نهاراً لا من أجل مكسب مادي -وما كان ذلك صعباً عليه لو أنه أراد-بل لأجل تطلّعاتٍ رآها منذ طفولته. فهنيئاً له يراها تتحقق في أكثرها وهو في أجمل سنوات حياته؛ يرى الصرحَ العالي وقد قام؛ والهدفَ وقد تَحقّقَ منه الكثير، ولكن دون ما هو أعظم وأكبر وهو تحرير الوطن من الاحتلال؛ والأسرةَ العزيزة وقد كبرت وازدهرت والصحة ما تزال طيبة والمعنويات عالية والعطاء زاخراً والمستقبل زاهراً ومضموناً. فهنيئاً لطلال أبوغزاله بما أنجز وهنيئاً لنا به.

# رحلةٌ مُتَوَّجةٌ بالنجاحات

## ثابت الطاهر، وزير أردني سابق، ومدير عام سابق لمؤسسة عبدالحميد شومان

الأخ الصديق العزيز الدكتور طلال أبوغزاله؛ هذا الإنسان الكبير الذي تشكّل سيرته الشخصية والمهنية قصةَ نجاح يحتذى بها، ويحقّ لهذا البلد أن يفاخر بها ويتحدث عنها. فمِن يافا، مسقط الرأس في فلسطين في العام ١٩٣٨، إلى عمّان، تمتد رحلة سعادة العين أبوغزاله، وهي رحلة متوّجة بالنجاحات المتتالية ومقرونة بالجهد الدؤوب والمثابرة والذكاء والاجتهاد الذي وضعه على رأس واحدة من أهم المؤسسات العالمية التي تقدم سلسلة متكاملة من الخدمات المهنية ذات الجودة العالية، والعمل الدائم على تأهيل موظفيها وفق أعلى المعايير الدولية للمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوطن العربي ضمن إطار الاقتصاد العالمي.

منذ تسلّمتُ إدارة منتدى شومان في أواخر العام ٢٠٠٣، استضاف المنتدى طلال أبوغزاله أربع مرات لإلقاء محاضرات في الشأن العام، وعند مراجعتي لهذه المحاضرات، وأثناء إعدادي لهذه الكلمة برزتْ أمامي ملاحظتان مهمتان تستوجبان الإشارة والتنويه، أما الملاحظة الأولى فتكمن في حرص أبوغزاله على التجديد والتنويع في محاضراته، ففي العام ٢٠٠٤ حدّثَنا أبوغزاله عن "الجديد في النظام العالمي الجديد"، وفي العام ٢٠٠٧ كان عنوان حديثه إلينا "التعليم العالي وتحديات الرقابة على الجودة والاعتراف"، أما في العام ٢٠٠٨، فقد حدّثنا عن "الاقتصاد العربي والعالمي في مفترق طرق"، وأخيراً "الأردن والمنطقة: إلى أين نتّجه جيو-اقتصادياً".

أما الملاحظة الثانية التي استوقفتني أثناء الكتابة فهي سيرته الذاتية، ففي كل مرة يتحدث فيها إلينا أكتشف أن رصيده قد ارتفع وارتفعت معه المكانة المرموقة والمهام الكبيرة التي يتولّاها ويضطلع بها على المستويات العربية والإقليمية والدولية، وهذا ما يتجلّى في الشهادات الفخرية والأوسمة المختارة الممنوحة له، ومواقع رئاسته وعضويته في مجالس إدارات مختلفة، والمطبوعات التي يُصدرها من معاجم وكتب وقواميس، والجوائز التي ينالها كالجائزة التقديرية من الاتحاد العربي لحماية حقوق الملْكيّة الفكريّة. وما انتخابُه في جنيف رئيساً مشاركاً لمنتدى التحديات العالمية، وهي منظمة متميزة تضم مؤسسات الفكر والرأي ومراكز البحوث والمؤسسات الأكاديمية، إلّا ثمرة إنجازاتٍ لا تتوقف.

وها هو طلال أبوغزاله يحظى بثقة سيّد البلاد جلالة الملك عبدالله الثاني، بتعيينه عضواً في مجلس الأعيان الأردني. فيا لها من رحلةٍ تتوِّجُها النجاحات...

## عالِم موسوعيّ

## د. صالح هاشم، الأمين العام السابق لاتّحاد الجامعات العربيّة

ترجع معرفتي وعلاقتي بالدكتور طلال أبوغزاله إلى الفترة التي كنت فيها رئيساً لجامعة عين شمس مطلع الألفية الثالثة، وتعززت هذه العلاقة وتوطّدت عندما تسلّمتُ مهام الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية في المقرّ الدائم بالعاصمة الأردنية عمّان، وكان خيرَ داعمٍ في هذا العمل العربي الحضاري المهم.

عرفتُ في طلال إنساناً عروبياً صادقاً يهتم بقضايا الوطن العربي، وعلى رأسها قضايا جودة التعليم وتطويره باعتباره الأساسَ في بناء الأجيال القادرة على تحمُّل المسؤوليات وتنمية الأوطان، حيث أن التعليم بحقّ هو قاطرة التنمية، وأسمح لنفسي بوصف طلال بـالعالم الموسوعيّ، فهو مؤسسة علمية دائمة الحركة.

عرفتُ فيه إنساناً محبّاً ومخْلصاً لوطنه الكبير وموطنه الأصلي، ومساعدة الصغير قبل الكبير حيثما استطاع فعل الخير، منطلقاً من نشأته العصامية منذ صغره... فمَن يقرأ سيرة حياته يكتشف حجم المعاناة التي عاشها ابتداءً من طفولته مروراً بمرحلة الشباب وصولاً إلى تكوين مجموعته المهنية الرائدة على مستوى الوطن العربي والعالم.

واستطاع طلال بجهده وصبره وكفاحه، وبعمله المتواصل الدؤوب، تحويل نقمة المعاناة إلى نعمة وخير للانطلاق إلى آفاق رحبة أهّلته ليتبوّأ مراكز قيادية في المؤسسات الإقليمية والعربية، ويغدو شخصيةً عربية دولية مرموقة يشار إليها بالبنان.

ثم انطلق طلال إلى العالمية، حيث اختير من قِبَل الأمين العام للأمم المتحدة لمنصبٍ دولي حيويّ مهمّ، وتولّى مهام رئاسة الائتلاف العالمي لتقنية المعلومات والاتصالات.

قبل هذا وذاك، لا بد من الإشارة إلى مكانة طلال أبوغزاله المرموقة في مجال الملْكيّة الفكريّة واختياره في قائمة مشاهير الملْكيّة الفكريّة، وفي العديد من الهيئات العلمية المهنية الدولية، وقد تُوِّجَتْ هذه الإنجازات بالعديد من الأوسمة والشهادات والدّروع من الزعماء والقادة والمؤسسات العربيّة والدوليّة.

# المنظّم المبدع

## د. جواد العناني، نائب رئيس الوزراء الأردني سابقاً

تستحق سيرة طلال أبوغزاله دراسة متعمّقة وكتاباً علمياً تحليلياً نتعلّم منه، فحياة الرجال الأفذاذ تشكّل دائماً منبعاً من التجارب والدروس والعِبَر، وأدمغتهم تختزن الحكمة والتجربة والعلم النافع مما يشكّل "بصائر للناس" كما جاء في الآية الكريمة، وفي حياتهم نجاحات وزلات، صعود وهبوط، عزة وامتحانات، ونحن التلاميذ ينبغي أن نطّلع عليها.

ولعل سيرة أخي د. طلال أبوغزاله لها ميّزة خاصة عرفْتُها من خلال تجربتي معه والتي بدأت منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي، ولقد صاحبْتُه في رحلاتٍ كثيرة إلى الدوحة، وأبو ظبي، ولندن، ودافوس، وشاركتُه ندواتٍ ومؤتمرات كثيرة، وكنتُ معه في المنتديات والجهود الجادّة لخدمة الوطن في السنوات الأخيرة، فكنتُ أسأل: مَن هو هذا الرجل العنيد الذي تحدّى أمانة عمّان الكبرى لسنواتٍ لأنها تريد وضع يدها على إحدى بنايات شركاته بحجة النفع العام، ويفوز أخيراً؟ وكيف استطاع أن يجتاز أزمات حادة في السبعينيات أو الثمانينيات؟ وكيف طوّر أعماله من صيغة إلى أخرى فجدّدَ حياةَ مؤسساته وبقي متقدماً دائماً؟ ومن أين يأتي بالبصيرة ليرى ما سيحتاجه الناس وينفعهم قبل الأوان وقبل سواه؟

هذه الأسئلة وسواها تجعلني أعود إلى تراثنا في قصص الجنّ والإنس، فأقول إن هذا الرجل له قرينٌ يريه أشياء لا نستطيع رؤيتها. أليس هذا هو تعريف المنظّم المبدع؟

وأخيراً، إنّ ما يميّز طلال أبوغزاله أنه لم يبقَ في الإطار الذي بدأ منه.

## رجل بهمّة يساوي أمّة

### مازن الحساسنة، رئيس مجلس إدارة اتحاد رجال الأعمال الفلسطيني التركي في إسطنبول

في حضرة أصحاب الهامات الشامخات أُوْلي العزم وأهل الإنجاز، نقف تبجيلاً وتقديراً لصاحب مسيرة متميزة وتاريخ عظيم متّكئ على جدار الهمة والسعي والكفاح، وهذا ما يحرّك في صدري نشوة الفخر الفلسطيني الأردني العربي الذي نباهي به الأمم، فالدكتور طلال أبوغزاله أحد أولئك الذين أعادوا صياغة الأنموذج المولود من رحم اللجوء والحرمان ليتحول إلى شمس تسكن السماء رمزاً للنصر، وشعاراً للنجاح المبهر.

يحقّ لي ولكل رجال الأعمال الفلسطينيين في تركيا ولأبناء الجالية الكبيرة ونحن نكرّم هذا الرجل المعطاء، أن نفخر بأحد الأعلام العالمية الذي جسّد قيمة وقامة الفلسطيني الحقيقي المناضل من أجل هويته الوطنية، مرسّخاً -عملاً وعلماً-أيقونةَ نجاح يشار إليها بالبنان، فصار طلال أبوغزاله معجزةَ الفلسطيني المهجَّر وملحمةً فلسطينية أثبتت أننا شعب جبّار لا نموت هواناً، بل نحيا ونتفوّق ونمضي نحو العلياء رغماً عن محاولات الإلغاء والشطب التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني.

تكريمنا لأبوغزاله هو جزءٌ بسيط جداً بالقياس إلى ما قدّمه لشعبه ووطنه وقضيته وأمته. من هنا أطلقنا في تركيا شعار "رجل بهمّة يساوي أمّة"، وهذا هو طلال أبوغزاله بتاريخه وحراكه وبصماته الدامغة ومساره المعرفي والأكاديمي والاقتصادي والاجتماعي. فهو من المؤثرين الراسمين للفعل الاقتصادي في المنطقة، ومن بين الأشخاص الأكثر إبداعاً في علوم المعرفة، وهو العلّامة الوطنية والنضالية المسجّلة حقوقها ملْكاً للشعب الفلسطيني والأردني والعربي.

## عاشق فلسطين

## سيادة المطران عطا الله حنا، رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس

”من رحاب القدس نبرق برسالة الوفاء والاحترام والتقدير للدكتور طلال أبوغزاله الذي نعتبره علماً إنسانيا وعلما من اعلام امتنا العربية“.

هنالك آية في الكتاب المقدس تقول: ”من وضع نفسه ارتفع ومن رفع نفسه اتضع“ وهذه الآية الانجيلية انما تشير بوضوح الى ان عظمة الانسان تكمن بتواضعه فكلما كان الانسان متواضعا كان عظيما امام الله وامام الناس.

صديقنا وعزيزنا الدكتور طلال أبوغزاله انما هو عظيم بتواضعه وانسانيته واخلاقه ومبادئه والقيم التي نادى وما زال ينادي بها.

انني وبكل افتخار واعتزاز أصف الدكتور طلال أبوغزاله ومن قلب مدينة القدس التي اخاطبكم منها بأنه ”عاشق فلسطين“ ونحن نفتخر بالدكتور طلال أبوغزاله الذي يفتخر دوما بأصوله ولم ينسى في يوم من الأيام بأن القضية الفلسطينية هي قضيتنا جميعا حيثما كنا واينما تواجدنا ومن واجبنا جميعا ان ندافع عن هذه القضية.

التقيته مرارا وتكرارا فكنت المس في كلماته الحكمة والرصانة والوعي والالتزام بالانتماء الإنساني أولا والانتماء العربي ثانيا.

انه الانسان المثقف بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معاني فهنالك أناس يحملون شهادات ولكنك عندما تجالسهم تكتشف انهم بعيدون كل البعد عن الثقافة والفكر.

الدكتور طلال أبوغزاله يحمل رسالة إنسانية ثقافية فكرية والنجاحات الباهرة التي تحققت في مشاريعه وطموحاته وبرامجه انما سببها الأساسي كونه صاحب رسالة وصاحب فكر أخلاقي وروحي انساني نبيل.

الشعار الذي وضعه في مدخل مكتبه (الله محبة) وما أحلى وما أجمل هذا الشعار الذي يجسد القيم التي تربى عليها صديقنا وعزيزنا الدكتور طلال أبوغزاله.

دافع عن فلسطين في كافة الأماكن التي تواجد فيها وكان ينتقل من عاصمة الى عاصمة ومن دولة الى دولة ليس فقط لكي يروج لمشاريعه البناءة والناجحة بل مع كل ذلك كان يبشر دوما بعدالة القضية الفلسطينية.

اود ان أقول للدكتور طلال أبوغزاله من قلب فلسطين التي يعشقها بأن فلسطين تحبك وهي وفية لك وتفتخر بك وبعطاءاتك وبكل ما قدمته للإنسانية وللوطن العربي وللأردن الذي تحبه وتنتمي اليه كما تحب فلسطين وتنتمي اليها.

نلت الكثير من الجوائز والاوسمة ومن يزورك في مكتبك يرى ان الجدران مليئة بالصور التذكارية مع زعماء العالم كما انها مليئة بالأوسمة والدروع التكريمية التي نلتها بجدارة.

وإننا نعتقد بأن تكريمك هو ليس تكريم لشخصك الكريم فحسب بل هو تكريم للأردن وتكريم لفلسطين وتكريم للإبداعات والمواقف الإنسانية والأخلاقية النبيلة التي حملتها في قلبك منذ عشرات السنين.

اما الحضور المسيحي العريق في هذا المشرق العربي فقد كنت دوما حريصا على ابراز اصالته في كل مكان تذهب اليه وانت الذي كنت دائما تقول بأن المسيحية انطلقت من ديارنا والمسيح ولد في بلادنا والمسيحيون المشرقيون العرب هم اصيلون في انتمائهم للامة العربية وللمشرق العربي وقضاياه الوطنية وفي مقدمتها قضية فلسطين.

كم نحن بحاجة الى خطابك في هذه الظروف العصيبة التي نمر بها، كم نحن بحاجة الى مواقفك الوحدوية في هذه الظروف المأساوية التي تعصف بمشرقنا العربي حيث يسعى أعداء الامة العربية لشرذمتنا وتفكيكنا واثارة الضغينة في صفوفنا وبين ظهرانينا وقد اوجدوا لنا أدوات مُسخرة في خدمتهم وهي الوجه الاخر للصهيونية بهدف تفكيك مجتمعاتنا واثارة الفتن فيها وتحويلنا الى طوائف وقبائل ومذاهب متناحرة فيما بينها بدل من ان نكون امة واحدة وعائلة واحدة.

كم نحن بحاجة اليك والى امثالك الذين ينادون بالتسامح والوحدة والتلاقي بين الانسان وأخيه الانسان، كم نحن بحاجة لأولئك المثقفين والمفكرين والمبدعين الذين يعملون من اجل توحيد الصفوف وافشال كافة المؤامرات والمخططات التي تحيط بنا وتستهدف قضايانا الوطنية وفي مقدمتها اعدل قضية عرفها التاريخ الإنساني الحديث الا وهي قضية فلسطين.

العرب بكافة طوائفهم واطيافهم يثمنون مواقفك والمسيحيون في فلسطين وفي المشرق العربي يفتخرون بك علما من اعلام امتنا العربية وعلما من اعلام الأردن الشقيق وفلسطين العزيزة على قلبك دوما، كما اننا نعتبرك علما وحدويا نادى دوما بالتسامح والتلاقي والمحبة بين الانسان وأخيه الانسان.

نرفع الدعاء الى الله من اجل صحتك وعافيتك فأنت حكيم من حكماء امتنا ومفكر ومثقف من المفكرين والمثقفين الذين نفتخر بهم وبإنجازاتهم وعطائهم ونجاحهم.

أفتخر بأنني واحد من اصدقائك وافتخر بأنني التقي معك دوما وفي كل لقاء واجتماع ازداد فخرا بك واعتزازا بصداقتنا وعلاقتنا الأخوية.

من القدس عاصمة فلسطين نبرق اليك برسالة الوفاء والافتخار والاعتزاز ونحن معك كنا وسنبقى في كل عمل طيب وفي كل نشاط هادف لخدمة مجتمعنا وامتنا وقضايانا الوطنية العادلة وفي مقدمتها قضية فلسطين.

## طلال أبوغزاله... رجل المراحل كلها وبجدارة!

بعد كل هذه الشهادات هل هناك من مزيد؟ والجواب: نعم، ففي كل شهادة اكتشفتُ جانباً جديداً من شخصية طلال أبوغزاله، ويجمع العارفون به انه نموذج للذكاء الفطري منذ العاشرة من العمر حين أدرك انه فَقَدَ كل شيء وعليه ان يبني من لا شيء كل شيء. وهو مثال الطموح المبكر فثابر على اقتناص العلم من المدرسة والجامعة بطرق ووسائل غير مسبوقة. وهو قدوة تحتذى في العمل الدؤوب فأسس شركاته ونشرها، وبنى امبراطورية عالمية حجراً حجراً. هو رمز للعلم والتعليم والقراءَة المستديمة، وهو السبّاق الى اقامة اولى الجامعات الذكية في المنطقة العربية.

ولا يكتمل المشهد إذا لم نذكر ان كل ما فكر به طلال أبوغزاله وحلم به وأقدم عليه وأنجزه يعتمد المعرفة قاعدة واساساً ومنهجاً. يعرف مهنته حق المعرفة، ويعرف ابعاد قضيته كفلسطيني وعربي، ويعرف ان يطلّ على الناس فيقنعهم بأن الشعوب العربية، وبخاصة الشعب الفلسطيني، جديرة بالحياة والمستقبل، وان الحقوق العربية والفلسطينية مغتصبة، وان الارض العربية والفلسطينية محتلة. وهو يعرف انه لا يعرف، فلا يتوقف عن التفتيش عن المعرفة عبر مطالعاته اليومية وكتاباته المتلاحقة ومحاضراته الشيقة وتحمل مهامه المهنية والدولية، وكان آخرها تكليفه من قبل قمة البوسفور السابعة لانشاء "مجلس العالم الذي نريد".

يصح في طلال أبوغزاله قول العلامة الفرنسي هنري برغسون: "يشيخ الجسم ويهرم، اما العقل فيبقى حياً متقداً يبحث عن المعرفة ويسأل: هل من مزيد؟"، وجوابي نعم، ان طلال أبوغزاله ما زال يفتش عن المزيد، وتسكنه المعرفة كأنشودة حياة.

**كريم بقرادوني**

# صور مختارة

شارع باسم عائلة أبوغزاله في يافا

منزل عائلة أبوغزاله في يافا

مدخل منزل والد طلال
السيد توفيق أبوغزاله في يافا

منزل الحاج توفيق أبوغزاله، محفور أعلى الباب (إن هذه العمارة ملك توفيق ابوغزاله)، منزل العائلة في يافا

الفندق المملوك لعائلة أبوغزاله في ساحة سينما الحمراء وسط يافا

طلال أبوغزاله مع أقرانه في المرحلة الابتدائية

طلال أبوغزاله عام ١٩٥١

صورة تخرج طلال أبوغزاله
من الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٦٠

طلال أبوغزاله عام ١٩٦٢

طلال أبوغزاله يلقي كلمة خلال الاحتفال بانشاء كلية إدارة الأعمال في الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٧٨

السيد توفيق أبوغزاله وحرمه السيدة أديبة أبوغزاله والدا طلال أبوغزاله

مشاركة الدكتور طلال أبوغزاله في احدى فعاليات كلية الأعمال بالجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٥٩

السيد توفيق أبوغزاله مع حاكم "الغازية" صيدا، لبنان عام ١٩٤١

فندق عائلة أبوغزاله في يافا

فندق عائلة أبوغزاله من الداخل

رئيس الجمهورية اللبنانية السابق ميشال سليمان يستقبل الدكتور طلال أبوغزاله

مع دولة رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري-بيروت ١٩٩٥

يستقبله جلالة الملك الحسين بن طلال المعظم في الديوان الملكي الهاشمي-عمان ١٩٨٦

مع فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، تونس ١٩٨٥

الأستاذ محمد الغنوشي رئيس الوزراء التونسي يستقبل الدكتور طلال أبوغزاله في مكتبه بقصر الحكومة في القصبة تونس

الأمين العام للأمم المتحدة السيد بان كي مون والدكتور طلال أبوغزاله في مقر الأمم المتحدة في نيويورك-الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور طلال أبوغزاله مع السيد بيل جيتس رئيس مجموعة مايكروسوفت

الملك سلمان بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية-عندما كان أميراً لمنطقة الرياض سابقا- يستقبل الدكتور طلال أبوغزاله في مكتبه

الدكتور طلال أبوغزاله يتسلم درعاً من خادم الحرميين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله ورعاه

صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين والملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين في حفل زفاف صاحب السمو الملكي الأمير راشد بن الحسن

جلالة الملك عبدالله الثاني والدكتور طلال ابوغزاله خلال افتتاح الجلسة العادية الأولى للبرلمان السادس عشر

مع صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء البحريني في المنامة

مع صاحب السمو الامير الحسن بن طلال، أمام مبنى جامعة طلال أبوغزاله ٢٠١٣

مع رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية الراحل ياسر عرفات في مقر إقامته، تونس ١٩٨٥

مع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس

فخامة الرئيس التركي عبدالله غول يستقبل الأستاذ طلال أبوغزاله في السرايا في طرابيا- اسطنبول ٢٠١٠

مع الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران

مع رئيس الجمهورية اللبنانية السابق ميشال سليمان

مع الرئيس السوري بشار الأسد

مع الأميرة فيكتوريا أنغريد ولي عهد السويد

مع سمو الأمير فيصل بن الحسين

جامعة بيت لحم تمنح الدكتور طلال أبوغزاله
الدكتوراة الفخرية في العلوم الانسانية ٢٠١٤

مع الأمين العام لجامعة الدول العربية -سابقاً-
معالي عمرو موسى

مع صاحب السمو
الأمير عيسى بن سلمان آل خليفة - البحرين

مع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن
حمد آل خليفة - البحرين

مع فخامة الرئيس العراقي
الدكتور فؤاد معصوم

وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الأولى من
جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين، المملكة
الأردنية الهاشمية، قصر رغدان ٢٠١٦

مع الشيخ عبدالله الجابر الصباح
مستشار أمير دولة الكويت

مع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم،
حاكم إمارة دبي

حفل رسمي لتكريم سعادة الدكتور طلال أبوغزاله
بالمواطنة الشرفية من قبل رئيس بلدية بينيفنتو
في إيطاليا بحضور ممثل الحكومة الإيطالية

مع جلالة الملك الحسين بن طلال
في الديوان الملكي الهاشمي، عمان ١٩٨٦

مع جلالة الملك عبدالله الثاني المعظم
في الديوان الملكي الهاشمي، عمان ٢٠١١

الاستاذ طلال أبوغزاله يرحب بالرئيس السابق
للجمهورية اللبنانية العماد اميل لحود في المنتدى
المالي والمحاسبي العربي في بيروت ٢٠٠٩

مع سعادة الأستاذ شربل عون، سفير الجمهورية
اللبنانية في الأردن في مقر السفارة اللبنانية في
عمان - الأردن ٢٠١٠

مع صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل
خليفة رئيس الوزراء البحريني، البحرين، المنامة

رئيس جمهورية الصين الشعبية السيد شي جين
يكرم سعادة الدكتور طلال أبوغزاله ضمن عشر
شخصيات عربية ويمنحهم جائزة المساهمات البارزة
للصداقة الصينية العربية ٢٠١٦

مع سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي
- حاكم الشارقة

مع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

مع الرئيس جيمي كارتر، ١٩٨٧

مع الملك الإسباني فيليب السادس، يدعو
لاستضافة مكتب إقليمي للأمم المتحدة
للسياحة ٢٠١٨

مع سمو الأمير رعد بن زيد - الأردن

مع الأمير فيليب، قصر باكنغهام،
بمناسبة حوار الأديان

الرئيس السابق للجمهورية الالمانية كريستيان فولف منتدى الالماني العربي الثالث للمياة غرفة تجارة عمان ٢٠١٥

مع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة ٢٠١٧

مع جلالة الملكة نور الحسين المعظمة-عمان

مع السيد حسن نصرالله

في حديث مع وزير التجارة الفرنسي ميشيل جوبير

السفير ديفيد كروس منسق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الولايات المتحدة، عمان ٢٠٠٥

مع موظفي المجموعة بعد تأسيسها في الكويت

طلال أبوغزاله يفتتح الاجتماع العام السنوي لمجموعة طلال أبوغزاله لوس انجلوس الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٤

يرأس اجتماع الهيئة العامة للمجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين

كلمة الدكتور طلال أبوغزاله في احتفال تأسيس المجمع العربي للملكية الفكرية ميونخ ١٩٨٧

فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه يستقبل رؤوساء مجلس المجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين، تونس ١٩٨٤

مع صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي، حاكم إمارة رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة

مع السيد عبد اللطيف الحمد، رئيس مجلس إدارة الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والإجتماعي، وزير المالية الكويتي الأسبق

مع الشيخ عبدالله الجابر الصباح، مستشار امير الكويت والإمام موسى الصدر

مع السيد إدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا

في حديث مع وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر

الأستاذ طلال أبوغزاله والسيد جيري كاستالانيلا رئيس مجلس أمناء جامعة كانيشيوس - بافلو ١٩٨٨

هيئة المحكمة أثناء مسابقة المحاكمة الافتراضية للملكية الفكرية التي عقدها المجمع العربي للملكية الفكرية بالتعاون مع الجامعة الأردنية

اختيار الدكتور طلال أبوغزاله من أبرز مئة شخصية محاسبية في العالم ٢٠٠٢

يعتلي منصة الأمم المتحدة

مع الأمين العام للأمم المتحدة السيد بان كي مون في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية

في اجتماع فريق خبراء منظمة التجارة العالمية

في مقر الأمم المتحدة في نيويورك الولايات المتحدة الامريكية

مع الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، احدى اجتماعات الميثاق العالمي، الولايات المتحدة الامريكية

مع الأمين العام للامم المتحدة بان كي مون وأعضاء الميثاق العالمي

مع الأمين العام للأمم المتحدة -سابقاً- كوفي عنان

مع الأمين العام للأمم المتحدة -سابقاً- كوفي عنان في مقر الأمم المتحدة-نيويورك

الدكتور طلال أبوغزاله في حوار حول تكنولوجيا المعلومات والإتصالات مع السيد بيل جيتس ولبنى القاسمي وعلي صالح الصالح وأحمد نظيف، ٢٠٠٤

الدكتور طلال أبوغزاله نائب الرئيس لائتلاف الأمم المتحدة العالمي لتقنية المعلومات والاتصالات والتنمية في مقر اليونسكو في جلسة افتتاح منتدى إمكانيات اكتساب المعرفة وتقاسمها، باريس ٢٠٠٩

مع السيدة ايرينا بوكوفا المديرة العامة لليونسكو- بمقر اليونسكو في باريس

مع العم عبدالعزيز الصقر، الكويت

مع صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز أمير المنطقة الشرقية، خلال توقيع اتفاقية لدعم مشاريع المرأة

مع سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم، دبي ١٩٨٩

مع سمو الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح امير دولة الكويت عندما كان وزيرا للخارجية، الكويت ١٩٧٨

مع سمو الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح، الكويت

عبد العزيز حمد الصقر رئيس غرفة التجارة و الصناعة في الكويت , يستقبل الأستاذ طلال أبوغزاله و أعضاء من المجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين، الكويت ١٩٨٨

مع سمو الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح رئيس الوزراء السابق في الكويت ٢٠١٢

مع الشيخ صقر بن محمد القاسمي رئيس إمارة رأس الخيمة، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة

صاحب السمو السيد تيمور بن أسعد آل سعيد يكرم سعادة الدكتور طلال أبوغزاله خلال الملتقى الدولي الرابع للربط التقني للبنى التحتية الإلكترونية العربية في إطار البنى العالمية الذي نظمته المنظمة العربية لشبكات البحث والتعليم ٢٠١٥،عُمان، مسقط

مع صاحب السمو
الأمير سطام بن عبد العزيز

طلال أبوغزاله يقدم هدية تذكارية الى معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي، أبوظبي - الامارات العربية المتحدة خلال منتدى الشركات العائلية ٢٠١٢

مع سعادة شريل عون السفير اللبناني لدى الأردن خلال مناسبة توقيع معجم طلال أبوغزاله لتقنية المعلومات والاتصالات-عمّان-الاردن ٢٠٠٩

الدكتور طلال أبوغزاله يتحدث عن تسونامي التعليم عبر الإنترنت-مؤتمر جامعة حمدان بن محمد الذكية عام ٢٠١٤

أثناء حفل افتتاح كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الأعمال

أثناء تخريج أحد افواج كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الاعمال

المشاركون في اجتماع الهيئة التأسيسية لجمعية كلنا لفلسطين-باريس ٢٠١١

مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني والأستاذ طلال أبوغزاله والوزير خالد قباني وزير التربية والتعليم اللبناني في دار الفتوى- بيروت ٢٠٠٥

مع صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبدالله

رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري والدكتور طلال أبوغزاله

السيدة الأولى في القصر الجمهوري السوري أسماء الأسد والدكتور طلال أبوغزاله

سمو الأمير حمزة بن الحسين والدكتور طلال أبوغزاله في حفل تخريج طلبة كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الأعمال

مع سمو الأمير حمزة بن الحسين في حفل تخريج طلبة كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الأعمال

مع الأمين العام لجامعة الدول العربية -سابقاً - عصمت عبد المجيد

مراسم توقيع بروتوكول تعاون إدارة نظم المعلومات للقوات المسلحة المصرية مع مجموعة طلال أبوغزاله، مصر

مع الأستاذ محمد حسنين هيكل

شهادة الدكتوراة الفخرية في إدارة الأعمال، جامعة مؤته، المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠١٥

عن يمينه الدكتور جواد العناني وزير الصناعة والتجارة، وعن يساره السيد ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا الأسبق

في حوار مع السيد ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، ١٩٨٤

مع السيد ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا الأسبق
وعدد من اعضاء المجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين، لندن

فخامة الرئيس اللبناني الياس الهراوي يستقبل الدكتور طلال أبوغزاله والوفد المرافق له في القصر الجمهوري، بيروت

في استقبال الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي لدى حضوره المؤتمر التأسيسي الدولي لمبادرة مجتمع المعرفة الافرواسيوي، القاهرة ٢٠٠٩

خلال الاجتماع السنوي لمجلس الائتلاف العالمي لتقنية المعلومات والاتصالات والتنمية التابع للأمم المتحدة -مونتري ٢٠٠٩

مع السيد دانيال أوليفر، رئيس مصادر القدرة النووية، والدكتور ليونارد فيراري وذلك خلال المحاضرة التي القاها في الكلية البحرية بكاليفورنيا، ٢٠٠٨

يلقي الكلمة الافتتاحية في حفل تخريج جامعة شينغيانغ، الصين ٢٠٠٩

شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب الإنسانية من الجامعة اللبنانية الأمريكية-بيروت-لبنان ٢٠١٨

خلال احدى زياراته للصين، في الخلف تمثال كونفوشيوس

كلمة طلال ابوغزاله بمناسبة منحه وسام جوقة الشرف برتبة فارس-قصر الاليزية فرنسا ١٩٨٥

الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية تمنح الدكتور طلال أبوغزاله لقب -سفير دولي للمسؤولية الاجتماعية

توقيع مذكرة تفاهم بين مجموعة طلال أبوغزاله وشركة سامسونج للإلكترونيات لإنتاج الإصدار الثاني من جهاز-تاجي توب

السيد روبرت ميتران شقيق الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران يسلم الدكتور طلال أبوغزاله وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة فارس- قصر الاليزيه باريس فرنسا ١٩٨٥

السيد روبرت ميتران شقيق الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران، يسلم الدكتور طلال أبوغزاله وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة فارس- قصر الاليزيه - باريس - فرنسا ١٩٨٥

طلال أبوغزاله يتسلم شهادة الأعتماد لبرنامج الماجستير من مؤسسة الاعتماد الاوروبي FIBAA

الدكتور طلال أبوغزاله يستلم درع جامعة شين يانغ الصينية

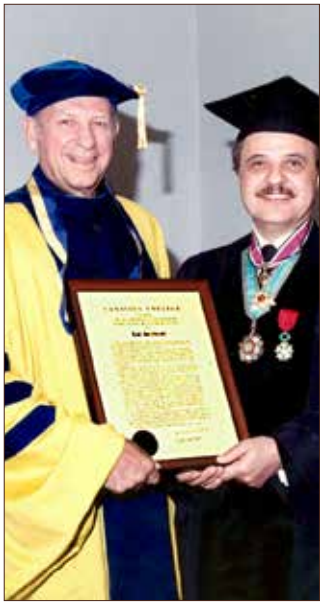

شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة كانيسيوس-بافالو-الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٨

وسام الجمهورية التونسية من فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، تونس ١٩٨٥

سمو الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح رئيس الوزراء الكويتي يقدم الجائزة العربية للإبداع الإعلامي إلى الدكتور طلال أبوغزاله

الملتقى الإعلامي العربي التاسع-تكريم الدكتور طلال أبوغزاله بالجائزة العربية للإبداع الاعلامي

الممثل المقيم لبرنامج الامم المتحدة الانمائي (UNDP) إدوارد كالون يكرم الدكتور طلال أبوغزاله خلال احتفال خاص بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيس البرنامج، برعاية وحضور رئيس الوزراء الاردني الدكتور عبدالله النسور

الأستاذ فؤاد السنيورة يحضر الجلسة الافتتاحية لمجلس إدارة المجمع الدولي العربي للمحاسبين القانونيين، بيروت ١٩٩٧

مع سمو الأميرة بسمة بنت طلال - الأردن

جلالة الملكة نور الحسين المعظمة والدكتور طلال أبوغزاله خلال افتتاح الاوركسترا الوطنية الأردنية

برعاية وحضور جلالة الملكة نور الحسين المعظمة-إفتتاح الأوركسترا الوطنية الأردنية

خلال إفتتاح الأوركسترا الوطنية الأردنية

طلال أبوغزاله ومدير الأوبرا السيد جيرار مورتييه في حفل موسيقي برعاية وتنظيم شركة أبوغزاله للملكية الفكرية (أجيب)، سالزبورج عام ٢٠٠٠

يقدمه جيرارد مارتييه مدير الأوبرا، خلال حفل سالزبورغ ٢٠٠٠

من صور الرعاية الموسيقية

يلقي كلمة افتتاح حفل الأوبرا، سالزبورغ ٢٠٠٠

من صور الرعاية الموسيقية

شهادة تسجيل عقار باسم طلال أبوغزاله
عام ١٩٤٢ صادرة من فلسطين

طلال أبوغزاله على قائمة الشرف
الجامعة الأمريكية في بيروت

The American University of Beirut

On the recommendation of the faculty of

The School of Arts and Sciences

the University has, by virtue of the authority vested in it by charter under the laws of the State of New York in the United States of America, conferred upon

Talal Tawfiq Abu Ghazaleh

the degree of

Bachelor of Business Administration

with all the honors, rights and privileges in that degree appertaining.

In Testimony whereof, the seal of the University and the following authorized signatures are affixed. Given at Beirut, Lebanon, on this twentieth day of June in the year nineteen hundred and sixty.

الجامعة الأميركية في بيروت

بناء على توصية الهيئة الموقعة من هذه الشهادة

كلية الآداب والعلوم

طلال توفيق ابو غزالة

بكالوريوس في علوم التجارة

الشهادة الجامعية الأولى
من الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٦٠

شهادة شهرة الملكية الفكرية ٢٠٠٧

شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة بيت لحم ٢٠١٤

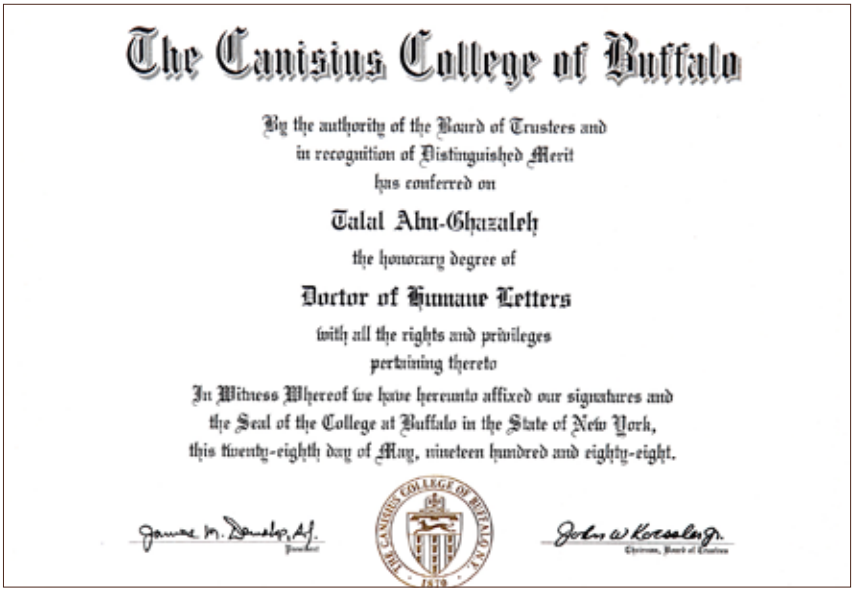

The Canisius College of Buffalo

By the authority of the Board of Trustees and
in recognition of Distinguished Merit
has conferred on

Talal Abu-Ghazaleh

the honorary degree of

Doctor of Humane Letters

with all the rights and privileges
pertaining thereto

In Witness Whereof we have hereunto affixed our signatures and
the Seal of the College at Buffalo in the State of New York,
this twenty-eighth day of May, nineteen hundred and eighty-eight.

شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب
من جامعة كانيسيوس-بافالو-الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٨

جامعة مؤتة

طلال توفيق أبو غزالة  المولود في يافا  عام ١٩٣٨

درجة الدكتوراه الفخرية في إدارة الأعمال

شهادة الدكتوراة الفخرية في إدارة الأعمال
جامعة مؤته-المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠١٥

الجمهورية اللبنانية
REPUBLIQUE LIBANAISE
وثيقة سفر
الاجئين الفلسطينيين
DOCUMENT DE VOYAGE
POUR LES
RÉFUGIÉS PALESTINIENS

الجمهورية اللبنانية
REPUBLIQUE LIBANAISE
وزارة الداخلية
مديرية الامن العام
MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR
DIRECTION DE LA SURETÉ GÉNÉRALE
Les fonctionnaires du Gouvernement Libanais, ses représentants à l'extérieur et les autorités Etrangères compétentes sont priés de laisser passer librement le détenteur de ce document et de lui accorder aide et protection en cas de besoin.

PHOTOGRAPHIE
Epouse الزوجة
Titulaire حامل الوثيقة
Signature de l'épouse
Signature du titulaire

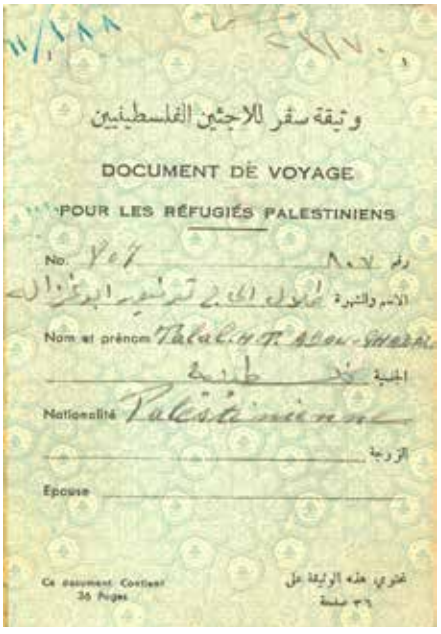
وثيقة سفر للاجئين الفلسطينيين
DOCUMENT DE VOYAGE
POUR LES RÉFUGIÉS PALESTINIENS
No.
Nom et prénom
الجنسية
Nationalité
الزوجة
Epouse
Ce document Contient 36 Pages

وثيقة سفر للاجئين الفلسطينيين، لبنان

شهادة الجنسية الأردنية

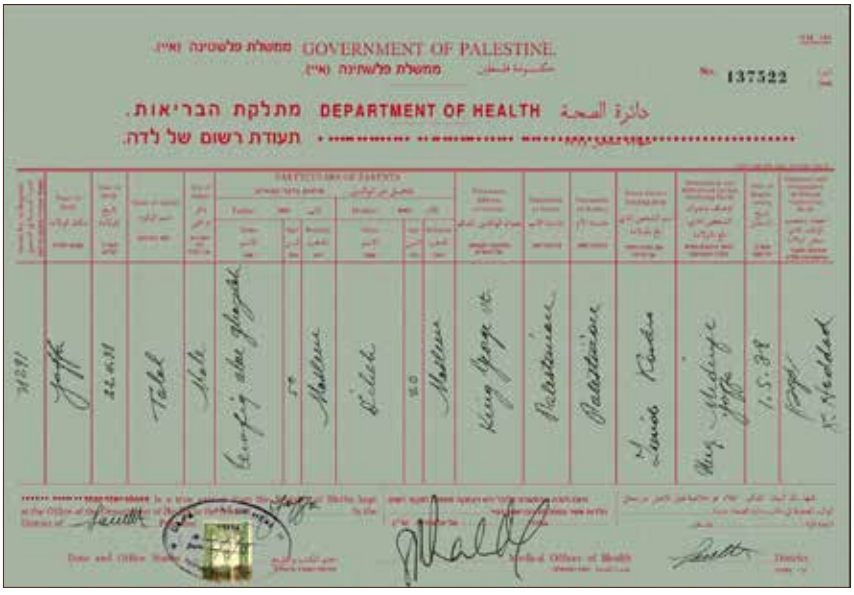


شهادة الولادة

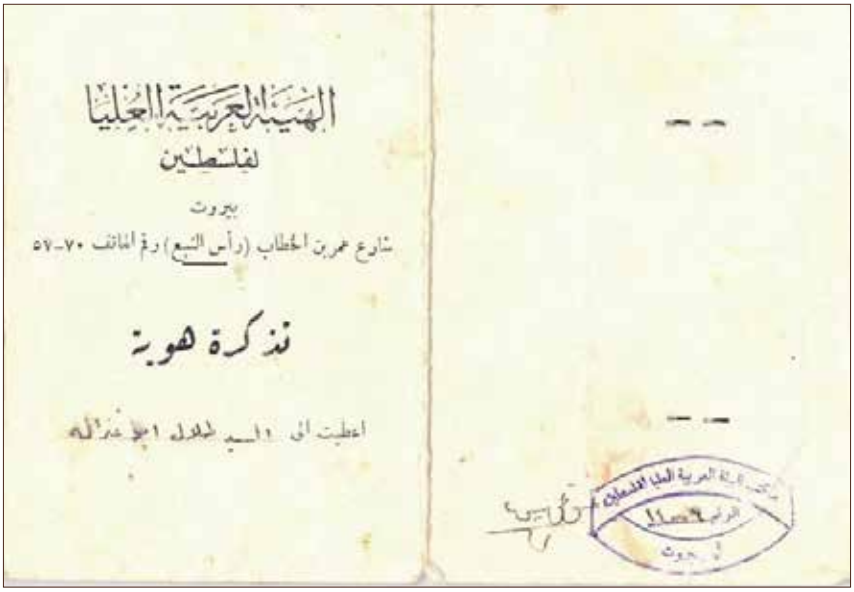

الهيئة العربية العليا
لفلسطين
بيروت
شارع عمر بن الخطاب (رأس النبع) رقم الهاتف ٧٠-٥٧

تذكرة هوية

اعطيت الى السيد طلال ابو غزاله

تذكرة هوية

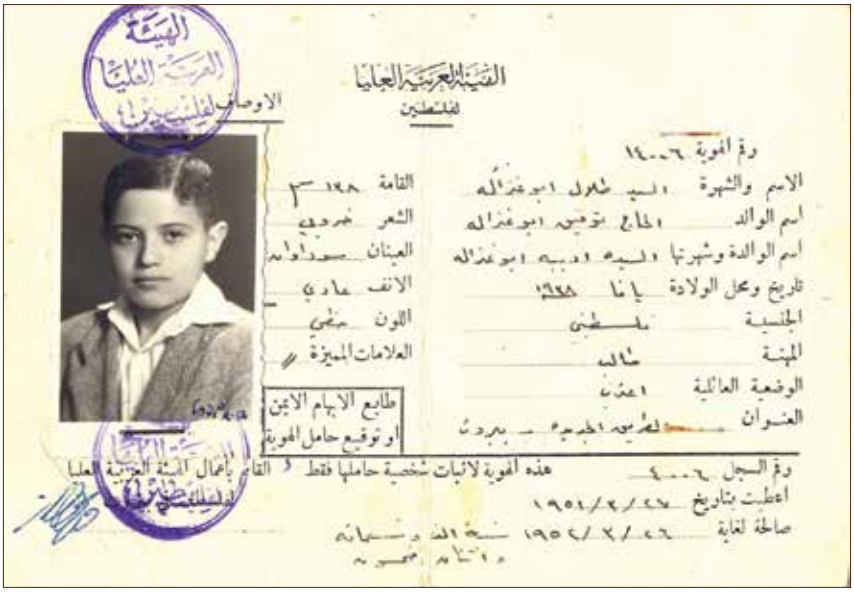

الهيئة العربية العليا
لفلسطين

الاوصاف

القامة ١٤٨ سم
الشعر خرنوبي
العينان سوداوان
الانف عادي
اللون سمحي
العلامات المميزة /

طابع الابهام الايمن
او توقيع حامل الهوية

الهيئة العربية العليا
لفلسطين

رقم الهوية ١٤٠٠٦

الاسم والشهرة السيد طلال ابو غزاله
اسم الوالد الحاج توفيق ابو غزاله
اسم الوالدة وشهرتها السيدة اديبه ابو غزاله
تاريخ ومحل الولادة يافا ١٩٣٣
الجنسية فلسطين
المهنة طالب
الوضعية العائلية اعزب
العنوان لطيفه الجميع - بيروت

رقم السجل ٤٠٠٦
هذه الهوية لاثبات شخصية حاملها فقط / القائم بأعمال الهيئة العربية العليا لفلسطين
اعطيت بتاريخ ١٩٥١/٢/٢٢
صالحة لغاية ١٩٥٢/٢/٢٢

تذكرة هوية

وسام الاستقلال الأردني
من جلالة الملك الحسين بن طلال، المملكة الأردنية الهاشمية، قصر رغدان ١٩٦٧

وسام الجمهورية التونسية
من فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، تونس ١٩٨٥

وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة فارس
من السيد روبرت ميتران، قصر الإليزية، فرنسا عام ١٩٨٥

وسام بابا الفاتيكان ١٩٨٢

وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الأولى من جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين،
المملكة الأردنية الهاشمية، قصر رغدان ٢٠١٦

وسام المساهمات البارزة للصداقة الصينية العربية من فخامة
الرئيس الصيني شي جين بينغ، مصر ٢٠١٦

كلية طلال أبوغزاله للدراسات العليا في إدارة الأعمال
تحصل على جائزة أفضل كلية للإدارة في قارة آسيا من
المؤتمر العالمي للتعليم- دبي ٢٠١١

جائزة -القائد الملهم-
من جوائز القيادة التعليمية الآسيوية-دبي ٢٠١٣

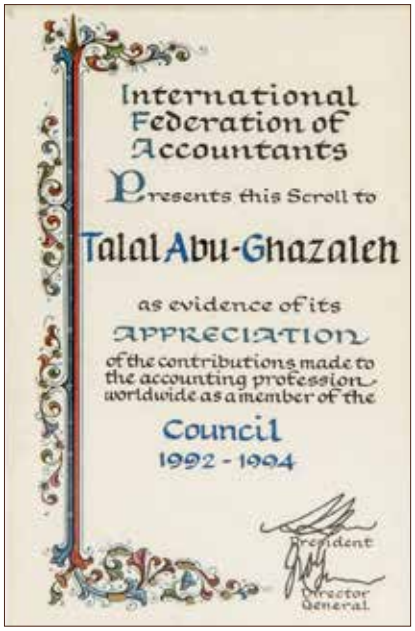


شهادة لجنة مجلس معايير المحاسبة الدولية-تقديراً لجهوده
في المجلس ممثلا للمنطقة العربية في الفترة
من ١٩٩٢-١٩٩٤، لندن

عضوية مكتب عمدة بلدة هاريس،
نائب فخري للعمدة، هيوستن ١٩٧٩

وسام ملكي رفيع من جلالة ملك اسبانيا فيليب السادس تقديرا للجهود في خدمة المجتمع
وفي الارتقاء بالعلاقات الأردنية الاسبانية، المملكة الاسبانية ٢٠١٨

وسام رئاسة الجمهورية اللبنانية
من العماد اميل لحود عام ٢٠٠١

وسام الملك سلمان بن عبد العزيز
لشباب الأعمال عام ٢٠١٢

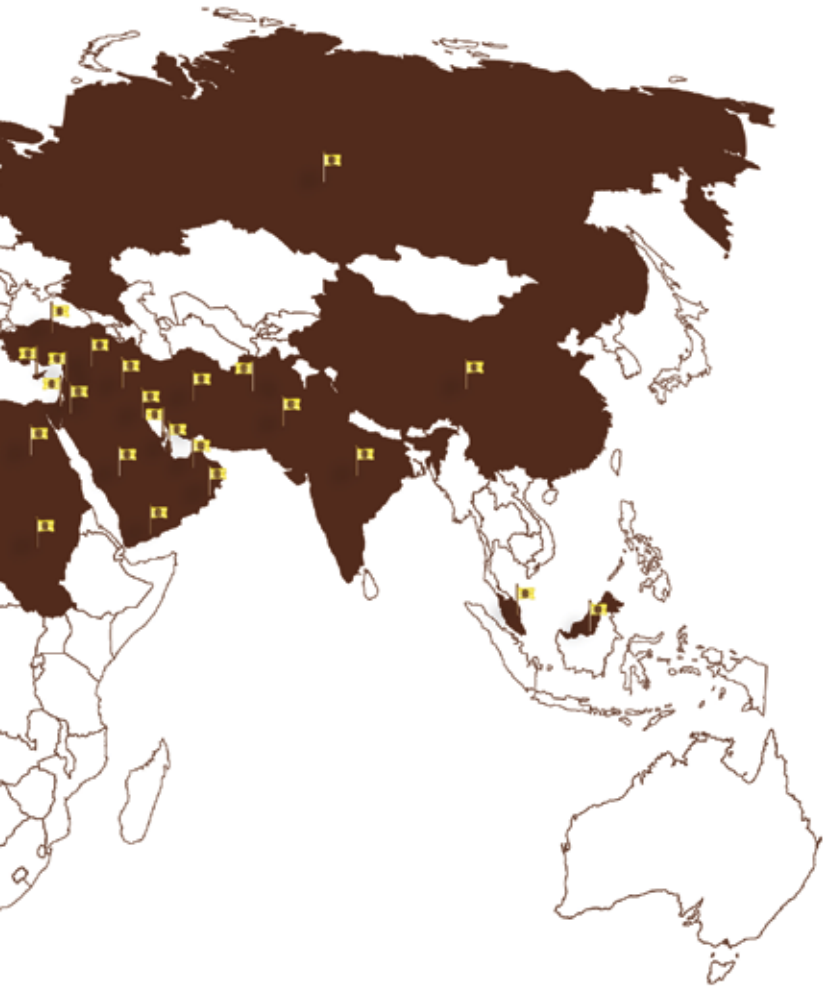

# المرفقات

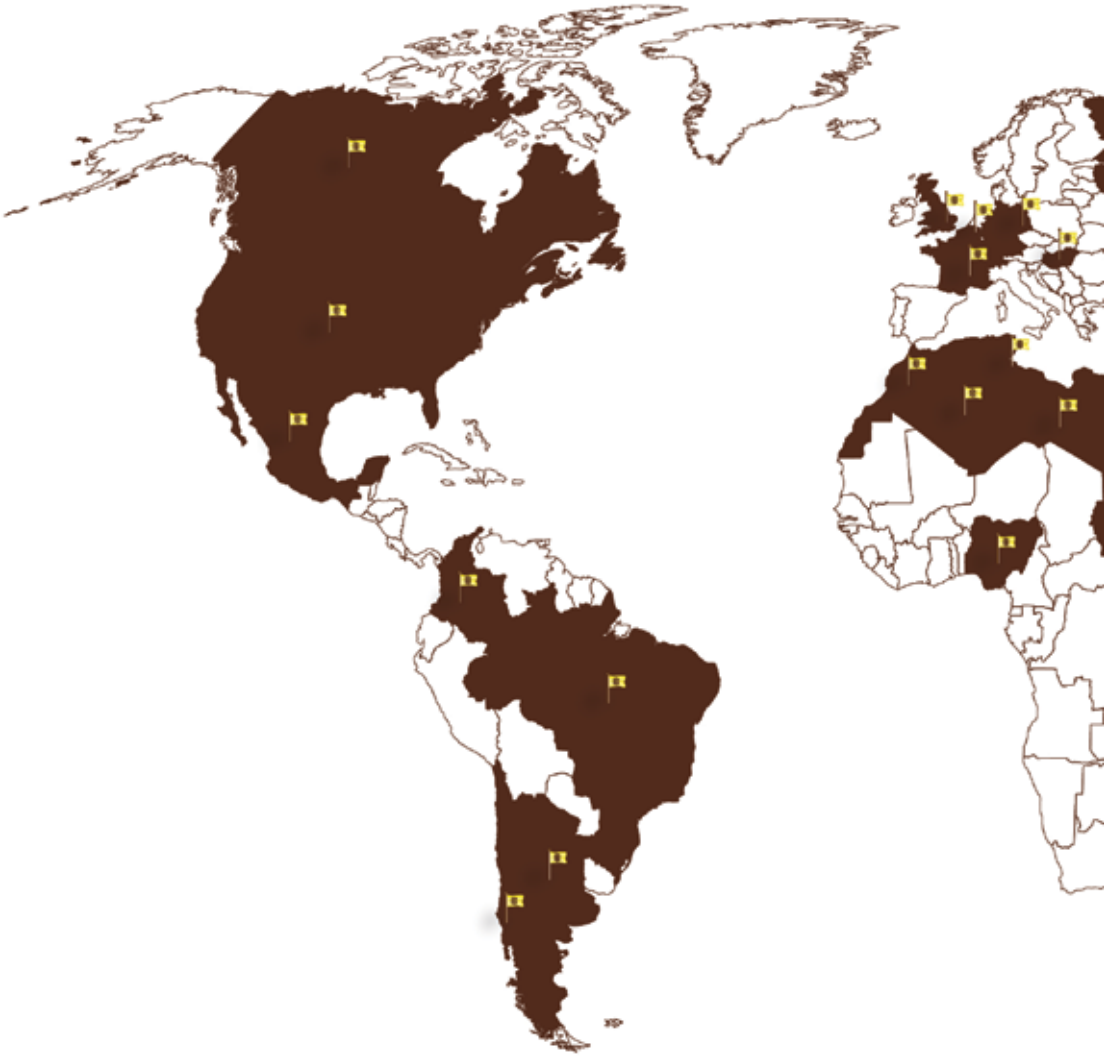

# كليّة طلال أبوغزاله الجامعيّة للإبتكار (TAGUCI)

كلية فريدة من نوعها، مُتخصصة في توجيه الجيل الشبابي بالمهارات المطلوبة ليصبحوا مخترعين وقادة في العالم الجديد لتكنولوجيا المعلومات.

تأسست في عام ٢٠١٨ باعتبارها كلية مُستقلة في الأردن، وقد تم تطوير البرامج التي تقدمها الكلية تماشياً مع التقدّم في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات من قبل الشخصيات الأكثر شهرة واحتراماً في المجالات الأكاديميّة. وقد تم تصميم جميع البرامج لتعزيز التقدّم في المعرفة التقنيّة مع تطبيقٍ عمليّ على أرض الواقع.

ستقوم الكلية بتهيئة الطلاب ضمن قاعدة راسخة تشمل أحدث أنواع المعرفة الأكاديميّة والعمليّة في مجال تكنولوجيا المعلومات والتي تركّز على الذكاء الاصطناعي وغيره من المُستجدات المُتغيّرة في العالم.

ستقوم TAGUCI بتوفير منحةً دراسيّةً كاملة لأي طالب يقوم بتطوير مشروع رقمي يُمكن تسجيله كبراءة إختراع. بالإضافة إلى ذلك، ستقوم شركة أبوغزاله للملكية الفكرية (AGIP)، وهي أكبر شركة للملكية الفكرية في العالم، بالمُساعدة في تسجيل براءة الإختراع للطالب.

تتركّز أولوياتنا وأهدافنا على التزامنا بقبول الطلاب ذوي الكفاءة العالية وتوفير أعلى درجات الجودة المُمكنة لهم في التعليم. كما أننا نقدم للطلاب تجربة تعليميّة لا مثيل لها وذلك جنباً إلى جنب مع أعضاء الهيئة التدريسيّة وبرامج التدريب الداخلي في مجموعة طلال أبوغزاله، وغيرها من فرص التنميّة الأكاديميّة والشخصيّة.

وأخيراً، فإنّ طموحنا تنشئة طلبة مُثقفين ومُبتكرين ورواد أعمال عالميين، والإلتزام بتطوير برامج جديدة تساعد طلابنا على تلبيّة متطلبات الاقتصاد العالمي المتغيّرة باستمرار.

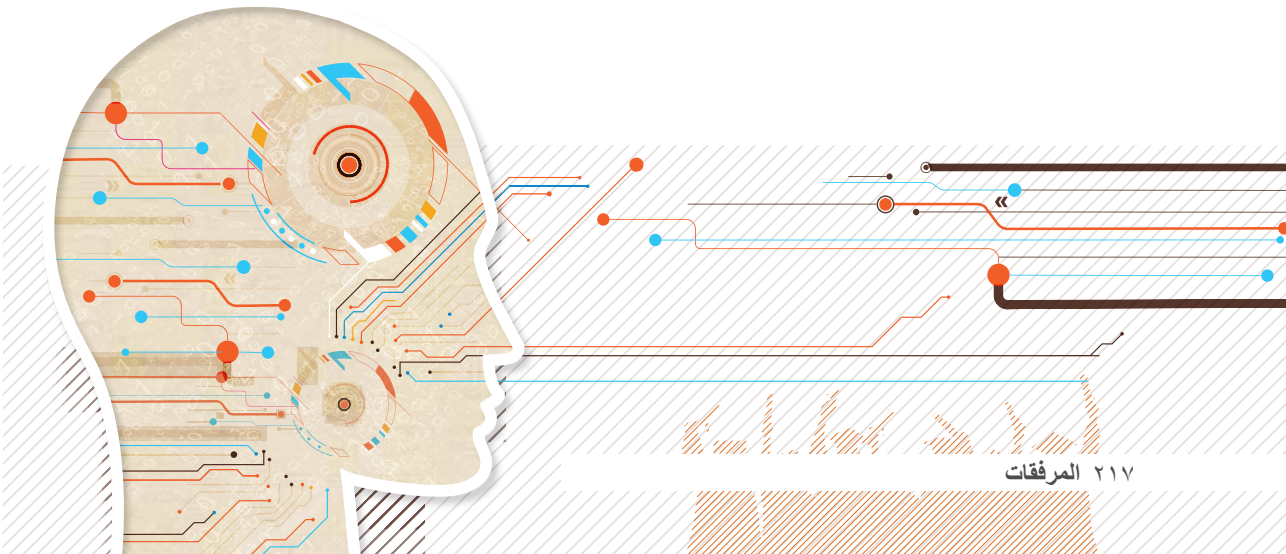

# أكاديمية طلال أبوغزاله
# (TAG-Academy)

## التعريف بالأكاديمية

تهدف اكاديمية طلال أبوغزاله إلى تزويد الموارد البشرية بالمعارف والمهارات والاتجاهات التي من شأنها رفع مستوى أدائها، وتنمية الممارسات المهنية للمتدرب وفق آخر التطورات المهنية في حقل التدريب، وزيادة عدد المراكز التدريبية في مناطق أخرى من العالم، وتوسيع علاقات التعاون المهني مع المؤسسات الدولية المعنية بالتدريب وتطوير الموارد البشرية، والسعي للحصول على الاعتماد المهني الدولي للساعات التدريبية لبرامج التدريب، وتعزيز استمرارية القيادة الفعالة في بناء القدرات على المستوى المحلي والدولي.

## أهدافنا

- تزويد الموارد البشرية بالمعارف والمهارات والاتجاهات التي من شأنها رفع مستوى أدائها.
- تنمية الممارسات المهنية للمتدرب وفق آخر التطورات المهنية في حقل التدريب.
- زيادة عدد المراكز التدريبية في مناطق أخرى من العالم.
- توسيع علاقات التعاون المهني مع المؤسسات الدولية المعنية بالتدريب وتطوير الموارد البشرية.
- السعي للحصول على الاعتماد المهني الدولي للساعات التدريبية لبرامج التدريب.
- تعزيز استمرارية القيادة الفاعلة في بناء القدرات على المستوى المحلي والدولي.

## سياساتنا

- تعميق الأثر التدريبي والعائد من الاستثمار في التدريب لدى متلقي الخدمات التدريبية.
- التركيز على استخدام وتطبيق طرق التدريب الحديثة.
- تعزيز استخدام الوسائل التكنولوجية والمُعينات التدريبية في تطبيق العملية التدريبية.
- اختيار المدربين من ذوي المستويات العلمية المتقدمة والخبرات والممارسات العملية المتميزة.
- توفير البيئة التدريبية الملائمة والتسهيلات اللوجستية اللازمة لنجاح البرامج التدريبية.
- إنشاء علاقات التعاون مع المؤسسات التعليمية والتدريبية الأكثر شهرة وسمعة في العالم.

## قِيَمُنا

- جودة الخدمة.
- التحسين المستمر.
- التعاون المثمر
- المصداقية والإلتزام.
- الشفافية والمساءلة.

## منهجيتنا

تعمل الأكاديمية من خلال منهج التكامل والشمولية في أساليب العرض والتقديم والتقييم والملائمة مع ظروف البيئة والجهة التي تطلب خدمات التدريب.

الشهادات: تمنح الأكاديمية شهادة مشاركة بالساعات التدريبية لمن يحضرون الدورة بفعالية صادرة عن أكاديمية طلال أبوغزاله (TAG-ACADEMY)، ويعتبر إلتزام المشارك بالحضور شرطاً لمنحه هذه الشهادة. كما تمنح الأكاديمية شهادات أخرى بالتعاون مع شركاء محليين ودوليين.

## برامجنا التدريبية

لتحقيق أغراض الأكاديمية فإن نشاط تطوير القدرات لا يقف عند حد عقد نوع واحد من أنواع البرامج التدريبية بل يتضمن العديد من هذه البرامج التي تغطي كافة التخصصات العلمية والإنسانية والإدارية والمالية والاقتصادية والقانونية والمعرفة الرقمية.

## أكاديمية طلال أبوغزاله مركز معتمد لمؤهلات كامبردج اللغة الإنجليزية

وقعت اكاديمية طلال أبوغزاله إتفاقية مع مؤهلات كامبردج اللغة الإنجليزية أصبحت بموجبها مركز معتمد لـ "مؤهلات واختبارات كامبردج للغة الإنجليزية التابعة لجامعة كامبردج لتقديم امتحانات اللغة الإنجليزية المعتمدة عالمياً.

وتقوم الأكاديمية بتقديم الدورات التدريبية والتأهيلية بالإضافة الى الامتحانات، من خلال فريق من المدربين والممتحنين الذين سيتم تأهيلهم خصيصاً لهذه المهمة.

ومنذ شهر تشرين أول ٢٠١٧ بدأت الأكاديمية في استقبال طلبات المشاركة في الدورات التدريبية وتقديم الامتحانات، علماً بأن المشارك الذي يجتاز الامتحان سيحصل على شهادة صادرة من مؤهلات واختبارات كامبردج للغة الإنجليزية التابعة لجامعة كامبردج.

## أكاديمية طلال أبوغزاله بالأرقام

- عدد المتدربين + ٥٠٠,٠٠٠
- عدد الشهادات التي أصدرت + ٥٠٠,٠٠٠
- عدد المدربين + ١٠,٠٠٠
- عدد المراكز التابعة + ١,٠٠٠

# موسوعة طلال أبوغزاله الإلكترونية – تاجيبيديا (TAGEPEDIA)

ان موسوعة طلال أبوغزاله الرقمية العربية هي أول نظام من نوعه على الانترنت لإتاحة المحتوى العربي المدقق والموثق، شاملا شتى المجالات العلمية، والأدبية، والاقتصادية، والفنية، والرياضية، والثقافية، والمعرفية، والأعمال، والخدمات المهنية، وحقوق الملكية الفكرية، والاعلام والمحاسبة، والادارة المالية، والاستشارات الادارية، والترجمة، والقانون، والأعمال المصرفية، والتدريب المهني، واستشارات تقنية المعلومات، وما يتصل بهذه الحقول من معارف علمية ومهنية اخرى.

وقد قام بابتكار محرك الموسوعة خبراء الحلول الالكترونية في طلال أبوغزاله الدولية لتقنية المعلومات.

وتهدف تاجيبيديا الى ان تصبح المرجع الشامل للمحتوى العربي الرقمي المتاح لاستعمال المتخصصين والمهتمين بكافة جوانب المعرفة باللغة العربية. وقد تم تصنيف هذه المحتويات الى ثلاثة حقول رئيسية هي: معارف عامة، ابحاث علمية ومهنية، شخصيات وأحداث وانجازات.

وتستند في نظام عملها الى مجموعة كبيرة من نظم التصنيف المعرفي تتيح للمستخدم تحديد نوع ومكان المعلومة المراد ايجادها او عرضها. وترحب الموسوعة بمشاركة العلماء والأدباء والخبراء والاستشاريين والمتخصصين لاثراء المحتوى المعرفي العربي على الانترنت والارتقاء بجودته ودقته، وتلتزم بالمحافظة على جميع حقوق المؤلف الأصلي والحقوق الأخرى الملازمة لها.

وتاجيبيديا مشروع غير ربحي ممول بالكامل من مجموعة طلال أبوغزاله، يوفر المعلومات للجميع مجاناً. ومجموعة طلال أبوغزاله وكمبادرة من القطاع الخاص، تعمل منذ خمس سنوات على جمع المحتويات باللغة العربية ومعالجتها وإدخالها إلى الموسوعة والمساهمة في إثراء المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية باستضافة الموسوعة على سحابة طلال أبوغزاله الإلكترونية، وهذه المحتويات ستكون متاحة لطلاب المدارس والجامعات العربية وستستخدم كمرجع للدارسين والباحثين، حيث تتسم المعلومات بدقتها وهذا ما يميزها عن غيرها من الموسوعات.

# All4Palestine

تأسست جمعية "كلنا لفلسطين" بتاريخ ١٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١١ في العاصمة الفرنسية، باريس، بهدف تسليط الضوء على الإبداع الفلسطيني في كافة أرجاء العالم والإنجازات التي حققها الفلسطينيون في شتى الميادين والمجالات وطرق دعمها، مما يعكس بعمق أصالة وإبداع فلسطينيي المهجر.

تحتوي قاعدة بيانات الجمعية على ما يزيد عن ١٠ آلاف شخصية فلسطينية مبدعة الذين يتناول قصص إبداعهم الموقع الإلكتروني لجمعية "كلنا لفلسطين".

وتمثل جمعية "كلنا لفلسطين" مصدراً موثوقاً به لمن يتطلعون إلى مستقبل زاهر لعائلاتهم الفلسطينية، وللراغبين في دراسة شاملة لتاريخ فلسطين الذين خلدوا أسماءهم في شتى الميادين والمجالات والقطاعات.

وتحكي جمعية "كلنا لفلسطين" قصة كل عالم وكاتب وممثل ومسؤول وفنان ورياضي وإعلامي ورجل أعمال فلسطيني وآخرون حققوا نجاحات من خلال معاناتهم في العالم، الذي سيرى فيهم جيل الشباب النموذج الذي يُحتذى، متحدين المعاناة التي عاشها الشعب الفلسطيني جراء تهجيره عن وطنه وإعداد قائمة بيانات تضم كل المبدعين عرفاناً لهذا الشعب داخل الموقع الإلكتروني للجمعية All4palestine.com .

## د. أبوغزاله

أكد سعادة الدكتور طلال أبوغزاله أن "ما نسعى إليه بعيد كل البعد عن السياسة، ولنقول للعالم أن مبادرة "كلنا لفلسطين"، تحكي قصة مُبدعون فلسطينيون من: شخصيات عامة، رجال أعمال واقتصاد، كتاب، أدباء، شعراء، أكاديميين، ممثلون، فنانون، رياضيون، وآخرون، حققوا انجازات وعلى مستويات مختلفة، ومنهم من حصل على شهادات وجوائز عالمية، حيث يُمكن للجيل الشباب الاقتداء بإنجازاتهم التي يُحتذى بها".

وأعطى الدكتور أبوغزاله مثالاً على ذلك "الأديب محمود درويش، الشاعرة فدوى طوقان، الأديب ادوارد سعيد، زهير الهليس، رئيس السلفادور السيد انطونيو السقا، الدكتور غسان سعيد، الدكتور نصوح النابلسي، الفنان سامر أبو عجمية، إقبال الأسعد (أصغر طبيبة في العالم) وغيرهم".

وفي إطار أهمية المعرفة التقنية التي تُشكل جزءاً كبيراً من اهتمام وعمل الدكتور أبوغزاله، أوضح أنه "تم العمل على تطوير الموقع الالكتروني للجمعية على شبكة "الإنترنت"، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر، فيس بوك ويوتيوب)، بالإضافة إلى المحتوى الأصلي الذي يتضمن معلومات شاملة عن مرحلة التأسيس والأهداف وبرامج الجمعية".

# طلال أبوغزاله: عشر وصفات للنجاح

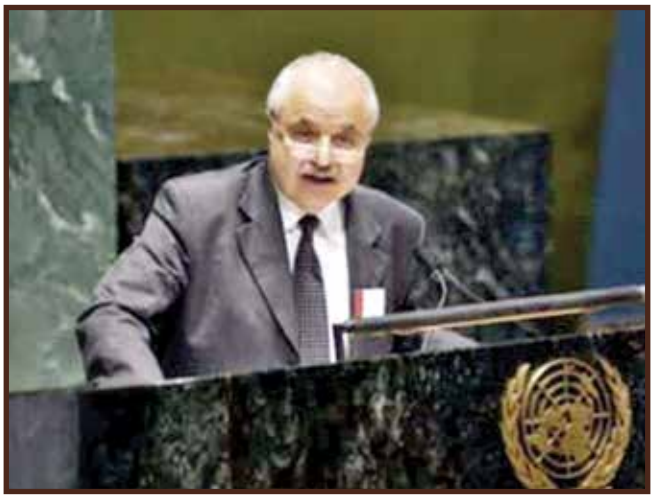

١. خصومك يساعدونك في حمايتك من نفسك: أحببهم كما تحب من يحبوك.

٢. السعادة قرار: قرر أن تكون سعيداً دائما.

٣. التفاؤل يجلب الحظ: كُن دائما متفائلاً يأتيك الحظ.

٤. ابحث عن التميز والأسبقية في الريادة: قاوم غريزة السير وراء المجموع.

٥. رحِّب بالصعوبات والفشل: حولهم الى نعمة ونجاح.

٦. كُن بطبيعتك تلميذا دائماً: لا تتوقف ابداً عن التعلُّم.

٧. كما أن قلبك لا يتوقف عن النبض، لا تتوقف. اعمل. الراحة مضرة.

٨. في المدرسة نتعلم الدروس ونمتحن. في العمل: نواجه الامتحانات ونتعلم الدروس.

٩. كلمة متقاعد تعني .. «مُت» وأنت «قاعِد»: لا تتقاعد ابداً

١٠. ان الهدف من تعلمك يجب ان يكون ان تصبح مخترعا: اخترع، ابدع، ابتكر

طلال أبوغزاله

مجموعة طلال أبوغزاله TAG-Org

## في عيدنا الخامس والأربعين

## ريادتنا في بناء القدرات

- الصفحات التي تمت ترجمتها: أكثر من 10,000,000
- التقارير المهنية الصادرة عن المجموعة: أكثر من 1,000,000
- المهنيون الذين تدربوا في المجموعة: أكثر من 500,000
- الشهادات المهنية التي منحتها المجموعة: أكثر من 500,000
- شهادات دبلوم أبوغزاله لمهارات تقنية المعلومات: أكثر من 250,000
- المستشارون المتعاقَد معهم على قاعدة بيانات المناقصات: 50,000
- المدربون المتعاقَد معهم على قاعدة بيانات التدريب: 10,000
- المراكز التدريبية والمعرفية التابعة للمجموعة: أكثر من 1,000

## مكانتنا الدولية

- مجموع عملاؤنا الإجمالي لكافة الخدمات والأنشطة: 1,000,000
- العلامات التجارية التي تم تسجيلها حول العالم: 500,000
- حقوق الملكية الفكرية التي تمت إدارتها حول العالم: 100,000
- الزيادة في عدد العملاء الجدد في جميع المجالات سنوياً: 25,000
- تعد شركتنا المهنية لمراجعة الحسابات عالمياً ضمن أكبر 20
- أفضل شركة ملكية فكرية في الشرق الأوسط للسنة الـ 9
- عدد الأحكام المهنية الصادرة ضدنا عالمياً: 0
- انتخابنا لقاعة المشاهير في الملكية الفكرية في شيكاغو 2007

## خدماتنا الاستشارية

- المستندات التي قامت المجموعة بأرشفتها: أكثر من 150,000,000
- العلامات التجارية في قاعدة بيانات الملكية الفكرية: 2,000,000
- الموضوعات العلمية في الموسوعة العربية الإلكترونية: 1,000,000
- المشاريع التي تمت دراسة جدواها: أكثر من 10,000
- المؤسسات التي قمنا بهيكلتها وتنظيمها: أكثر من 4,000
- المنظمات التي قمنا بتأهيلها للحصول على شهادات الآيزو: أكثر من 400
- عضويتنا في اللجنة الفنية لصياغة معايير الآيزو منذ عام 1995

## ابداعاتنا المعرفية

- التواصل السنوي على الانترنت أكثر من 30,000,000
- 150 قاعدة بيانات لعناوين عالمية تزيد عن 500,000
- البرامج والأنظمة الإلكترونية التي طورناها لخدمة العملاء: 100
- مواقع المجموعة الإلكترونية لجميع الخدمات والنشاطات: 60
- تعمل المجموعة بخط إنترنت خاص بها: TAG-ISP
- سحابة إلكترونية خاصة بخدمات المجموعة مزودة بأحدث التقنيات
- أول شركة ملكية فكرية تعمل كمسجِّل دولي لأسماء النطاق عالمياً

## طلال أبوغزاله فاونديشن في خدمة المجتمعات

- محطاتنا المعرفية في خدمة المجتمع: 400 محطة | مؤسساتنا لبناء قدرات المجتمع التي ندیرها ونمولها بالكامل: 50 مؤسسة
- تُخصص مجموعة طلال أبوغزاله 50% من أرباحها سنوياً لطلال أبوغزاله فاونديشن لخدمة المجتمع وتستثمر النصف الآخر كاملاً في تطوير قدراتها وتوسعة نشاطاتها وانتشارها

# كريم بقرادوني
## السيرة الذاتية

**الاسم: كريم بقرادوني**

**اسم الاب: ماناس**

**مكان الولادة: لور شليطا**

**اسم الزوجة: منى الناشف**

**أسماء الأولاد: جهاد (١٩٧٢) وجواد (١٩٧٨)**

**الدرجات العلمية:**

- تلقى علومه الابتدائية والتكميلية والثانوية في مدرسة الإباء اليسوعيين، وتخرج من كلية سيدة الجمهور في العام ١٩٦٢.
- نال إجازة في الحقوق من جامعة القديس يوسف في العام ١٩٦٦.
- نال دبلوم دراسات عليا في العلوم السياسية من جامعة القديس يوسف في العام ١٩٦٧.
- نال إجازة في التاريخ من كلية الآداب العليا في العام ١٩٧٠.

**المهنة:**

محام في الاستئناف منذ العام ١٩٧٠، وقد أسس مكتبه الخاص منذ العام ١٩٧٦.

**الحركة السياسية:**

- انتسب الى حزب الكتائب اللبنانية في نيسان ١٩٥٩.
- أسس مع رفاق له "الهيئة العاملة الخيرية" (CAB) في كلية السيدة الجمهور في العام ١٩٦٢ التي تحولت فيما بعد الى (CAS).
- تولي امانة سر مصلحة الطلاب في حزب الكتائب اللبنانية من العام ١٩٦٢ الى العام ١٩٦٨.
- انتخب رئيسا لمصلحة الطلاب في حزب الكتائب اللبنانية من العام ١٩٦٨ الى العام ١٩٧٠.

- انتخب عضوا في المكتب السياسي الكتائبي في العام ١٩٧١ وتولى فيه مهام العلاقات العربية.
- عينه رئيس الجمهورية الياس سركيس مستشارا شخصيا له من العام ١٩٧٦ الى العام ١٩٨٢.
- قاد الى جانب الدكتور سمير جعجع والوزير ايلي حبيقة انتفاضة ١٢ آذار ١٩٨٥.
- أطلق المؤسسة اللبنانية للأرسال (LBC) في ٢٣ آب ١٩٨٥.
- شغل مهام نائب قائد القوات اللبنانية من العام ١٩٨٦ الى العام ١٩٨٨.
- شغل موقع عضو في الجبهة اللبنانية من ١٩٨٦ الى ١٩٨٩.
- عين امينا عاما في حزب الكتائب اللبنانية من العام ١٩٩٢الي العام ١٩٩٥.
- انتسب الى اتحاد الكتاب اللبنانيين في العام ١٩٩٤.
- انتخب نائبا ثانيا لرئيس حزب الكتائب اللبنانية من العام ١٩٩٥ الى العام ٢٠٠١.
- انتخب رئيسا لحزب الكتائب في ٤ تشرين الأول ٢٠٠١.
- عين وزير دولة لشؤون التنمية الإدارية في ١٧ نسيان ٢٠٠٣ ولغاية ٢٦ تشرين الأول ٢٠٠٤.
- انتخب للمرة الثانية رئيسا لحزب الكتائب اللبنانية في ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٥.
- استقال من حزب الكتائب اللبنانية في ٣٠ حزيران ٢٠٠٨ بعد ان أعاد توحيد الحزب في مؤتمر عام استثنائي في كانون الأول ٢٠٠٧.
- شارك في تأسيس " اللقاء الوطني المسيحي" في تموز ٢٠٠٨.

**مؤلفاته:**

- "هيكلية الكتائب"، أطروحة للعلوم السياسية في العام ١٩٦٧.
- "الرهان اللبناني"، كتاب عن أفكار موريس الجميل في العام ١٩٧٠.
- "الديمقراطية في السبعينات"، تقرير الى المؤتمر العاشر لمصلحة الطلاب في الكتائب اللبنانية عام ١٩٧٠.
- "السلام المفقود"، عهد الياس سركيس (١٩٨٢- ١٩٨٨)، صدر في العام ١٩٨٤ وبالفرنسية تحت عنوان: "La Paix Manquée" وبالإنكليزية تحت عنوان: "Stillborn Peace".

- "لعنة وطن"، من حرب لبنان الى حرب الخليج، صدر في العام ١٩٩١، وتُرجم الى الفرنسية ونشر في فرنسا تحت عنوان: "Le Piege".
- "رسالة الى المستقبل"، نداء الى الشباب في الذكرى السادسة والخمسين لتأسيس حزب الكتائب اللبنانية في العام ١٩٩٢.
- "من اجل كتائبية متجددة"، تقرير الى المؤتمر التاسع عشر لحزب الكتائب اللبنانية في العام ١٩٩٣.
- "الوطن الصعب والدولة المستحيلة"، حوارات بين كريم بقرادوني وكريم مروة ساقها طانيوس دعبيس في كتاب صدر في العام ١٩٩٦.
- "الحرية المغضوب عليها"، مرافعة قانونية دفاعا عن الإذاعات والتلفزيونات قدمها الى مجلس شورى الدولة في العام ١٩٩٦.
- "سمير جعجع: الحبيس"، مرافعة ادلى بها امام المجلس العدلي في ١٩ نيسان ١٩٩٩.
- "شرعة الشباب في مكافحة الفساد" أشرف على إصدارها في العام ٢٠٠٣ بصفته وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية بالتعاون مع مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة.
- "صدمة وصمود"، عهد اميل لحود (١٩٩٨- ٢٠٠٧)، صدر بالعربية في العام ٢٠٠٩، وتُرجم الى الفرنسية تحت عنوان "Les Années Résistance"، والى الإنكليزية بعنوان " Years of Resistance".
- كان له مقال اسبوعي في مجلة "الحوادث"، يترجم الى الفرنسية في مجلة "La Revue du Liban"، والى الإنكليزية في مجلة "Monday Morning" الى حين توقفت المجلات عن الصدور في ٢٢ أيار ٢٠١٠، إضافة الى نشره عدة مقالات أسبوعية في جريدتي "النهار" و "السفير" اللبنانيتين.

**المؤلفات عنه:**

- "البقرادونية داخل الجبهة اللبنانية" أطروحة علوم اجتماعية للدكتور انطونيوس جلوان في العام ١٩٧٧. (أطروحة جامعية بالفرنسية).
- "كريم بقرادوني: مفكر أم ثائر"؟ كتاب المحامي نزيه شلالا في العام ١٩٨٨.
- كريم بقرادوني: الماروني غير الشرعي .... صار شرعيا، كتاب المحامي نزيه شلالا في العام ٢٠٠٣.

اكتشفتُ جانباً جديداً من شخصية طلال أبوغزاله، ويجمع العارفون به أنه نموذج للذكاء الفطري منذ العاشرة من العمر حين أدرك أنه فَقَدَ كل شيء وعليه أن يبني من لا شيء كل شيء. وهو مثال الطموح المبكر فثابر على اقتناص العلم من المدرسة والجامعة بطرق ووسائل غير مسبوقة. وهو قدوة تحتذى في العمل الدؤوب فأسس شركاته ونشرها، وبنى امبراطورية عالمية حجراً حجراً. هو رمز للعلم والتعليم والقراءَة المستديمة، وهو السبّاق الى اقامة اولى الجامعات الذكية في المنطقة العربية.

ولا يكتمل المشهد إذا لم نذكر ان كل ما فكر به طلال أبوغزاله وحلم به وأقدم عليه وأنجزه يعتمد المعرفة قاعدة واساساً ومنهجاً. يعرف مهنته حق المعرفة، ويعرف ابعاد قضيته كفلسطيني وعربي، ويعرف ان يطلّ على الناس فيقنعهم بأن الشعوب العربية، وبخاصة الشعب الفلسطيني، جديرة بالحياة والمستقبل.

يصح في طلال أبوغزاله قول العلامة الفرنسي هنري برغسون: "يشيخ الجسم ويهرم، اما العقل فيبقى حياً متقداً يبحث عن المعرفة ويسأل: هل من مزيد؟"، وجوابي نعم، إن طلال أبوغزاله ما زال يفتش عن المزيد، وتسكنه المعرفة كأنشودة حياة.

# طلال أبوغزاله

## رجل تسكنه المعرفة

كريم بقرادوني

هذا الكتاب إهداء من المؤلف لنشر المعرفة

9 789953 046488